عبد الوهاب مطاوع



الناشر : دار زهور الفكر .

الغلاف والرسوم الداخلية .
بريشة الفنان : فرج حسن
خطوط الفنان : محمد المغربى





الإهــداء

.. إلى روح أبى رحمه الله

.. وإلى روح شقيقى الأصغر رحمه الله .

أهدى كتابى هذا الذى كثيرا ما تمنيت لو أنهما كانا بجوارى ليقرآه مع من سيقرأه .

(المؤلف)


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

هذا الكتاب

هذا الكتاب لم أؤلفه أنا .. وانما ألفه الزمن « أعظم المؤلفين » .

فلقد أتاح لى إشرافى على بريد الأهرام اليومى فى جريدة الاهرام أن أطلع على تجارب غنية بالخبرة الانسانية نشرت بعضها فى بابى الأسبوعى بالاهرام « بريد الجمعة » وعلقت عليها وانفعلت بها وعايشت همومها ثم طالبنى قراء عديدون بان أجمع هذه القصص فى كتاب يكون فى متناول أيدى القراء يرجعون اليه كلما ارادوا استلهام تجارب غيرهم والاستفادة بدروسها . واستجبت لهذه الرغبة . لكننى واجهت مشكلة كبرى فى اختيار القصص التى يضمها « الكتاب » وبعد تفكير طويل قررت أن اختار أكثرها اقترابا من حدود التجربة الانسانية وأكثرها اثراء لخبرة الانسان بالحياة .. وبالنفس البشرية .

ومع ذلك فلقد ضاق الكتاب عن استيعاب الكثير من القصص التى تمنيت لو استطعت نشرها .. ولا يبقى سوى الأمل فى أن تتسع لها كتب جديدة أصدرها فى المستقبل القريب باذن الله ..

ولقد اخترت لهذا الكتاب عنوانا « أصدقاء على الورق » وهو تعبير استعملته كثيرا فى كتاباتى فى بريد الجمعة .. ووصفت به العلاقة بين كاتب يهتم بآلام البشر وبين قراء يثقون فيه على غير معرفة ويفتحون له قلوبهم ويروون له اسرارهم ويسألونه الرأى والمشورة .

فلقد كنا فعلا اصدقاء على الورق .. فتشاركنا فى الهموم والمشاكل والتجارب .. وتقاسمنا معا عبرة التجربة ودروسها .. وبكينا معا فى مواقع البكاء .. وضحكنا معا فى لحظات السعادة .. واحببنا الحياة معا فى لحظات كثيرة .. وضقنا بها فى لحظات أخرى .. واعتززا بهذه العلاقة الثمينة .. فلقد

اخترتها عنوانا لكتابى تحية لكل هؤلاء الاصدقاء الذين آثرونى بصداقاتهم ومشاعرهم الرقيقة على البعد فبددوا بها وحشتى .. وخففوا من وحدتى الداخلية الكثير فشكرا لهم على ما أولونى من ثقة ومن فضل .

وعذرا لمن حاولت أن اواسى جراحهم ففشلت فى كثير من الأحيان ومن حاولت أن اشير عليهم بالرأى السديد فى مشاكلهم فطاش سهمى فى بعض الأحيان .

فلقد قلت مرارا إنى أتعلم من آراء القراء ما لم أكن أعلم وانى اتأسى دائما فيما أبديه من آراء بقول الامام أبى حنيفة : قولنا هذا رأى وهو غاية ما توصلنا إليه فى هذا الامر فمن جاءنا بأفضل منه كان أولى بالاتباع منا ..

وكثيرا ما جاءنى قراء باراء أفضل مما قلت فى هذه المشاكل .. فاتبعتها .. وتمنيت لو كنت قد توصلت إليها حين عرضت المشكلة .

وهكذا الحياة مدرسة نتعلم فيها كل يوم ولا نتخرج منها ابدا الا فى نهاية العمر ...

عبد الوهاب مطاوع

سألت القس الذى أمضى ١٥ عاما يتلقى الاعترافات ..
ماذا تعلمت من إعترافات البشر ؟
فقال : تعلمت أن الناس أتعس كثيرا مما نظن !

« اندريه مالرو فى مقدمة كتابه
« لامذكرات »



دائرة الانتقام

أكتب إليك لأريح صدرى مما يحمله .. وان كنت أشك إننى سوف استريح ولابدأ قصتى من البداية فأقول لك اننى شاب نشأت فى أسرة متوسطة الحال وكانت طفولتى فقيرة لكنها لم تكن حزينة فقد كنت متفوقا طوال دراستى . وكانت نظرة الحسرة فى اعين زملائى الذين انعم الله عليهم بالثراء وهم ينظرون الى تفوقى تسعدنى وترضينى وسارت حياتى هادئة الى ان حصلت على الثانوية العامة والتحقت بكلية الطب ، وواصلت تفوقى ، واثناء دراستى بالكلية تعرفت على زميلة لى وتبادلت الحب الصادق معها ، واتفقنا على كل شىء ، وكانت تعرف كل ظروفى الاجتماعية وتقدرها ولم يكن الفارق الاجتماعى بيننا كبيرا رغم أن والدها كان موظفا كبيرا فكلمة موظف كبير كما تعلم لاتعنى دخلا كبيرا ، وكنت انوى خطبتها فى العام النهائى وتوثقت علاقتنا معا وعلاقة اسرتينا وكانت اجمل ايام حياتى هى الايام التى عشتها معها اثناء الدراسة واقتربت أيام الامتحانات الاخيرة واقتربنا من تحقيق الاحلام لكنى بدأت اشعر بتحول غريب فى شخصيتها إذ بدأت مشاعرها تجاهى تفتر حتى اصبحت تشيح بوجهها عنى كلما رأتنى واحسست كأن ابواب الجحيم قد فتحت على مصرعيها وفى قمة عذابى ذهبت الى مقابلة ابيها وهو رجل فاضل كان يكن لى حبا وتقديرا لاسأله عما جرى ، فاستقبلنى خجلا وحائرا لايعرف ماذا يقول لى ، ثم ابلغنى ان ابنته قد تقدم لها شاب يكبرها بأثنى عشر عاما حاصل على مؤهل فوق المتوسط قضى فترة طويلة من العمل فى بلاد البترول وجمع مدخرات كافية ، وانه كأب يسعى لصالح ابنته ويعرف اننا مرتبطان ونعتزم الزواج قد اعلن هذا الشاب بالرفض حين تقدم له ، لكنه فوجىء بأن ابنته حين علمت بذلك قد ثارت وعاتبته على ذلك بحجة انه كان يجب ان يستشيرها فى ذلك فذهل ابوها واعتقد ان خلافا

قد وقع بيننا واننا قد تراجعنا عن مشروع الارتباط ، ولما سألها فى ذلك نفت وقوع أى خلاف وقالت انها فتاة واقعية وان العريس الجديد قد وعدها بشقة تمليك بأسمها وسيارة بأسمها وانه قادر على ذلك فى حين أن فتى الاحلام الذى هو أنا لن أستطيع كطبيب ناشىء ان احقق لها هذا المستوى الا بعد ان يكون شبابها قد ولّى وذبُلَت زهرة عمرها ، ولاأعرف حتى الان كيف انتهت الجلسة ولاكيف غادرت منزله . لكنى لم استسلم فسعيت اليها وناقشتها فى قرارها فرددت على مسامعى « دررا » جديدة من « الحكمة » التى نلجأ اليها حين نريد أن نغتال مشاعر إنسان وحياته وقلبه ، فقالت لى عبارات كثيرة من نوع أنها ليست مستعدة للصبر ولاللإضاعة عمرها فى الكفاح وان الانسان يعيش مرة واحدة وان الزواج فرص وكل شىء قسمة ونصيب .. الخ .

وتجلَّت الحقيقة قاسية أمامى .. أنا فقير إذن فأنا غير موجود ، وواجهت الواقع المرَّ .. وظهرت نتيجة الامتحان وكنت كالعادة فى مقدمة الخريجين وبدأت حياتى العملية وأنا مسحوق تماما وفى داخلى براكين من الغضب والرغبة فى الانتقام من كل الفتيات ومن الواقع الفقير الذى هزمنى فى قصة حياتى ، واتاح لى تفوق اختيار المجال الذى أرغب فى التخصص فيه ، وكنت قد بيَّت النية عليه عقب انتهاء فترة الامتياز مباشرة . وبعد فترة قصيرة من العمل فى المستشفى ومن الادخار إفتتحت عيادة فى أحد الأحياء ودخلت عيادتى فى اليوم الأول وجلست وراء مكتبى وأنا اقول بينى وبين نفسى قد جاءكم من لن يرحم أحداً منكن ومن لن يتردد فى إعتصار كل من يدخل اليه ولا عن إمتهان كل مريضة يجد لديها الإستعداد للخطأ ! وتدفقت المريضات على عيادتى وبدأت فى « نشر » رقابهن وكانت معظم أعمالى فى دائرة ما يسمى بالعمليات الطبية المحرمة قانونا وأصحابها دائما متعجلون ومستعدون للدفع بسخاء وبدأ المال ينهمر فوق رأسى كالطوفان ويبدو أن

المال الحرام كالجراد لا يأتى فُرَادى وإنما فى جحافل كجحافل الجراد ، فعيادتى مزدحمة بالمرضى و « أعمالى » تتوسع كل يوم ولم أرحم أحدا ولم أعْفِ اية مريضة وجدت لديها مَيْلا أو استعدادا للعبث وخلال سبع سنوات فقط كنت جمعت من المال ما لم يجمعه زملاء لى خلال ثلاثين سنة ، فإشتريت الشقة وأثثتها بأثاث فاخر واشتريت السيارة وأصبحت عيادتى اشهر عيادة فى الحى كله والتحقت بأكبر الاندية الاجتماعية من باب المنظرة فقط لأنى لا أجد وقتا للذهاب الى أى مكان سوى إلى « المجزرة » التى أجرى فيها عملياتى ، وفى احدى الليالى وكان المرضى قد إنصرفوا وأنا فى مكتبى أُحصى النقود المكَّومة أمامى من إيراد اليوم فوجئت بها تطرق الباب وتدخل على .. إنها خطيبتى السابقة التى حولَّتنى الى هذا الوحش وقد جاءت لتقول لى كلاما بلا معنى .. من أن الله قد انتقم لك منى ، واننى غير سعيدة مع زوجى وأنه وحش وتريدنى أن أساعدها فى الطلاق منه لتعود الى ونتزوج ونعَّوض ما فاتنا من سعادة ، سمعت كلماتها ولم أشعر بأى عاطفة نحوها .. ولا بأى إشفاق عليها ، وانما شعرت بتشفٍّ غريب فيها وبشماتة عجيبة فيها .. وظللت صامتا الى أن أنهت كلامها ، ثم وجدتنى فجأة انتفض واقفاً وأتجه اليها ثم أجذبها من ملابسها وأدفعها فى إتجاه الباب فخرجت مهرولة ودموعها تسابقها وعدت الى مكتبى وصدرى يعلو ويهبط ومشاعرى ملتهبة ثم إنفجرت فى البكاء ربما للمرة الاولى فى حياتى ، ولا تتصور أنّى بكيت من أجلها ، فلقد بكيت حزنا على نفسى وعلى ما تردَّيت اليه ووجدت صورة أبى تقفز الى مخيلتى وسمعت صوته يرن فى اذنى كأنه يقول لى أهذا ما علمتك اياه من قيم وفضائل .. أهذا ما حرمت نفسى من أجله لتعليمك وتربيتك لكى تسعد الآخرين ؟

فخرجت من العيادة الملعونة مندفعا وركبت سيارتى وجريت بها فى الشوارع بلا هدف وفى الصباح أغلقت العيادة وأبلغت المرضى انى سأحصل

على اجازة طويلة وأمضيت عدة ايام غير قادر على عمل أى شىء ثم ركبت
الطائرة وسافرت الى الخارج لمدة شهر ، راجعت نفسى خلاله وعدت عاقد
العزم على أن أبدأ حياة جديدة ومن المطار عدت الى شقة الاسرة الصغير
التى تعيش فيها أمّى مع اصغر اخوتى بعد ان رفضت ان تعيش معى فى شقتى
الفاخرة كأنها كانت تحس بقلب الام انها مشتراة من مال حرام رغم ا
اخوتى لم يجرؤوا على إبلاغها بما وصلت اليه وجلست الى جوارها وهى تصل
وتدعو لى الله أن يفرج كُربتى وأن يذهب عنى الضيق الذى احس به
وبعد أيام عدت الى عملى بالمستشفى الحكومى الذى لم أذهب اليه طوال
٧ سنوات إلا خطفاً وكنت أحصل على مرتبى منه بلا عمل وأتصيد الزبائن
منه لعيادتى حيث « أذبحهم » فيها وأصبحت اصحو كل صباح مبكرا فأذهب
الى المستشفى فأعمل وانا مستريح الضمير وأعود الى بيت امى فى الظهر
مستريحا فأمضى الوقت مع امى ومع أخوتى الذين انصرفت عنهم طوال
السنوات السبع الرهيبة .

ومنذ ذلك الحين لم أفتح أبواب العيادة بل ولم أمر من الشارع الذى
تقع فيه . والآن يعلم الله صدق توبتى ورغبتى فى أن أعود كما كنت إنسانا
نظيفا طاهرا وقد بدأت اشعر بطعم اللقمة الحلال وبطعم النوم الهادىء اما
هى « معذبتى » فلم أعد قادرا حتى على كراهيتها وأنما اصبحت اطلب لها
المغفرة لما سببته من الام للجميع . والآن يا صديقى يؤرقنى شىء واحد هو
ماذا أصنع بهذه التلال من الاموال المغموسة فى الحرام التى جمعتها من دما
مرضاى .. لقد حزمت أمرى فيما يتعلق بالعمل لكنى لم أحزم امرى بعد
فيما افعل بعائد هذا العمل المحرم فهل تستطيع أن تشير على بالرأى الصواب
وهل ترى أن الله سبحانه وتعالى سوف يقبل توبتى ؟ .

● ● ●

ولكاتب هذه الرسالة أقول : اننى أشكرك يا صديقى على حرصك على ان تضع تجربتك الفريدة هذه امام قراء بريد الجمعة لنستفيد جميعا من درس التجربة المريرة التى عانيتها ، وخير التجارب ما نتعلم منه أن المال الحرام لا يحقق السعادة كما يتصور البلهاء ، وان الطريق الخاطىء لا يقود الا الى التعاسة والهلاك .

لقد مَررت بتجربة أليمة يا صديقى وقد شاءت الأقدار أن تنجو سريعا من المستنقع الذى سقطت فيه وأن تعود إلى نفسك وان تستشعر عذاب الضمير لذلك فأننى لا أتوقع لك أن تعود مرة أخرى إلى الطريق الخاطىء لأن معدنك أصيل رغم كل شيء ولأنك تعلمت الدرس الثمين من التجربة القاسية والمثل الانجليزى يقول « تجربة آلمتنى تجربة علمتنى » ولقد تعلمت خلال فترة قصيرة ما لم يتعلمه من أفنوا العمر يجمعون المال الحرام بلا أدنى احساس بوخز الضمير ومن لا يفيقون عادةً إلا على الصدمات المزلزلة وقد لا يفيقون حتى يواريهم التراب فانت اذن يا صديقى صاحب قلب حكيم وإنّى لأستشعر صدق رغبتك فى التطهر مما إقترفت يداك تحت تأثير المحنة التى عشتها ، وحكمة التوبة أنها تفتح الباب أمام الخاطئين فى أى وقت للرجوع عن الخطيئة ، ولو أغلق الله جل شأنه باب التوبة فى وجوه الخاطئين ما وجد خاطئٌ دافعاً لكف الأذى عن الآخرين والتوقف عن غيِّه مادام سوف يؤخذ بجريرته الى الأبد ولا أمل فى المغفرة فلا تشكُّ ابدا فى أن الله سوف يتقبل توبتك وأنه سوف يقود خطاك إلى الطريق المستقيم .

أما أموالك المغموسة فى الحرام .. فلعل أهل الذكر يشيرون علىَّ وعليك بما تفعله بها .. ولكنى قد أتصور مبدئيا أن خير ما تفعله بها هو أن تهب معظمها لشراء أجهزة طبية غالية الثمن كأجهزة غسيل الكلى أو أجهزة رسم القلب وما أشبه والتى يستفيد منها المرضى الفقراء وأن تتبرع بهذه الاجهزة للمستشفيات العامة .. فتحول ما كسبته خلال سنوات الضياع الى عمل نافع

يخفف عن الآخرين آلامهم ويجرى عليك حسنة جارية تذهب السيئات وتبشرك بأجر عظيم ، كما أتصور ايضا أن عليك ان تسقط من حياتك هذه السنوات اللعينة وأن تبدأ حياة جديدة سوف يوفقك الله فيها الى من تستحقك وقد أحسنت صنعا حين طردت فتاة « الأحلام المنهارة » من حياتك الى الأبد فهى فتاة انتهازية بطبيعتها وهى حين عادت اليك لم تعد اليك مدفوعة بحبها القديم وحده وانما بما سمعته عن نجاحك وثرائك فيها أتصور فأرادت كعادتها فى الحصول على الاشياء الجاهزة بلا كفاح ان تحصل على المال والنجاح وفتى الاحلام القديم . ولم يكن عدلا أن تعطيها الدنيا كل شيء ولم يكن عدلا أن تقبل أنت بقاياها بعد أن باعت الحب والاحلام بالشقة والسيارة بحجة الواقعية المزعومة ، وهى فى الحقيقة ليست واقعية لكنها عزوف عن الكفاح ورغبة فى الاستسهال وجرى وراء المال بلا مشاعر ولا أحاسيس .. وهذه كلها بكل أسف من امراض العصر .

فوق السحاب

قد لا تهم مشكلتى أحدا .. وبالرغم من ذلك فانى أحس بالرغبة فى أن اورويها لاحد .. لانى فى حاجة الى مشاركة وجدانية ولو على البعد .

قصتى يا سيدى تبدأ منذ حوالى سنة حين دعيت لحضور زفاف إحدى صديقاتى فتعرفت فى حفل الزفاف على شاب وسيم رقيق عرفت فيما بعد أنه ابن عم العروسة .. جاءت جلستى معه على نفس المائدة فتعارفنا وتبادلنا الحديث ومضت أسابيع قليلة بعدها لم أره أو التقى به خلالها ثم فوجئت به يتقدم لخطبتى فوافقت .. فلقد كان كما يقولون عريسا لقطة .. شاب هادىء .. مؤدب « وعريق » ماديا واجتماعيا ورحبت به أسرتى ، وكان طلبه الوحيد من اسرتى هو إتمام الزواج خلال شهر واحد فقط من يوم تقدمه لخطبتى وخلال شهر الاعداد للزواج اقتربت منه جدا وبصراحة وقعت فى غرامة بطريقة عنيفة فلقد كان الرجل الأول والاخير فى حياتى .. وكان كل شىء يمضى على ما يرام خلال فترة الإستعداد للزواج .. ماعدا إصراره على الزواج بسرعة رهيبة .. بلا سبب مفهوم حتى لقد دهشت والدته من هذه السرعة وتعجبت من رغبته فى عدم انتظار عودة شقيقته التى أتمت دراستها فى الخارج وعلى وشك الوصول لتحضر زفافه .. وهى كما يقولون توءم روحه وسره .. وحبه الكبير ، المهم تم الزواج بغير انتظار شقيقته وبدأنا شهر العسل وكان سعيدا جدا وكنت طائرة فوق السحاب .. إلى درجة أننى التفت الى عبارة كان يرددها باستمرار خلال ايام العسل هى « ربنا عوضنى بيكى » ولم أتوقف لاسأل نفسى عوضه عن ماذا إنه شاب لديه كل شىء فى الدنيا فما هو التعويض فى حياته .

المهم قطعنا شهر العسل بعد ٣ اسابيع لنستقبل شقيقته العائدة من الخارج .. واكتشفت فى المطار انها كانت صديقة لى فى الدراسة وسعدت بها جدا .. ومضى أسبوع آخر وأنا أستغرق يوما بعد يوم فى حب زوجى حتى اصبحت أشعر به تحت جلدى وفى عروق ، فمشاعرى تهتز حين أنطق باسمه .. وقلبى يرتجف حين اراه وانتهى العسل وعاد زوجى الى عمله وفى اول يوم دخل فيه مكتبه معللا بأن لديه عملا ورجانى ان انام واتركه فتركته وذهبت الى فراشى وبعد ساعة نهضت لأطمئن عليه فوجدت نور غرفة المكتب مطفأ .. ووجدت زوجى جالسا فى الشرفة ساهما والدموع تنساب من عينيه . فزعت وحاولت أن اعرف منه ماذا جرى فرفض ورجانى ان اتركه فتركته ومن هذا اليوم يا سيدى لم يعد زوجى .. هو نفس زوجى الذى عرفته وأحببته فلقد انصرف عنى تماما ولم يعد ينظر إلى أبدا ولا يتحدث معى إلا بالكلمات الضرورية .. يذهب الى عمله فى الصباح ويعود فى المساء الى غرفة مكتبه ليجلس مع حزنه المستمر وإذا جمعنا مكان او جلسة عائلية انتحى جانبا باحد الحاضرين واستغرق معه فى حديث طويل لا اسمعه وسألته ان كان غاضبا منى فأنكر .. ثم لاحظت أنه ينتحى بشقيقته ويتحدثان حديثا هاما طويلا فسألت شقيقته فلم تقل لى سوى عبارة .. خليك معاه ، فضغطت عليها .. وقلت لها إننى فى طريقى للجنون ففسرى لى ما حدث لزوجى فنظرت إلى باشفاق ثم قالت سأروى لك كل شىء . وروت لى ما لم اتوقعه قالت لى إن زوجى كان مرتبطا عاطفيا لسنوات .. بفتاة أحبها بصدق واحبته واتفقا على الزواج .. لكنها فجأة تزوجت بغيره وتصور أنها قد غدرت به وبحبه فتزوجنى على وجه السرعة لينساها ووجه كل اهتمامه الى وسعد بى إلى أن انتهى شهر العسل وذهب الى مكتبه فى اليوم الأول فاتصلت به احدى صديقاتها لتقول له إن أهل فتاته قد زوجوها رغما عنها وإنها عجزت عن المقاومة فاستسلمت ثم سافرت إلى الخارج فى شهر العسل

وعادت لتجدك متزوجا .. ولم تتحمل فانتحرت وكان طلبها الأخير أن تخبر صديقتها زوجى أنها لم تغدر به سمعت ما قالته لى شقيقة زوجى وانهرت .. ألهذا إذن كان يتعجل الزواج ؟ .. ألهذا اختارنى . بكيت طويلا ثم استجمعت نفسي وأدركت اننى اخوض معركة لاسترجاع زوجى .. وقلت إننى ساحارب لإنقاذه وإنقاذ بيتي وسعادتى .. وفعلت المستحيل لاستعيده واخرجه من حزنه ووحدته وانصرافه عنى سألت عنها ورأيت صورتها وعرفت عنها كل شيء .. وحاولت ان أكون مثلها فى كل شيء فى تسريحة شعرها فى طريقة لبسها .. وطريقة كلامها .. وعاداتها وفى كل شيء .. ففشلت .. واستمر حزينا وحيدا . وحاولت ان أكون عكسها فى كل شيء لعلى اعجبه .. ففشلت ايضا واستمر وحيدا وواجهته ذات يوم بما عرفت وقلت له ان ما حدث ليس خطأه ولا خطئى .. وإنى مستعدة لان اعيش تحت قدميه من أجل أن تعود اليه ابتسامته .. فنظر إلى بعطف ثم مد يده ليربت على خدى . وكانت المرة الاولى التى يلمسنى فيها منذ ٥ شهور .. ثم قال لى « اشكرك يا .... » وكانت المصيبة أنه نطق باسمها هى لا بأسمى انا زوجته وحين بكيت اعتذر لى أسفا بأنه لم يقصد ايلامي .. لكنها فلتة لسان ومازلت أعانى هذا العذاب كل يوم .. أحيانا أريد ان أواصل الكفاح معه واحيانا أخرى اشعر ألا فائدة هناك ولابد من الانسحاب بهدوء ..

ان شقيقته ترجونى ألا أتركه .. وأن أستمر فى المحاولة وان انجب طفلا لكى يربط بينى وبينه ويرجونى قلبى كذلك أن أستمر وأن أحاول .. لكن عقلى يكاد ينفجر مما أراه من فشلى معه .. فهل ستجدى محاولاتى .. وهل أخطأت ؟ .

● ● ●

* * وأقول لكاتبة هذه الرسالة : لا يا سيدتى لم تخطئى فيما حدث ولا ذنب لك فيه .. لكنها أقدار مأساوية اختارتك بمحض الصدفة لتكونى البطلة المعذبة فى هذه القصة الغريبة التى كدت اشك فى أنها قصة منقولة عن أحد الأفلام القديمة لولا أننى أحسست بصدق مشاعرك وبصدق كلماتك وانت تروين فصولها وتروين عذابك معها .. وإن كنت لا أفهم سر هذه المأساة التى حالت بين زوجك العريق ماديا واجتماعيا كما تقولين وبين الزواج من فتاته .. فقصتك كلها تجرى فى وسط لا يحول فيها اهل بين فتاة ومن تريده كزوج .. بلا سبب هكذا .. إلا إذا كنت قد أغفلت السبب عن عمد .. على اية حال فإننى لا ألومك على ما حدث إلا فى نقطة واحدة هى الزواج السريع الطائر الذى تم خلال شهر واحد من يوم التقدم للخطبة إلى الزفاف وانت لا تعرفين شيئا تقريبا عن زوجك الجديد ، وكانت النتيجة أن اكتشفت انك الوحيدة التى لا تعرف قصته .. كذلك فانى قد ألومك وان كنت افهم دوافعك واقدرها على محاولاتك لأن تستعيدى الزوج الغائب بمحاولة أن تكونى مثلها فى كل شىء أو عكسها فى كل شىء .. فهذه المحاولة وان كانت نابعة عن اخلاصك وحبك لزوجك إلا أنها ليست الطريق السليم لاستعادته .. فكونى نفسك يا سيدتى . ولا تكونى غير نفسك مهما حدث فهو ان استجمع نفسه من محنته وهى محنة حقيقية بكل اسف فلابد أن يقبلك كما أنت لا كما يتصورك ، بل إنها إهانة لك أن يريدك صورة باهتة لأحد غيرك .. فاصبرى عليه واستمرى فى محاولاتك وسوف تنجح محاولاتك فى النهاية فمن نعم الله على الإنسان أنه انعم عليه بالنسيان يداوى به جروحه والامه .. وهو سوف ينسى ما حدث بعد حين .. وسيعود إليك لكنى فقط أنصحك بتأجيل الانجاب إلى أن تستعيديه تماما وتتأكدى من شفائه مما حدث .. فقفى بجواره فهو يحتاج إليك .. وأنت كما فهمت من رسالتك متمسكة به وراغبة فيه باخلاص وقلبك كما تقولين يرجوك ان تستمرى ، فاستجيبى لندائه .. وأعطى عقلك أجازة قصيرة إلى أن تسعيدى زوجك من غربته .. وسوف تنتصرين فى النهاية بإذن الله .

إنتصـــار الحيـــاة

[أنا يا سيدى صاحبة القصة أو المأساة التى نشرتها منذ ٩ شهور واخترت لها عنوانا معبرا هو « فوق السحاب » وباختصار شديد فإنى أكتب لك لاخبرك أن ما توقعته قد حدث وإننى انتصرت كما توقعت لى رغم اننى لم أكن أتوقع ذلك ولم أكن اشاركك تفاؤلك فلقد عملت بما نصحتنى به تماما ، فصبرت على زوجى ، وواصلت محاولاتى معه وكففت عن أن أكون أية إنسانه غيرى وغير نفسى وشخصيتى وأنا أكتب لك قصة نجاحى لانها قصة نجاح أخرى لبريدك .. فقد بدأت بأن وضعت اعصابى فى ثلاجة وانتهت ثوراتى تماما ، وعدت رقيقة هادئة كما كنت مع زوجى قبل المأساة ، حتى إنه بدأ ينظر إلى باندهاش من تغيرى ، ثم بدأت شيئا فشيئا فى التسلل إليه والحديث معه عن أى شىء ... لكنى كنت أحرص فى النهاية على أن يصل الحديث إلى مأساة غريمتى ... وشيئا فشيئا بدأت انزلها من مرتبة الآلهة التى وضعها فيها زوجى إلى مرتبة البشر بحسناتهم ونواقصهم حتى إذا ما وصل زوجى معى إلى هذه المرحلة بدأت فى اقناعه ببطء بأن الإنسان مخير فى تصرفاته وأن كل ما يفعله إنما يفعله باختياره لكن القدر فى النهاية هو الذى يضع لمساته الاخيرة على لوحة الحياة ، فالمسئول عن زواج غريمتى وانتحارها فى النهاية هى نفسها وليس أى أحد غيرها ، والمسئول عن زواجه منى هو وليس أحدا غيره ، وبعد كل مناقشة هادئة من هذا النوع كنت أتركه وانسحب إلى غرفتى وأتركه يفكر بهدوء فى كلماتى ، وكنت حريصة على ألا أفرض عليه نفسى فى أى وقت أحس فيه انه يحتاج الى ان يكون وحيدا مع نفسه ومع ذكرياته ، وإلى جانب ذلك كنت أحدثه عن عمله ، ولا أكف عن الصخب والمرح معه والخروج بصحبته كلما وجدت لديه استعدادا .

والحمد لله كنت أنجح فى أن أرى الضحكة تنير وجهه الجميل الذى أعشقه بصدق ومع الأيام بدأت نفسى تهدأ ... لكن زوجى لم يعد إلى رغم ذلك حتى أوشكت أن أيأس مرة أخرى وعاد الشك الى نفسى مرة أخرى ، وبدأت قدرتى فى الضغط على أعصابى تتراجع ... وذات يوم طلب منى ان أذهب للبقاء مع والدته طوال النهار لأنها تحتاج إلى رعاية ولآن شقيقته مشغولة بالخارج فذهبت ، وفى المساء جاء فاصطحب والدته واصطحبنى معه إلى بيتنا فدخلت الشقة لأجد مفاجأة عمرى . وجدت كل اصدقائنا وشقيقته فى شقتى ... وأزهارا وشموعا وتورتة ... إنه عيد ميلادى .. يا إلهى ! إنه يتذكر عيد ميلادى ويقيم حفلا من أجلى .. وقد أعد الحفل خلال غيابى ... وقفت والدموع فى عينى لا أصدق نفسى أنه يتذكر عيد ميلادى ... إنه يعود إلى بعد كفاح استمر أكثر من عشرة شهور لقد أراد الله لى النجاح فى النهاية لأنى أخلصت فى محاولاتى لاسترجاعه ... لقد انتحى بى جانبا وقال إنه يعترف بفضلى وإنه يعرف الآن ان كل ذرة فى قلبه وعقله تحبنى ... لقد بكيت طويلا والأصدقاء من حولنا يصخبون .

لم أسعد فى حياتى مثلما سعدت فى هذه الليلة ... إن للانتصار نشوة عظيمه ... إن العواطف تستطيع فى النهاية مع شىء من العقل أن تنتصر ... وما أحلى انتصارى ... لقد كتبت لك لأن من حقك أن تعلم بسعادتى كما علمت من قبل بشقائى ... فهنيئا لى بزوجى بعد الغياب الطويل وهنيئا لك بدعواتى على نصيحتك المخلصة لى .

● ● ●

ولكاتبة هذه الرسالة اقول :

وهنيئا لزوجك أيضا ... زوجته المحبة المتفانية « المكافحة » بصبر وإخلاص لاستعادته .

لقد كافحت يا سيدتى كفاحا مجيدا للدفاع عن حياتك وعن سعادتك ومن حقك أن تجنى ثمار العناء والشقاء والعذاب الطويل وأن تسعدى بها ومن واجب زوجك أن يقدر لك هذه التضحية وأن يشكر الله كثيرا أن وهبه هذه الزوجة المتفانية المتمسكة به رغم طول « السفر » بروحه ومشاعره بعيدا عنها . لقد انتصرت الحياة فى قصتك فى النهاية على أشباح الماضى ... ولابد أن تنتصر الحياة لان الحياة أقوى دائما من الاشباح ، ولأن مثل هذه الإرادة الصلبة لابد ان تحقق ما تهدف إليه . إننى اشكرك على حرصك على إبلاغى بسعادتك كما سبق أن ابلغتنى بتعاستك ، ولا شك أن رسالتك هذه سوف تسعد من تعاطفوا معك فى البداية وسوف تقنع أخريات بأن يواصلن الكفاح لاستعادة « المسافرين » بالروح والوجدان بعيدا عنهن ... ، وهذه هى أهمية التجربة الانسانية التى تطلعنا عليها بعض رسائل البريد ... فرسالتك تثبت لغيرك أن للأمل بقية وإنه لا يأس مع الحياة ، وإنه بالصبر والاخلاص قد يعود الغائب ذات يوم إلى عشه فشكرا لك وتمنياتى لك بعمر طويل من السعادة إن شاء الله .

الاختيار

بعض الرسائل تشل قدرة الانسان على التفكير ومنها فى رأيى هذه الرسالة : « انا سيدة عمرى ٢٨ سنة .. أعمل طبيبة إخصائية للأمراض الجلدية نشأت فى أسرة ثرية معروفة وعشت حياة طبيعية ، وفى ذات يوم عرض على شاب مريض بمرض جلدى بسيط فعالجته منه وخلال فترة العلاج تعرفت به وأحبنى وأحببته ثم تقدم للزواج منى ووافقت أسرتى بعد معارضة وزففت إليه .

وهذا الشاب محام معروف ناجح بدأ حياته فى ظروف مأسوية فقد تربى فى ملجأ وحصل على الثانوية العامة ثم التحق بالجامعة وكان يعمل لينفق على تعليمه ، ثم نجح فى عمله وكسب مالا كثيرا وتزوج من سيدة لم يوفق معها ثم صدم فى اخلاصها له فطلقها ، وقال لى إنه تقدم لفتيات كثيرات رفضنه لأن شكله غير مقبول ووجهه غير وسيم . وبالمناسبة فأنا على قدر كبير من الجمال والذكاء وقد تزوجت هذا الشاب وأحببته كثيرا وعشت معه حياة سعيدة كل السعادة ووجدت لديه الحنان والعطف والطيبة وقد أرادنى أن أكون ملكه فى بيته وأن يحضر لى الشغالات فرفضت لانى اريد ان اخدمه بنفسى .. وفعلا خدمته وأصبحت له زوجة وسكرتيرة .. أرتب مواعيده وأكتب له المذكرات وأختار ملابسه .. وبعد عامين من الزواج تأكد وتأكدت من خلال الفحص الطبى الذى أجراه على نفسه أنه غير قادر على الإنجاب ، فعرض على ان نتبنى طفلا من أحد الملاجىء لكى لا أشعر بنقص الأطفال فى حياتى فرفضت وقلت له إنه يكفينى أن أكون بجوارك .. وأن أكرس حياتى لك فطلب منى أن أستقيل من عملى لأنه لا يحب أن يرانى مرهقة وموزعة بين العمل والبيت ، فاستقلت فعلا وتفرغت نهائيا له ولحياتى

السعيدة ، ومضى العام الثالث من زواجنا وسافرنا الى الاسكندرية للاحتفال بعيد الزواج ، وفى رحلة العودة اصطدم لورى كبير بسيارتنا ، فأصيب زوجى بكسر فى ذراعه وبجروح بسيطة ، أما أنا فقد أصبت بفقد البصر وأجريت ٤ جراحات لاستعادته فشلت كلها لكنى لم أيأس من رحمة الله وسأجرى جراحة أخرى يوم ٢٥ نسبة نجاحها تزيد على ٩٥ ٪ وأملى كبير فى الله أن أسترد بصرى . تسألنى بالطبع كيف كتبت لك هذه الرسالة وأنا عمياء . لا بأس ، إنى أملى رسالتى هذه على شغالتى وأمينة سرى التى تربت معى فى بيت أبى وحين أصبت بفقد البصر أصر أبى على أن تصاحبنى لتخدمنى . ومضت الحياة بعذ ذلك ولم يتغير شىء فأنا باقية على حبى لزوجى وأتفانى فى خدمته حتى مع ظروفى الجديدة ، وهو أيضا باق على حبه وإخلاصه لى وتفانيه فى إسعادى بل إنه أصبح أيضا عينى التى أرى بها الدنيا . لكننى فجأة لاحظت منذ حوالى شهرين أنه قد أصبح كثير السفر والمبيت خارج البيت ، إنه محام مشهور يترافع فى قضايا عديدة فى محافظات مختلفة ويسافر كثيرا .. لكنى رغم ذلك لاحظت أن نوبات سفره قد زادت وبالذات الى الاسكندرية وفى إحدى المرات غاب هناك أسبوعا كاملا كان يتصل بى خلاله كل يوم بالتليفون ويعدنى بالحضور كل يوم ثم حضر أخيرا متعللا بأن القضية كانت مرهقة وطالت جلساتها . ولم أعترض وفى الصباح غادر البيت إلى مكتبه ، وقالت لى أمينة سرى إن بدلة زوجى تحتاج الى تنظيف فطلبت منها إخراج محتوياتها قبل إرسالها للمكوجى ففعلت . فإذا بها تجد بين أشيائه قسيمة زواج حديثة من سيدة بالاسكندرية . لم أصدق اذنى فطلبت منها أن تقرأها مرة ثانية وثالثة ورابعة وحين انتهت من قراءتها للمرة الخامسة كنت قد غبت عن الوعى . لماذا يا ربى ؟ .. لأننى عمياء ؟ أن عماى مؤقت كما يقول الأطباء ... ثم ما معنى هذا ؟ ان تصرفاته معى تقول لى إنه مازال يحبنى ويغمرنى بعطفه وحنانه فلماذا يتزوج غيرى ؟ وماذا افعل الآن إننى لم أفاتحه بعد بأنى قد عرفت بنبأ زواجه ولم أفاتح أهلى به ولو

فعلت لسعوا لتطليقى منه على الفور .. وأنا الآن حائرة لا أعرف ماذا أفعل ؟ فإنى إذا أبلغت اهلى بالنبأ وطلقونى منه ثم اجريت الجراحة ونجحت واستعدت بصرى فإنى سأندم طوالى حياتى على انى طلقت منه ، وإذا فشلت العملية فإنى لن اندم على عدم إبلاغ اهلى لانى فى هذه الحالة سأظل عمياء ولن أستطيع خدمته كما كنت افعل فى سنواتنا الاولى . وان كنت سأزداد ارتباطا به لأنه عينى التى أرى بها . ماذا أفعل .. أرجوك أن تجيبنى قبل موعد الجراحة يوم ٢٥ الحالى ..

● ● ●

* * هذه هى رسالة الزوجة المعذبة التى تلقيتها .. والتى عنيتها حين قلت إن بعض الرسائل تشل قدرة الانسان على التفكير ، فالحق يا سيدتى أنى لا أريد أن أغامر بإبداء رأى حاسم فى مشكلتك وأفضل أن أستعين بعقول القراء لتشاركنى مهمة التفكير الصعبة فى النصحية المناسبة لك . فمشكلتك صعبة بالفعل وأنت تواجهين فيها اختيارا مريرا بين الرضا بحياتك الحالية وبما تقدمه لك من بعض العزاء .. وبين هدم المعبد من أساسه والبدء من جديد فى ظروف قد لا تكون مواتية . أنت تواجهين الاختيار بين الرضا بنصف زوج وبنصف الحنان والحب وبين الوحدة وافتقاد الرفيق الذى تميلين إليه ، وعليك وحدك أن تختارى ، ولو تركت لنفسى العنان لقلت إنى احس من كلمات رسالتك أنك متمسكة به رغم كل شيء وراغبة فيه وفى إستمرار الحياة معه . ولقلت لك إن ظروفك الأخيرة ليست فى رأيى الدافع الأساسى وراء نزوة زوجك ومغامرته الحمقاء .. ذلك إن بعض الرجال يرفضون أن يصدقوا أنهم المسئولون عن عدم الانجاب رغم نتائج الفحوص ويسعون سرا لتجربة حظوظهم مع أخريات لإقناع أنفسهم بأنهم قادرون على ما حرمتهم الطبيعة منه ، أعتقد أن هذا هو سبب مغامرة زوجك وليس فقدك للبصر لأنه مؤقت .. وأنت تنتظرين جراحة نسبة نجاحها عالية .. ولم يمض وقت

طويل على تعرضك للمحنة بحيث ييأس زوجك ويحاول تعويض نفسه عما فقد ، وحتى لو كان فقدك للرؤية دائما .. أيكفى هذا وحده للانصراف عنك .

إننا نعرف نماذج عديدة ناجحة لزواج موفق سعيد بين أزواج وزوجات حرمهم الله نعمة البصر لذلك فان هذا السبب لا يكفى وحده فى رأيى للانصراف عن زوجة محبة مخلصة مثلك . ثم ألم يفكر زوجك ماذا كان من الممكن أن يحدث لو أصيب هو فى هذا الحادث بفقد البصر وأصبت أنت بالجروح البسيطة ؟ .

أكنت تتخلين عنه بهذه السرعة ؟ أشك فى ذلك كثيرا .. لآن المرأة السوية أكثر عادة رضا بقضاء الله من بعض الرجال الجاحدين ، أننى لا أريد أن أواصل الحديث معك لكى لا أنجرف الى إبداء رأى محدد قد يكون جائرا لكنى سأنقل إليك ما أتلقاه من أراء قراء البريد[1] ، وإلى اللقاء .

---

(١) رجحت معظم آراء القراء انفصال الزوجة عن زوجها لعدم وفائه وذلك بنسبة ٦٥٪ من الآراء .

الزهــور .. الســوداء

لم اتردد فى الكتابة اليك لاننى أشعر بحاجتى الى صديق ابثه همومى فى زمن عز فيه الاصدقاء .. وعزَّ فيه من يمكن أن يعطيك اذنيه ليسمع همومك .. ولابدأ من البداية البعيدة فأقول لك يا سيدى اننى شاب فى اوائل الثلاثينات أحمل مؤهلا فوق المتوسط .. وقد نشأت فى أسرة متوسطة من ابوين كريمين وبدأت حياتى العملية بعد تخرجى من المعهد فى وظيفة بالقطاع العام ، ومضت الايام هادئة الى ان اكتشفت اننى قد بلغت السادسة والعشرين وآن لى ان ارتبط بإنسانة أبنى معها عش حياتى فوجدتها فى شخص قريبة لزميل لى فى العمل . تعرفْت اليها ودخلت المنزل من الباب وتمت الخطوبة ، وحصلت على اجازة بدون مرتب وسافرت للعمل فى الدول العربية لاجمع ما يكفى للحصول على شقة وتأثيث عش الزوجية واغتربت يا سيدى وذُقت طعم الغربة من أجل غرض محدد هو المال . ولا استطيع ان أصف لك مالقيته خلال رحلة غربتى من عناء وهوان ومشقة وكبت نفسى واجتماعى لكننى رغم ذلك تحملت وشقيت وعملت مضاعفا فى اسوأ الظروف فكنت اعمل دائما فى الصحراء وفى الجبال وفى سبيل حافز مادى اكبر ، وعملت اكثر من وردية عمل فى اليوم الواحد ، وعملت فى نوبات العمل خلال الليل لاحصل على نقود اكثر ، وحرمت نفسى من كل شىء عدا ما يقيم اودى من الطعام ، لاوفر ما احتاج اليه من مقدم للشقة ومن كماليات لها ، ورغم ذلك فلقد كنت سعيدا لاننى اشقى من اجل هدف سعادتى مع الانسانة التى اخترتها .

ومرت الايام ثقيلة بطيئة لا يعرف ثِقَلها الا من عانى الغربة والوحشة .. يكفى أن اقول لك اننى كنت أخُط خطا على حائط غرفة نومى كلما طلع

النهار سعيداً بإنقضاء يوم من أيام عذابى سوف يُقرِّبنى من تحقيق حلمى وكلما اكتملت ٧ خطوط شطبت عليها سعيدا بإنقضاء اسبوع واقتراب جمع الشمل وكلما تجمع لدى مبلغ من المال حَّولتُه الى مصر حتى استطعت خلال ٤ سنوات إستئجار الشقة وتأثيثها بكل الكماليات ، وجاء يوم العودة وعدت الى مصر طائرا على جناح السعادة ، وبعد أسابيع من عودتى تم الزفاف ودَخلتُ عش الاحلام الذى بنيته طوبة طوبة بشقائى وإغترابى لكنى أحسست بعد أيام من بدء حياتى الجديدة بشىء غامض فى جوّها لا اعرف كنهه . أحسست بان جوًّا من الفتور يخيِّم على عش الاحلام وبدأت أحس باننى غريب فى بيتى . وأن فتاة احلامى ليست على ما يرام معى لكنى لا اعرف السبب . وقلت لنفسى لعلها الغربة الطويلة التى باعدت بيننا ولعل الأيام تتكفل بإذابة الجليد لكن الأيام حملت لى بعد ذلك اكثر من تطور هام فبعد الزفاف بإسبوع أحضرت زوجتى سريرا سفريا وضعته فى غرفة الصالون وأصبحت تقضى معظم وقتها وحيدة فيه ، وصُدمت صدمة هائلة .. لكنى لم افقد الامل فى تغيير الاحوال بعد ان تخلق العشرة الروابط العميقة بيننا ، وكتمت الامى .. وواصلت الحياة فى صبر ، وعدت للعمل بعد الاجازة آملا ان يخفف عنى العمل ما أعانيه .

وسألت أهل الخبرة من زملائى .. فقالوا ان هذه هى أحوال بعض الفتيات الصغيرات فى بداية حياتهن الزوجية .. حيث تتغير حياتهن فجاة ويجدن انفسهن بعيدات عن الاهل وبيت الاهل الذى نشأت فيه ، وان الفتاة تألف بعد قليل حياتها الجديدة وتتمسك بها ، وأنه من المفيد فى هذه الحالة بعض اللمسات الرومانسية البسيطة كهدية صغيرة أو باقة زهور .. مع كلمات رقيقة او فسحة فى الخارج ، واسمح لى ان اقول لك اننى حتى هذه اللحظة لم اكن قد اشتريت فى حياتى باقة زهور ولا اعرف عنها شيئا لكنى سألت فدلنى زميل على محل قريب ونصحنى بشراء زجاجة عطر وتقديمها

مع الزهور ففعلت ودُخت فى الشوارع حتى وجدت سيارة تاكسى للعودة الى البيت لكيلا تتمزق الزهور فى الاوتوبيس ، وعدت حاملا الزهور و« لفة » الهدية مترقبا أثر المفاجأة على وجهها الحزين وفتحت باب الشقة متوثبا ففوجئت بمنظر مازال محفورا حتى الان فى ذهنى فوجئت بالشقة خالية تماما من كل شيء .. من زوجتى التى اغتربت من اجلها ٤ سنوات ، ومن الأثاث ومن السجاد ومن الستائر .. ومن التليفزيون ومن كل الكماليات ، دُرْت فى غرف الشقة كالمجنون فوجدتها خالية تماما .. ليس فيها سوى البلاط وبعض ثيابى ملقاة على الأرض .

آه .. اننى لا اريد ان اتذكر هذه اللحظات القاتلة .. لكنها تتسلل الى رغما عنى .. فاتذكر منظرى وانا اطوف بالغرف الخالية مذهولا ثم وانا اقنع نفسى بان ما حدث ليس حقيقة واحاول ان اجد شيئا استند اليه لكيلا اسقط على الأرض فلا أجد سوى كومة ملابسى فاجلس فوقها .. واضع رأسى على يدى حتى تجف دموعى .. ثم انهض لاواجه الامر الواقع فى النهاية وصدقنى اننى لم أبك حزنا عليها لكنى بكيت حزنا على نفسى وعلى قدرى وعلى سنوات عمرى التى أهدرتها فى الجبال والصحارى وحزنا على البراءة التى اغتيلت فى زمن لامكان فيه للبراءة فأنا لم افرض نفسى عليها .. فلماذا قبلتنى فى البداية ؟ .. ولماذا تطعننى هذه الطعنة ولم يمض على زواجى منها سوى ٣٠ يوما تبينت فى هذه اللحظة فقط أن زوجتى قد حزمت امرها ودبَّرته ونفذته وانا غائب تماما عن الموقف .. متصورا ان الامر مجرد رهبة للحياة الجديدة وانها سوف تألفها بعد قليل .

وبقدر ما تحملت من الالم نهضت فجأة وذهبت الى بيت أسرتى وطلقتها بلا تردد وبعد أيام بدأ الرُسَل يتوافدون بين الأسرتين لانهاء الامور التقليدية .. ولم أتوقف عند أى شيء وخلال الايام والاسابيع السوداء التى تلت ذلك تكشف لى ما لم اكن اعرفه ، فبعد ثلاثة شهور بالضبط من طلاق

لها تزوجت بمن تحب وهو زميل لها فى العمل نمت بينهما علاقة الحب خلال إغترابى . وكرهت الدنيا واصررت على ان أحيا وحدى فى الشقة الخالية لكيلا أرى احدا أو يرانى احد وعدت الى شقتى ولست بحاجة لان اقول لك اننى لم اكرر بعد ذلك تجربة شراء الورد فى حياتى مرة أخرى بل لعلى كرهته .. ومرت ٣ سنوات .. وعدت اشعر من جديد بالوحدة وبدأ الحنين يراودنى الى الزوجة والاطفال والاسرة مرة أخرى لكنى جريح .. وفارغ الجيوب بعد ان وضعت كل مدخراتى فى العش المنهار . وقطار العمر يمضى .. فهل ترانى استطيع ان ابدأ حياتى من جديد وماذا على ان افعل هل اغترب مرة أخرى لاعود وانا فى الاربعين وهل ترى اننى سوف استطيع ان أنسى ما حدث بسهولة ؟ .

● ● ●

* * ولكاتب هذه الرسالة اقول :

نعم يا سيدى تستطيع ان تبدأ حياتك متخلصا من اثار هذه التجربة المريرة عليك .. بل لابد وان تبدأ حياتك من جديد ، فليس من المنطقى ان يضيع الانسان عمره فى اجترار الامه .. وفى البكاء على الاطلال ولا شك انك تعرضت لتجربة قاسية .. ضاعف من اثارها ما يبدو لى من سلامة طويتك ونقص خبرتك بالحياة وبالبشر فلا شك ان النهاية الدراماتيكية التى شهدتها عن الاحلام كانت لها مقدمات طويلة تنمو تحت السطح لكنك لم تلتفت اليها فى غمار كفاحك لبنائه بالغربة وبالعمل المضاعف والشقاء لكن ما مضى قد فات ولا يفيد الان البكاء على اللبن المسكوب بل ولا يشرف الانسان وهو فى مكتمل رجولته وحياته ان ينهار انهيارا تاما امام تجربة مهما كانت مرارتها ، فقف على قدميك مرة أخرى وتعلم ان الحياة تجارب وعثرات وان الانسان استمد قدرته على البقاء من قدرته على امتصاص الالم واحتماله ، والحق اننى رغم احتقارى لتصرف فتاة أحلامك وانتهازيتها التى سمحت لها

باستكمال المشوار معك وهى مرتبطة بغيرك الا اننى ارى ان ما حدث هو افضل كثيرا من استمرارها معك وهى غير مخلصة لك ولو بمشاعرها فما اقسى ان يحيا الانسان مع من تهفو نفسه الى غيره وما اوحش ان يعيش تحت سقف واحد مع من لا يرى فيه شريك احلامه وكم من مآس يصنعها هذا الحال .. فاشكر الاقدار التى ارادت ان تجنبك هذا المصير وبلا مآس اجتماعية .. كوجود اطفال يعقد وجودهم الامور .

فإستعد نفسك يا صديقى فقصتك قديمة قدم التاريخ وقدم عذاب الانسان وحيرته ، لكنها ليست من قوانين الحياة بل هى فى النهاية استثناء من القاعدة والاستثناء موجود دائما .. والقاعدة السليمة الخيرة موجودة ايضا دائما فليست كل الفتيات كفتاتك ولا يعنى امتحانك بهذه الفتاة أنك سوف تمتحن بغيرها ، بل لعل ضريبة الالم التى دفعتها ترشحك لأن تنال حقك العادل من الحياة ولأن يعوضك الله عما لقيت بمن تضمد جراحك وتعيد اليك ثقتك بنفسك وبالحياة والبشر والخير ، وما اكثر التجارب الناجحة التى سبقتها تجارب مؤلمة فاشلة . بل لعل التجارب المؤلمة تنضج شخصية الانسان على نار هادئة وتساعده على تفهم الحياة والتعامل معها .

والحق انك انسان شهم مضحٍّ فلقد انسحبت من حياة فتاتك الظالمة بهدوء ولم تتردد فى طلاقها .. ولم تفكر فى مماطلتها .. او تعليقها او جرجرتها فى المحاكم كما يفعل الاخرون وهذه « فروسية » تتفق مع شخصيتك وتتلاءم معها اما السفر الى الخارج فأمره متروك لك لكنى أتصور ان وجود الشقة وحده يذلل اصعب عقبات الزواج وبالتالى فلا حاجة لرحلة إغتراب جديدة تبدأ بالارتباط الاسمى مع فتاة ثم تتركها لتبحر من جديد فى بحار المجهول لفترة طويلة لا أحد يعرف ماذا يمكن ان يحدث فيها فإذا ارتبطت مع أخرى فلتتعاونا على بدء جياة جديدة هنا تتشاركان فى بنائها معا ، لتكونا انتما الاثنان حريصين على نجاحها واستمرارها .. ومسئولين معا عن ذلك ..

... والا فما فائدة الالم اذن .. إذا لم نتعلم من تجاربنا ؟ .

أيام السعادة

إننى شاب فى الثانية والثلاثين من عمرى أعمل فى وظيفة مرموقة والحمد لله واتقاضى مرتبا معقولا جدا ومتزوج من زوجة رائعة تربطنى بها علاقة حب عميق ومتجدد وقد بدأت علاقتى بها حين كنت اتردد على الكلية لاستعيد ذكريات الجامعة فالتقيت بها وتعارفنا سريعا وأحببتها واحبتنى ودامت علاقتى بها ٣ سنوات حتى تخرجت ثم تقدمت لأهلها لخطبتها .. وبدأنا سويا رحلة الكفاح لبناء عش الزوجية كان مرتبى أيامها ٢٦ جنيها وكانت هى الاخرى تتقاضى مرتبا مشابها فبدأنا نشد الحزام على بطوننا لكى نجمع مبلغا لدفع خلو شقة صغيرة .. وكان متوسط الخلو ايامها حوالى الف جنيه فكافحت ليلا ونهارا وكافحت هى الأخرى حتى جمعنا اول الف جنيه تلامسنا معها فى حياتنا واذكر انه عندما اكتملت الألف الاولى اننا صرخنا من الفرح بقرب تحقيق الاحلام وفى الصباح الباكر خرجنا لنطوف على السماسرة فاكتشفنا ان متوسط الخلو قد ارتفع الى ٢٠٠٠ جنيه .. صدمنا وإنهارت احلامنا وفكرت طويلا واستقر رأيى على أن ابحث عن عمل فى دولة عربية لعدة شهور لاجمع المبلغ وفعلا وفقنى الله فى العمل فى إحدى البلاد وتحملت الغربة لمدة ٦ شهور حتى جمعت مبلغ ٢٥٠٠ جنيه .. وما أن امسكت بها حتى عدت الى شريكة حياتى طائرا على جناح السعادة .. ولا أستطيع ان اصف لك فرحتى حين وفقنى الله الى صاحب عمارة رحيم كان يطلب ٥ الآف جنيه من الجميع .. لكنى وقفت أمامه انا وخطيبتى والدموع تكاد تطفُر من عيوننا وروينا له قصة حبنا وكفاحنا فرقَّ قلبه لنا وأقسم أن يعطينا الشقة بما معنا من نقود ووقَّع العقد وسلمنا مفتاح الشقة وهو يتمني لنا السعادة .

سعدنا سعادة لا توصف وانطلقنا نطوف بالشقة ضاحكين مصفقين مهللين وبدأت أعمل ليلا ونهارا .. وأول كل شهر نقتطع ثلاثة ارباع مرتبينا ونعطيها للنَّجار .. وكان يوم شرائنا لغرفة النوم ومائدة السفرة و ٤ كراسى عيدا .. وكان يوم زواجنا عيدا آه .. ما احلى الراحة بعد العناء .. لقد إبتسمت لنا الدنيا بعد ان أمضيت ٦ سنوات تقريبا فى حرمان شبه متصل لبناء هذا البيت .. ثم بدأ الكفاح يؤتى ثماره .. فتقدمت فى عملى وتضاعف مرتبى عدة مرات وزاد مرتبها ايضا .. واكرمنى الله بفرصة عمل أخرى فى الخارج لمدة سنة اصلحت بها حياتى .

ومضت الايام سريعة سعيدة .. وذات يوم اشترت زوجتى « صندلا » صيفيا من احد المحلات ثم عادت الى البيت لتجربه فوجدته ضيقا بعض الشىء فعادت الى المحل لتعيده فاكتشفت أن مقاس الصندل هو نفس المقاس الذى ترتديه لكن قدمها هى التى ليست طبيعية بل متورمة قليلا .. شككت فى الامر فإصطحبتها الى الطبيب فشخص المرض خطأً وتخبطنا معه لمدة ٦ شهور بلا تقدم وكل اسبوع اشترى دواءً بـ ٦٠ أو ٧٠ جنيها ثم هدانا الله الى طبيب عظيم فحص زوجتى ثم قال ان هذا التورم ليس بسبب مرض الفيل كما تعالج الآن لكنه ناتج عن ماء متجمع بالساق بسبب مرض فى الكلى ، وبدأنا رحلة العذاب وكان أول ما طلبه الطبيب هو الامتناع عن الحمل .. وحدث ان سافرت فى مهمة للخارج لمدة شهر كنت خلالها أتصل بها كل اسبوع لاطمئن عليها .. وذات مرة طلبتها فلم يرد التليفون فاتصلت بأهلى لاسأل عنها فقالوا لى ان التليفون عطلان .. فلم اطمئن وقطعت رحلتى وعدت بعد أيام فاكتشفت انها قد نقلت الى المستشفى بعد ان اصيبت بغيبوبة .. وان الكلى قد توقفت تماما عن العمل واصبحت فى حاجة الى غسيل مستمر لمرتين كل اسبوع .

ولن أصف لك ما نتحمله من عذاب كل ثلاثة ايام مرة .. لكى لا اوجع

قلب أحد .. وسأختصر فاقول ان الطبيب قد نصحني ان ابحث عن متبرع بكليته لاجراء جراحة زرع الكلية لها لانها شابة وتتحمل هذه الجراحة .. فعرضت نفسى على الفور فاجريت لى التحاليل لكنى صدمت بنتيجتها التى تؤكد انى لا اصلح لنقل كليتى لها .. ولا أنسى الحالة العصبية التى انتابتنى حين عرفت نتيجة التحاليل .. فلقد ثرت ثورة عارمة فى قسم التحاليل بالمستشفى .. وصرخت .. وبكيت .. وتهوَّرت حتى على طبيبة التحاليل الإنسانة التى تحملتنى وقالت لى والدموع فى عينيها انها سعيدة ان ترى انسانا وفيا لزوجته على هذا النحو .. لكن المسألة فى رأيى لم تكن مسألة وفاء .. ولا تضحية .. بل ارتباط حياة ودم .

المهم فشلت تحاليل شقيقها الوحيد ايضا .. ونصحنى اطباء التحاليل بالبحث عن متبرع آخر وأعطونى اسم وعنوان متبرع كان قد اجرى التحاليل ليتبرع بكليته لمريض اخر فاتصلت به وطلب منى ٥ الاف جنيه فرحبت لانى استطيع بيع سيارتى وجهاز الفيديو والتليفزيون وأن ادفع له . واجرينا له التحاليل فاثبتت عدم صلاحية كليته ثم أعطونى عنوان شاب اخر يصلح وسبق ان اجرى التحاليل فاتصلت به فطلب منى عشرة الاف جنيه . شرحت له ظروفى وحياتى وأنى لو بعت كل ما املكه فانى قد استطيع تدبير هذا المبلغ لكنى لا استطيع تدبير تكاليف الجراحة والمستشفى أيضا وعرضت عليه سيارتى وكل ممتلكاتى فقبل .. ثم اختفى .. ثم عاد يتصل بى من جديد ويطلب مبلغا أكبر .. فأشرح له الظروف من جديد فيوافق ويمضى خطوات فى طريق التحاليل والاستعداد للجراحة .. ثم يختفى مرة أخرى وهكذا شد وجذب ومنذ اكثر من شهرين ونحن على هذا الحال فى يوم نفرح بقرب تحقيق الامال .. وفى يوم آخر نحزن لانهيارها وهكذا .. والغريب انه ليس محتاجا بالصورة التى قد تتخيلها فهو شاب متعلم من اسرة متوسطة يعيش فى شقة أحسن من شقتى مع اهله .. وليس فى حاجة ملحة للمال .. ولا اعرف

نوازعه او تفكيره لكنى مضطر لان أفعل المستحيل لانقاذ زوجتى .

ومازلت حائرا ومعلقا فى الهواء مع هذا الشاب .. لقد قرأت عن بعض
المشاكل التى تم حلها فى بريد الجمعة فقررت ان اكتب اليك لعلى أجد ع
طريقك متبرعا رحيما وانا على استعداد لبيع كل ما أملك وأقدمه هدية ا
يقبل مساعدتى فى انقاذ زوجتى ..

فهل استطيع ان اجد متبرعا يقبل ما عندى لقاء مساعدته فى انقاذ زو
واسرة وبيت ؟ .

● ● ●

* ولصديقى كاتب هذه الرسالة اقول اننى لا أملك سوى نش
رسالتك .. وقد نشرتها وكلى ألم مما تعانيه انت وزجتك الشابة الرقيقة م
عذاب .. فى وقت كان المفروض فيه أن يكون وقت الراحة بعد العناء
ووقت التطلع للآمال بعد ان تحققت الاحلام لكن ماذا اقول ؟ إنها الد
يا صديقى التى قلت عنها يوما انها « ناقصة » تعطى شيئا لتأخذ اشياء ، لق
رفعتنى معك الى السماء وأنت تروى قصة حبكما وكفاحكما لبناء عش
الاحلام ، ثم هويت بى الى الأرض وانت تروى تفاصيل رحلة العذاب م
مرض زوجتك إنى لا استطيع بكلماتى ان اقدم لك عونا كثيرا .. لكنى فقد
قد اقول لك : لاتقنط من رحمة الله .. فقد كان أجدادنا يموتون بأمراض
تعالج الآن بالأسبرين ... وما يعجز عنه الطب اليوم قد يكون غدا سه
الشفاء .. « ويخلق مالاتعلمون » .. وكل يوم هو فى شأن وقد يهيىء ا
لزوجتك ولأمثالها من المعذبين بهذا المرض اللعين فرجا من ضيقهم بعلا
جديد فى علم الغيب يخفى الان « ولا يخفى عليه » .

أما انت ياصديقى فواصل بحثك .. وقد يهيىء الله لك ولزوجتك فرجا من
هذه المحنة عن طريق نافذة البريد .. فان شاءت ارادته ذلك فبها ونعمت

وان لم يشأ .. فاستمرا فى العلاج بالغسيل . فإنى اعرف اشخاصا يعيشون حياة طبيعية ومنتظمين فى غسيل الكلى منذ عشرين سنة . وكيّفا حياتكما على هذا الاساس وتآلفا مع مقتضياتها الجديدة .. وإرضيا أولا بما أراد الله فان الرضا هو بداية الفرج وتذكر انه رب يوم بكيت منه فلما صرت فى غيره بكيت عليه ، فاقنع زوجتك بتقبل الامر بواقعية وواصلا حياتكما ولا تفقد الابتسامة مهما حدث .. وسوف يخفف عنكما الكثير ان يحمل كل منكما للآخر كل هذا الحب .. فاحتميا بحبكما ضد هذا العذاب .. أعانكما الله واعان امثال زوجتك من المعذبين وفرج كروبهم جميعا .

طائر الحب والسعادة

افتح بريدى احيانا فألمح بين ركام المآسى .. نقطة ضوء مشعة بالامل فأسعد بها كما يسعد المتلهف الى السعادة بلحظة صفاء وسط هجير الح
ثم اسرع لاضعها بين يدى قراء البريد ليشاركنى الاخرون مشاعرى ..
وفى هذا الاسبوع تلقيت فى بريدى هذه الرسالة .

اكتب هذه الرسالة لأنى أحس بان على دينا ينبغى ان اؤديه للحياة و
الباب ولقرائه على وجه الخصوص وقبل ان اتركك للحيرة سأبادر بأن اق
لك اننى الشاب الذى كتب لك منذ حوالى ١٠ شهور يحكى قصة
وزواجه من فتاة وكيف بنينا معا وبمعجزة عشنا الصغير طوبة طوبة .. ر
ضيق الامكانات ، ثم ابتسمت لنا الدنيا فسافرنا للعمل فى احدى الد
العربية لمدة عامين عدنا بعدها لمصر .. طائرين على جناح السعادة بعد
عرفنا الراحة اخيرا بعد الشقاء .. واستكملنا اعداد عشنا واشترينا كل
حلمنا بان يضمه بيتنا ، واشتريت انا سيارة صغيرة ، واستعددنا لان نست
بثمرة كفاحنا ، فاذا برفيقة كفاحى تسقط فجأة مريضة بالكلى واذ باح
السعادة تثقلها الهموم ونبدأ رحلة العذاب وزوجتى الرقيقة الشابة تست
للمرض وتعجز عن العمل وتحيا على غسيل الكلية مرتين كل اسبوع والا
يجمعون على ضرورة زرع كلية لها ، فاتقدم لزرع كليتى فى جسمها ف
نتائج التحليلات مخيبة للامال ، ثم اتعذب فى البحث عن متطوع الى ان اف
فى الكتابة اليك ، ولقد نشرت رسالتى بعنوان « ايام السعادة » وتلقيت
طريقك بعدها استجابات عديدة من قراء بريد الاهرام ، للتبرع بالك
لانقاذ زوجتى . ولعلك تذكر ان عدد المتطوعين من ابناء مصر الخير والع
قد بلغوا ٤٢ متطوعا ، اعطيتنى اسماءهم وعناوينهم فبدأت الاتصال

فرأيت من خلال هؤلاء الشباب نماذج من البشر ما كان لى ان اراها او اطلع عليها او اعلم بوجودها فى الحياة لولا ان وضعتنى الاقدار وسط هذه التجربة الاليمة فرأيت من يقبلون اجراء هذه الجراحة بلا هدف .. سوى الرغبة فى اسعاد اسرة صغيرة ورأيت منهم هذا الشاب الذى شارك فى حرب اكتوبر ومازالت فى جسمه اثار باقيات لعدة جراحات خطيرة من اثر الاصابة ، وهو يصر رغم بساطة حاله على ان يدفع من جيبه ثمن التحاليل المبدئية اللازمة لاختبار صلاحية الكلية للزرع .. ورأيتنى ارفض ذلك فيصر اصرارا عجيبا حتى ليشكونى اليك بسبب ذلك . ثم حين تجىء التحاليل مؤكدة عدم صلاحيته يعود ليشكونى اليك بانى غير متحمس لاعطائه هذه الفرصة للتقرب الى الله سبحانه وتعالى بالتبرع بكليته لزوجتى .

رأيت هذا الشاب ، ورأيت نماذج عديدة لشبان يحملون فى جوانبهم قلوبا خيرة مطيعة لله وراغبة فى الخير .. حتى لتضحى باجزاء من جسمها لانقاذ من لا يعرفونها .. ومن لم يسمعوا بها الا من رسالتى فى بريد الجمعة ورأيتنى امضى الاسابيع اطوف بكل هؤلاء المتطوعين على معامل التحاليل .. فأجرى لهم التحليلات المختلفة .. ثم تأتى النتائج بمفاجات لم يتصورها عقلى فى البداية ..

فالمتطوعون جميعا غير صالحين بكل اسف لنقل الكلية لزوجتى الشابة . وليس هناك من يصلح لذلك سوى الشاب الذى عرفته فى بداية رحلة العذاب عن طريق استاذة التحليلات والذى يطلب تعويضا معينا عن تضحيته الذى اشرت اليه فى رسالتى الاولى .

وبعد مشاورات عديدة مع الاطباء .. وبعد ان اصبحت شبه متفرغ لانقاذ زوجتى ، عدت من جديد للاتصال بهذا الشاب ووضعت الامر من جديد بين يديه ، واشهد انه بعد ان عرف كل هذه التفاصيل كان متفهما

الى اقصى حد ، واصبح صديقا عزيزا لى واستقر رأى الاطباء على ان نب
المرحلة الجديدة .. فى مركز الكلى بجامعة المنصورة ، واكتشفت ان هنا
رحلة طويلة ايضا للاعداد للعملية ومررنا بكل المراحل الى ان جاء اليو
المشهود .. ودخلت زوجتى غرفة العمليات فى لحظة واحدة مع الشا
المتطوع .. كل منهما على مائدة عمليات وحول كل منهما فريق من الاطباء
اما انا فقد كنت عند دخولها على باب الغرفة يدى فى يد زوجتى وقلب
معها .. وكان الشاب على السرير المتحرك مستسلما وخائفا ايضا مثلى
واشهد انى قد احببته فى هذه اللحظة اكثر من اى وقت اخر ودعوت ا
له من قلبى ان يوفقه فى حياته وان يحقق له كل احلامه .. وحين اذ
« الموكب » بالتحرك لدخول الغرفة انحنيت فقبلت زوجتى الغائبة ع
الوعى .. واستدرت فقبلت هذا الشاب ودعوت له كثيرا ثم غاب الاثنا
خلف الباب المغلق .

وجلست انا على المقعد القريب فى الممر .. واخرجت مصحفى وبدأ
اقرأ فيه ودموعى تنساب منى فتسقط على الصفحات وتحجب عنى السطور
وكل من حولى من احبائى واحباء زوجتى الذين عاصرونا خلال ايام السعا
وايام الشقاء يتمتمون بآيات القرآن .. أو يتظاهرون بالمرح ويحاولون ش
ازرى .. بعبارات التطمين والتشجيع ..

وبقيت على هذا الحال ٦ ساعات كاملة .. مرت علىّ كانها ٦ قرون
ثم فتح الباب وخرج رئيس فريق الاطباء مرهقا .. مجهدا ، فنهضت م
مقعدى كانما لدغنى ثعبان .. ونظرت اليه وروحى كلها معلقة بشفتيه فا
باساريره المتعبة تنفرج ببطء ويقول لى شبه هامس : مبروك .. فلم اش
بنفسى وانا اندفع اليه اقبله واحاول احتضانه .. وهو يقول لى : اه
ويضحك بسعادة .. واذا بالفريق كله يخرج من الغرفة ضاحكين فرح
كأنهم نجحوا فى امتحان صعب وكلهم سعداء كما لو كانت المريضة شقيقت

او زوجتهم .. وكلهم يهنئونني وانا ادور وسطهم اقبل كل من يقع فى طريقى منهم وفى اى مكان : الوجه او الرأس وهم يضحكون وينصحونني بان اتمالك نفسى لكن كيف اهدأ ؟ واحدهم اكثر مرحا يلتفت الى اهلى ويقول « مفيش زغرودة حلوة » فتنطلق الزغاريد مجلجلة فتكون اخر ما اعيه من الوجود لانى لم اشعر بنفسى بعد ذلك الا وهم يعملون على افاقتى بالنشادر وحولى تمتزج الضحكات بالدموع والجميع سعداء .. لكن اين زوجتى واين هذا الشاب الطيب . فاعرف انهما فى غرفة « الافاقة » واسرع الى هناك واراها .. ويكون اللقاء بعد ان كنت قد ظننت ان « لاتلاقيا » كما يقولون .. واذكر نعمة الله على .. فاسجد له شاكرا . ونمضى اياما فى المستشفى ثم نخرج ونبدأ بعد ذلك رحلة ما بعد الجراحة .. ففى كل اسبوع نسافر الى المنصورة للفحص والمتابعة وتنفيذ مراحل علاجية ضرورية بعد الزرع .. ثم يتحسن الحال ويطمئن الاطباء قليلا فيجعلون موعد الفحص مرة كل اسبوعين .. ونستمر شهرين على هذه الحال .. ويزداد اطمئنانهم .. فتصبح الزيارة مرة كل شهر .. وهى المرحلة التى نعيشها الان ومنذ اكثر من ٥ شهور ، بعد ان عادت السعادة الى بيتى الصغير .. وبعد ان عادت الابتسامة الى وجه زوجتى ووجهى .. واصبحنا نخرج فى المساء لنتمشى على النيل كما كنا نفعل فى ايام السعادة واصبحنا نزور الاقارب والاهل والاصحاب واسرة هذا الشاب الطيب الذى اصبح واحدا من اسرتى واصدقائى .. واخيرا عادت الى عملها وعدت انا أيضا الى عملى بعد ان انصرفت عنه تقريبا طوال هذه المحنة .. والحمد لله كثيرا على كل شىء .. ان فى الدنيا خيرا كثيرا لكننا لا نراه الا فى الشدائد .. وفى قلوب ابناء بلادنا نبع لا ينضب للحنان والعطاء والمشاركة لكننا لا نكتشفه الا فى الملمات وانا اكتب لك هذه الرسالة لتشكر عنى كل هؤلاء الذين عرضوا على التبرع بكليتهم لزوجتى وطافوا معى بمعامل التحاليل وتركوا اعمالهم من اجلى بلا سابق معرفة ولتشكر عنى هذا الشاب

الطيب الذى اراد الله على يديه الخير لى .. ولزوجتى ، ولتشكر عنى كا
هؤلاء الاطباء العظام الذين وقفوا بجوارنا فى محنتنا فى القاهرة والمنصور
والذين بذلوا اقصى ما فى جهدهم لانقاذ حياة « عروسة بريد الاهرام » عل
حد تعبيرهم بعد ان قرأوا جميعا قصتها فى بريد الجمعة .. ، واكتب الي
لتقول نيابة عنى .. لكل من يعانون المحنة التى عانيتها : لا تقنطوا من رح
الله .. فلقد وسعت رحمته كل شىء ، وابواب الامل مفتوحة للجميع كما ا
فرج الله قريب .

● ● ●

* * ولكاتب هذه الرسالة المضيئة بالامل اقول : لمست قلبى مرتين .. مر
فى رسالتك الاولى وانت تروى لى شقاءك مع رحلة العذاب التى فاجأتك
فى بداية حياتك ومرة فى رسالتك الثانية وانت تحكى لى عن فرحتك الصادق
بنجاح الجراحة وعودة طائر السعادة الى عشكما الصغير ويالها من فرح
من القلب يا صديقى . تستحقها بكل تأكيد وتستحق ما هو اكثر منها فلق
شقيت كثيرا وكافحت كثيرا وآن « للمجاهد » ان يستريح بعد طول العناء
وآن لعشكما الصغير الذى شهد هذه العاصفة العاتية ، ان ترفرف عليه نسا
الراحة والهناء من جديد ، إنى سعيد جدا بسعادتك .. وسعيد بشفا
عروسك الشابة الرقيقة التى امتحنتها الدنيا فى فجر حياتها بكل هذ
الاهوال ، واتمنى لكما حياة سعيدة مديدة بإذن الله ، كما انى سعيد ايض
بهذه الرسالة التى تقدم لى دليلا جديدا على ما أؤمن به عن جوهر هذ
الشعب الصابر المكافح .. الذى تطغى عليه احيانا صعوبات الحياة فتخف
بعض ملامحه خلف قناع مزيف .. لكنها لا تمحو وجهه الاصيل المشرق بالخ
والعطاء ابدا .. والا فقل لى بربك .. فى أى مكان اخر كان من الممك
ان يجد معذب مثلك ٤٢ انسانا على استعداد لاقتطاع أجزاء من اجسامه
لتقديمها هدية لمن لا يعرفونه لإسعاد قلبين وإنقاذ اسرة صغيرة من العذاب .

وبلا أى مقابل ؟ واين يمكن ان تجد مثالا لهذا الشاب الذى يستحق كل احترام والذى كان يكتب الىَّ ليشكو لى من انك « اهملت » رغبته فى التبرع لزوجتك بكليته ولم تحقق له رغبته وهو المصاب فى الحرب والذى تعذب من قبل بعدة جراحات ؟ واين كان يمكن ان نجد انسانا بسيط الحال كهذا الشاب يرهق نفسه بدفع اجور التحاليل الطبية استعدادا للتبرع بكليته ويعتبر أصرارك على الرفض اهانة له ويرفض رغبتك باباء . وهو مواطن لامورد له سوى معاش عجز بسيط قد ينفقه اخر على وجبة عشاء واحدة فى احد الملاهى .

واين يمكن أن نجد امثال هؤلاء البشر الطيبين الذى يجودون بسماحة لا نظير لها بما يملكون .. وقد لا يملك بعضهم شيئا ؟ اننا قد نكون شعبا من الفقراء لكننا بالتأكيد شعب من الاغنياء بامثال هؤلاء البسطاء الذى على استعداد للعطاء دائما .. وقد يكون العطاء باعضاء بشرية من اجسامهم ؟ وقد نكون شعبا من الفقراء .. لكننا بالتأكيد مازلنا اغنياء بهذه الخصال والفضائل التى يعتبرها البعض من علامات « التخلف » كالتمسك بالقيم الدينية .. والعاطفية .. والميل للعطاء والمشاركة بأقل الامكانيات المتاحة .. انه شعب عظيم رغم كل شىء يا صديقى لم يقدره احد حق قدره بكل اسف .. ومثله لن يضام مهما جرت عليه عوادى الزمان ولابد ان يحصل يوما على نصيبه العادل من الحياة.آسف لقد سرحت بعيدا لكن رسالتك اهاجت مشاعرى .. واثارت لدى كل هذه التأملات وانى سعيد بها حقا .. وسعيد بأن رسالتك ستفتح ابواب الامل امام كثير من المعذبين .. وستقول لامثالكما بالدليل : ان فرج الله قريب وستقول ايضا : اسألوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار لفرج ولقد سألت الله يا صديقى فأعطاك من فضله .. وانتظرت الفرج فأتاك فأهنأ بما انعم

الله عليك .. ولاتنس حق الحياة وحق هؤلاء البشر عليك .. فاخدم ا
بكل ماتستطيع .. واخدم البشر بما يستحقونه منك من الوفاء والاخلا
وخفف عن الاخرين ولو بالكلمة الطيبة ، وتذكر انك مدين للحياة وللا
بدين كبير فأدِّ دينك بالعطاء والحب للاخرين وبخدمة البشر ومساعدة
يحتاجون الى عونك والسلام .

الطريــد

« أقرأ بريدك كل أسبوع .. واتابع مآسيه وأفكر منذ زمن طويل فى أن أكتب اليك لانفس عما فى صدرى ثم أؤجل قرارى حيناً بعد حين ، حتى وجدت نفسى والدنيا قد إسودت فى عينى فأمسكت القلم لأكتب لك هذه الرسالة : أنا يا سيدى لم تسود الدنيا فى عينى لأننى أنظر من شرفة « بيتى »[1] فأطل على قصر تقام به المهرجانات كل يوم ويغرق أصحابه فى الترف والسفه ، كما هو حال المهندس الشاب الذى كتب إليك بذلك . ولا اسودت الدنيا فى وجهى لاننى اعيش فى « بيت »[2] أبى ومازلت أبحث عن شقة لاتزوج فيها كما هو حال المهندسة الشابه حديثه التخرج التى كتبت اليك . ولا انا سجين الاسوار الحزين لغدر[3] خطيبتى بعد دخولى السجن كما كتب اليك السجين الشاب الذى سيقضى مدة العقوبة طالت أم قصرت ثم يعود إلى « بيته » ولاحظ يا صديقى انى اضع كلمة بيت دائما بين قوسين ، لان فى هذه الكلمة البسيطة مشكلة حياتى التى سأرويها لك الآن . فانا شاب بكلية الطب بالسنة النهائية .. لم يبق على تخرجى سوى ٣ شهور قد تحدث بعدها المعجزة وأصبح طبيبا يخفف آلام البشر .. وقد مات أبى وأنا طفل صغير فلم أعرفه ولا أكاد أذكر شيئا عنه وكنَّا وقتها نقيم فى مدينة صغيرة قريبه من القاهرة ، ٤ أخوه منهم ٣ أشقاء وأخت واحدة ، أنا أصغرهم ، وكافحت الأسرة الصغيرة حتى تعلم الأبناء وتزوجوا جميعا ما عداى بالطبع

---

(١) مضمون احدى الرسائل التى نشرت فى بريد الجمعة بالأهرام .

(٢) مضمون رسالة أخرى .

(٣) مضمون رسالة ثالثة .

وعملوا وأقاموا فى القاهرة ، وبقيت أنا مع أمى فى مدينتى الصغيرة ح
حصلت على الثانوية العامة بمجموع كبير والتحقت باحدى كليات الط
بالقاهرة .. واجتمعت الأسرة لتقرر مصيرى فاستقر الرأى على أن نعيش
وأمى مع شقيقى الاوسط فى شقته الصغيرة مع زوجته وولديه ، فاقمنا
انا وأمى فى غرفة وشقيقى وزوجته فى الغرفة الاخرى ، ومضت الحياة طبي
يرعانى شقيقى الأوسط بدخله البسيط إكراما لامى وأنا أبذل قصارى
جهدى فى الدراسة وأنجح كل عام والحياة تبدو واعدة بالمستقبل الطي
وبالخير . ثم فجأة ماتت أمى وأنا فى السنة الثالثة بكلية الطب ، فاهتز كي
كله وبكيتها طويلا ، ولم أكن اتصور أنى فقدت بفقدها كل شيء
النصير .. والأمان .. والكرامة .. وكل شيء . فبعد وفاتها باسابيع قل
بدأت معاملة زوجة أخى لى تتغير وبدأ الجميع يضيقون بوجودى بينهم
وراحت زوجة شقيقى تدس لى عند شقيقى وعائلى الوحيد وأبى الذى
أعرف غيره وصمد أخى فى البداية قليلا ثم ضعف بعد فترة قصيرة وانس
لزوجته وكثرت المشاكل ، وأنا صابر أبذل المستحيل لارضاء اخى وزو
وولديهما . إلى ان كان يوم وكنت جالسا على مكتبى أذاكر دروسى ، وأ
همومى فأجد صورة أمى تطفو فوق صفحة الكتاب الذى أقرأه .. وأتذ
حنانها وعطفها على .. وتدمع عيناى فأفيق من سرحانى وأعود لنفسى ثم ف
الباب فجأة بعنف ودخل أخى ووراءه زوجته ، والغضب واضح فى عينيه
ثم صاح فىَّ « ماذا تفعل هنا » .. واندفع بلا مقدمات يلقى بكتبى
الأرض وبملابسى وزوجته تساعده وفرحة الشماتة القاسية فى عينيها وأنا اق
مذهولا كتابى فى يدى .. ولسانى عاجز عن النطق ثم نطقت أخيرا ب
جهد .. وكانت العبارة الوحيدة التى استطعت ان انطق بها .. هى « حا
يا اخويا .. » حاضر يا اخويا » .. فقد فهمت أخيراً بعد صدمة المفاجأة م
يريد فهمت يا صديقى أنه يطردنى من رحمته .. ومن رعايته .. ومن مأو

الوحيد لسبب لا اعرفه ، وانحنيت متعجلا أجمع كتبي وأدواتي وقواميسي .. وملابسي القليلة من الأرض وأضعها في حقيبة صغيرة . ثم استأذنته في ان اخلع البيجامة وارتدى القميص والبنطلون والحذاء فأشار بيده ان « افعل » ففعلت تحت بصره ، ثم حملت كتبي وملابسي وغادرت الشقة بخطوات سريعة متعثرة .. وحاولت أن أبحث بعيني وأنا في طريقي للخروج عن وجهي ابني اخي اللذين احببتهما من قلبي لاودعهما .. فوجدت باب الغرفة مغلقا عليهما ، فأخذت طريقي الى باب الخروج صامتا .. نزلت الى الشارع أحمل صفا عاليا من الكتب وحقيبة صغيرة بها بعض الحاجيات ومشيت بلا هدف .. وفي جيبي ٧٥ قرشا هي كل ما أملكه من الدنيا .. ومشيت حتى كلت قدماى من المشي .. وكلما تعبت وضعت حملي على الرصيف وجلست بجواره التقط أنفاسي .. ودموعي تتساقط بلا إرادة . ثم وجدت قدماى تقودانى إلى بيت شقيقتي المتزوجة وقد اقترب الليل من منتصفه وضغطت الجرس ففتحت شقيقتي الباب ووجدتنى أمامها حاملا كتبي ففهمت كل شيء . وفي اليوم التالي جاء شقيقي الاكبر وقرر مع شقيقتي أن أقيم لديها على ان ينفق هو على لاستحالة إقامتي لديه لسبب بسيط هو أن زوجته هي شقيقة زوجة أخي الأوسط .. وقَرر مقاطعة أخي الأوسط لطرده لى بلا سبب وبدأت إقامتي في بيت اختي منذ ذلك اليوم وعادت الحياة تمضي طبيعية رغم الجراح ... لكن المشكلة يا صديقي هي أن « ابن ادم » ثقيل حيث حل وفي أى مكان لايملكه ، وأنا لا بيت لى ولا أب ولا أم ولا دخل ، وشقيقتي مثقلة باعباء ستة ابناء وزوج لهم عليها حقوق .. والعواطف الحارة تبرد بعد حين تحت وطأة الحياة وضيق المكان فبدأت معاملة الأبناء والزوج تتغير .. وبدأ الإحساس بمزاحمتي لهم ثم بالقرف مني والضيق بي وبوجودي ، وكنت قد تعلمت الدرس من التجربة الأليمة التي مررت بها .. فحاولت أن أوزع « ثقلي » بين بيت شقيقتي وبيت شقيقي .. فكنت كلما أحسست أن

الإناء قد فاض بما فيه فى بيت شقيقتى .. حملت كتبى وذهبت إلى بيت شقيقى الأكبر .. حيث أقابل بالوجوم عند رؤيتى وبالإستقبال الفاتر ، والضيق المكتوم ، فاتحمل كل ذلك صابرا لمدة لا تزيد على ٣ ليال ، على أمل أن تكون هذه المدة بمثابة أجازة يتنفس خلالها زوج شقيقتى وأبناؤه الستة الصعداء لغيابى عنهم .. ثم أجد انه لا مفر من العودة اليهم قبل أن أطرد من بيت شقيقى فأحمل كتبى مرة أخرى وأعود فأحس أن عودتى قد نزلت عليهم كنزول القضاء المستعجل .. وأنا ادرك ذلك .. ولكن ماذا افعل .

هل جربت يا صديقى مرة أن تدخل بيت شقيقك متحرجا .. مكسوفا .. خجلا .. مبتسما .. فتقابل بنظرات الضيق بدلا من نظرات الترحيب وبالسلام الفاتر بدلا من التحية الحارة ثم تحس بأن الجميع يتمنون من أعماقهم لو لم تجيء ؟ ثم بعد أيام تذهب إلى بيت شقيقتك فيكون نفس الاستقبال ونفس الاحساس .

إننى أواجه هذه المحنة منذ عام وإلى الآن ولاأملك الا الصبر عليها .. فانا بلا بيت ولا أهل .. ولا أحد يهتم بأمرى أو يسأل عنى .. إنها محنة يا صديقى ألا تملك من امرك شيئا فلا تستطيع ان تتحرك فى المكان الذى تعيش فيه ولا تستطيع أن تنام أو تصحو أو تذاكر أو تأكل أو تشرب الا بارادة غيرك إننى أكتب إليك هذه الرسالة تنفيسا عنى ولأدعوك ان تشاركنى فيها كما تشارك الاخرين ولكى لا تذوب حزنا وأسى عندما تعيش مشاكل الأخرين التى تصلك فترد عليها مشكورا ليس لأن مشاكل الاخرين أقل اهمية وإنما لأننى اتصور أنه لا يوجد انسان غيرى لا مأوى ولا احد له غيرى ، كذلك أكتبها لك ليرى المهندس الشاب صاحب الشرفة والمهندسة الشابة حديثة التخرج والسجين الشاب المجروح أن كلا منهم رغم كل شيء له بيت يعود إليه لعل ذلك يدفعهم للصبر على ما يشكون منه ولكى يرضوا بحياتهم فهى أقل عناء من حياتى .. » .

● ● ●

* هذه هي الرسالة التى تلقيتها فى بريدى ولكاتبها أقول ومن الذى قال إن ما ينشر فى بريد الجمعة هو أكثر المشاكل إيلاما ومأساوية فى الحياة ؟ إن الحياة مليئة بالمآسى لكن كل انسان يتصور أن مشكلته هى المأساة الوحيدة فى الحياة وهو معذور فى هذا الظن لأنه يعيش آلامه هو لا آلام الآخرين ومن حقه أن يشكو مما يعانيه بل وأن يصرخ ألما أيضا فالألم المكتوم أكثر قوة من الالم المسموع ومن فوائد أبواب البريد فى الصحف أنها تتيح لنا فرصة الاطلاع على الآم الأخرين وعذاباتهم فنكتشف أحيانا أن ما نعانيه هو من تفاهات الحياة بالقياس الى الآمها ومشاكلها الاخرى ، وفى حالتك هذه أنت تتصور انك الوحيد فى العالم الذى لا بيت له ولا احد يهتم به ويرعاه وهذا غير صحيح فكثيرون هم من لا بيوت لهم ولا أهل ولا أحد يرعاهم وينفق عليهم كما يفعل شقيقك وأنا لا اقلل من شأن مشكلتك .. فقد آلمتنى بأكثر مما تتخيل خاصة مشهد الطرد البشع من بيت أخيك القاسى المجرد من المشاعر الإنسانية ، لكنى فقط أدعوك لأن تضعها فى حجمها الطبيعى وسط جبال المآسى التى تطل علينا من الجانبين ، وأدعوك لأن تنظر إلى الأمام بوجه مبتسم بالرغم من كل شىء لكى تنهى رحلة كفاحك وعذابك التى أوشكت على النهاية قريبا باذن الله ، وأدعوك ايضا لئلا تحمل احساسا بالمرارة فى نفسك تجاه شقيقك الاكبر او شقيقتك او زوجها و أبنائها وأطالبك بان تقدر ظروفهم وتُحس بها .. ان شقيقتك مغلوبة على أمرها وحائرة بين واجباتها ومشاعرها الأخوية تجاهك وبين واجباتها ومشاعرها العائلية تجاه زوجها وابنائها ، وشقيقك فى نفس الموقف الصعب « وبنى آدم » ثقيل كما تقول انت وهما معذوران وأنت معذور وكلنا معذورون فى هذا الزمن الصعب الذى لا يتحمل فيه احدُ احداً ولا تسمح فيه علب السردين التى يسمونها مساكن بالقيام بالواجبات العائلية تجاه الآخرين .

إن رحلتك يا صديقى قد أوشكت على النهاية بنجاح إن شاء الله وسوف

تتخرج طبيبا تقيم فى المستشفيات خلال عام الإمتياز بعد شهور . وزوال العبء المالى الذى تمثله حاليا للآخرين سوف يغير بعض ملامح الصورة الحزينة وبريد الأهرام من جانبه يسعده أن يتحمل مسئوليتك[1] خلال الشهور الباقية مع كل الاحترام الواجب لمشاعرك وظروفك الخاصة مساهمة فى إقناعك بأنك لست وحدك فى الدنيا فأنت لست فعلا وحدك يا صديقى بل إن حالك أفضل كثيرا ممن لا شقيق لهم ولا شقيقة وممن يلاطمون الحياة وتلاطمهم وهم وحيدون تماما بلا عائل ولا نصير ولا مأوى فاستجب أنت أيضا الى ما تدعو اليه المهندس الشاب والمهندسة الشابة وسجين الأسوار وارض بحياتك وابتسم للمستقبل الذى سيكون أفضل من الماضى بكل تأكيد ولا تتوقف عن حب الاخرين وأولهم شقيقك وشقيقتك فمن لا يحب الناس لن يحبه أحد وليس من حقه أن يأسى على حب الناس له ، والدنيا أخذ وعطاء وليست أخذاً فقط ولا عطاءً من جانب واحد فقط فاعط الناس حبا تجنه حباً ولا تتصور أن من واجب الناس تجاهلك ان يحبُّوك وأن يرعوك بغير أن تكلف نفسك عناء محبتهم . فهكذا الحياة يا صديقى أخذ وعطاء سعادة وعناء راحة وشقاء أيام سعيدة وايام تعيسة الى مالا نهاية ولو لم تكن كذلك لما كانت حياة ولكانت الجنة التى بها توعدون .

تكفل بريد الأهرام وقراؤه بحل مشكلة المسكن المؤقت لكاتب هذه الرسالة وبالمسئولية المادية عنه حتى تخرج طبيبا بعد شهور من نشر هذه الرسالة .



وســط الزحــام

انا يا سيدى طبيب أعالج الناس .. لكنى لا أستطيع علاج نفسى .. وآمل ان اجد لديك أملا فى الشفاء فأنا شاب عمرى ٢٩ سنة أمتلك عيادة خاصة بالقاهرة تُدِرُّ علىَّ دخلا كبيرا وأمتلك سيارة .. وفى طريقى إلى الحصول على شقة لائقة وقد حققت كل ذلك عقب تخرجى من كلية الطب وخلال ٣ سنوات وقد تتعجب كيف حققته خلال هذه الفترة لكنى أقسم لك بالله أنه لم يدخل جيبى قرش واحد إلا من حلال لكنه من توفيق ربِّى ورضاه وتمسكى بتعاليم دينى. فلقد فتح لى أبوابا من الرزق لا يعلمها الا الله .. وقد محا ذلك بعض الشىء ما أنطوى عليه أنا من ذكريات أليمة وخفف قليلا من طابع حياتى الحزين منذ طفولتى .

فلقد نشأت وحيداً يتيما .. لم أر ابى لكنى سمعت عنه من أمِّى وتفتحت عيناى للحياة فوجدت نفسى وحيد أمِّى .. تحنو علىَّ وتكافح لتعليمى من قطعة أرض صغيرة ورثتها عن أبويها .. فعشت طفولة بائسة نقتات خلالها بالفتات .. وبأقل شىء يحفظ على الانسان حياته .. لا أعرف الطعام الساخن إلا فى الأعياد ، وأخلع جلبابى الوحيد لأتدثر به بدلا من الغطاء فى ليالى الشتاء .. ونحيا فى غرفة ضيقة فى بيت بإحدى قرى الريف يعلم الله كم عانينا فيها من البؤس والحاجة والشدة ..

وقد كان ذلك وأمى معى ترعانى وتحنو على وتشدُّ من أزرى ، فما بالك وقد رحلت عنى فجأة وأنا فى سن الخامسة عشرة ؟ اننى لا أريد ان استطرد فى الذكريات الأليمة لكنى مضطر لأن اروى لك بعض لمحات من حياتى تمهد لك معرفة مشكلتى ، فلقد وجدت نفسى وحيدا ولا مفر من مواصلة الحياة فواصلت الكفاح وحدى .. لا سلاح معى سوى دعاء امى ورضا الله عز

وجل ، ثم روح عالية وهبنى الله اياها ونفس عفيفة ثم ذكاء من فضل الله هيَّأنى لأن أتفوق فى دراستى فكُنت الأول دائما فى كل مراحل الدراسة من الابتدائية حتى الجامعة .

ولا تتصور عُمق حزنى حين إستدعيت ذات يوم لأقابل محافظ الإقليم مع أوائل المحافظة ليصافحنى ويقدم لى شهادة التفوق ، فقد جاء الأوائل فى أبهى زينتهم ومعهم الآباء والامهات والأشقاء والشقيقات والأعمام والاخوال .. وكل فتى منهم يتوسط دائرة من الأهل والأحباب السعداء به .. أما أنا فقد كنت أجلس وحدى فى إنتظار سماع اسمى ارتدى بدلة أقرضها لى أحد ابناء قريتى من المتيسرين ، أرقب سعادة الاخرين وأنا أذوب خجلا . فلا أخ ولا أخت .. ولا أب ولا أم . ولا عم ولا خال .. بل أنا وحدى تماما كشجرة نبتت خطأ فى صحراء قاحلة لا شىء حولها سوى الرمال . وجاءت اللحظة المنتظرة .. وتقدمت لمصافحة المحافظ وتسلُّم شهادتى .. وعُدت متعثرا فى خجلى .. ولم يخفف من أساى أنى كنت الأول على كل هؤلاء الذين اصطحبوا « قبائلهم » معهم .

وواصلت الحياة وأنهيت دراستى الثانوية ، ودخلت كلية الطب ، وفكَّرت فى أمرى فوجدت أن الحل الوحيد لمواجهة أعباء التعليم والاقامة فى القاهرة هو أن أبيع قطعة الأرض الصغيرة التى ورثتها عن أمى وأن أضع ثَمَنها فى صندوق البريد وأن اسحب منه كل شهر أُقل مبلغ ممكن يكفى لنفقات الحياة .. بشرطين مهمين : الأول هو ان اسكن فى المدينة الجامعية لأنه لا طاقة لى بنفقات الحياة خارجها .. والثانى هو ألا أتعثر فى دراستى وأن احصل على البكالوريوس بعد ٦ سنوات بالضبط هى مرحلة الدراسة ، وساعدنى اهل القرية الطيِّبون فى بيع قطعة الأرض بأعلى سعر ممكن وقتها .. بل وبما يزيد عن قيمة الأرض نفسها من باب المساعدة والرحمة فى الواقع ، ورحلت الى القاهرة مُزَّوَداً بنصائح أهل بلدتى ودعواتهم لى بالتوفيق . لكنى

للاسف لم أُقَبل فى المدينة الجامعية لمدة عامين فى البداية .. ولو علموا بحقيقة حالى لأعطونى كل المدن الجامعية فى مصر لأسكن فيها .. فواجهت مصيرى وأقمت لدى احد « بلدياتى » الذى قبل ذلك رأفة بى ، لكن تكاليف الحياة خارج المدينة لم تكن فى حسابى فنزلت للعمل الى جانب الدراسة .. وعملت فى كل عمل يمكن أن تتخيله بشرط أن يكون شريفا لأكسب قوتى واوفر لنفسى تكاليف الدراسة فى كلية الطب وانت تعرف كم تتكلف .. لم أترك عملا لم أضع يدى فيه .. ولم أُضيِّع لحظة واحدة فى حياتى ليست للعمل أو الدراسة والمذاكرة .. ووفقنى الله سبحانه وتعالى فى دراستى . وكان التفوق فى دراسة الطب حليفى .. فواصلت الدراسة حتى تخرجت .. وعملت وحققت نجاحاً يعتبره البعض من زملائى معجزة .. فافتتحت عيادة واشتريت سيارة ودفعت ثمن شقة وعملت فى عدة مستشفيات ورَاجَت عيادتى حتى أصبح مرضاى بالعشرات كل يوم ، وأخْلَصت لمهنتى فأعطتْنى بسخاء ، ووجدت نفسى قد حققت آمالى وآن الاوان لكى ألتقط أنفاسى من الكفاح المرِّ الذى واصلته لمدة عشرين سنة ، فقررت أن أتزوج وهنا ظهرت مشكلة حياتى .

فلقد أُعَجَبت بفتاةً هدانى الله إليها لتكتمل بها سعادتى وتقدمت لخطبتها فرحب بى أهلها فى البداية ثم بعد أن دخلنا فى التفاصيل وجدت نفسى أواجه موقفا مؤلما لاحيلة لى فيه ، فبعد المقدمات الأولى قيل لى .. تعالَ ومعك أهَلُك لنتعرف عليهم .. فقلت ببساطة : لا أهل لى . فلم يفهموا فى البداية ، فقلت مرة أخرى ببساطة اننى ابن وحيد لأبوين وحيدين ، فليس لى إخوة ولا خالات ولا أخوال ولا أعمام ولا عمَّات . وشرحت لهم ظروفى ، فلم يُصدِّقنى أحد وأجمعوا على أننى أتلاعب ولست صريحا رغم أننى اقسمتُ لهم على صدق ما اقول ، بلا فائدة .

وسألت نفسى .. ما ذنبى يا ربُّ فى أنى ابنُ وحيد لأبوين وحيدين شاء حظهما العاثر ان ينجبانى وحدى لليتم والوحدة و « المعرَّة » بين الناس بانعدام الاهل ؟ ومن أين آتى باخوة أو اعمام او أخوال او أبناء خالات وأخوال وأعمام وعًمات لأقدِّمهم لأسرة خطيبتى ؟ وكيف أُجيب علّى تساؤلات أهل الفتاة المستنكرة .. « أليس لك حتى زوجة خال تأتى معك عند الخطوبة » ؟ وكيف تكون لى زوجة خال او زوجة عم ولم يكن لى عم ولا خال ؟ .

بإختصار .. ووجهت بالرفض .. ونزفت من مشاعرى وكرامتى دمًا وانصرفت عن فكرة الزواج لفترة الى أن تهدأ نفسى ، ومرَّت فترة طويلة نسيتُ خلالها بعض الآلام ، ثم تكررت المحنة بكل أسف مع شقيقة صديق لى رحب أهلُه بى فى البداية وعند التفاصيل رفضونى لنفس السبب وكان صديقى نفسه هو أول الرافضين ! وحجتهم الوحيدة هى : ماذا نقول للناس ؟ ولم يصدقوا هم ايضا قصتى التى لا يصدقها ولا يعرفها سوى أهل بلدى وبعض المقربين منى .

وانهزمت نهائيا بعد ذلك .. ومرضت نفسيا .. وكرهت الحياة وبالرغم من أننى قد تغلبت على صعاب كثيرة فى حياتى .. فلقد انهزمت امام هذه المشكلة وتأذيت نفسيا كثيرا .. ومَلَلَتُ كل شيء حتى بدأت انصرف عن عيادتى فآتيها يوماً وأغيب عنها يوما ، وأقضى أوقاتا طويلة اقود فيها سيارتى وسط الزحام شاردا ساهما لا أعي مما حولى شيئا .

لقد تعمدت الا اكتب لك اسمى وعنوانى لانى لست باحثا عن فتاة تقبلنى بوضعى الذى أنا عليه لانى تعقدت جدا من هذا الموضوع ، لكنى اكتب اليك لأجد لديك بعض الراحة ولأسألك : أليست هذه هى ارادة الله التى شاءت لى أن اكون هكذا بلا اهل ؟ وهل أنا مسئول عن أن ابى وأمى وحيدان وأنى وحيد أبوى .. ولماذا لا يقدر الناس ظروف الاخرين ويتجنبون إيذاءهم فيما لا ذنب لهم فيه ولا ارداة ؟ اننى لا أريد منك حلا للمشكلة

لانى لم اعد راغبا فى حلها لكنى اريد منك كلمة رثاء لى قد تخفف عنّى بعض الامى .. ولى الله وحده فى كل ما لقيته وما ألاقيه فى حياتى من عناء ..

● ● ●

* * ولكاتب هذه الرسالة المؤلمة اقول :

لا يا صديقى لن تجد عندى « كلمة الرثاء » التى تنتظرها .. وانما ستجد لدى كلمة بل كلمات إعجاب وانبهار بك وحبٌ لك . فأنت تستحق الاعجاب لا الرثاء لصلابتك وكفاحك الأسطورى لكى تبنى حياتك وحيدا تماما من الاهل والاقارب ومجًّردا من كل سلاح سوى إرادتك الحديدية منذ كنت فتى فى سن الخامسة عشرة .

مثلك يفخر به العقلاء ولا يرثون لهم .. لكن اعجابى بك يخالطه لوم لك وعتاب عليك .. إذ كيف ينهزم شاب ممتاز بكل معنى الكلمة له مثل إرادتك وصلابتك وتفوقك وذكائك ، أمام موقف سخيف من أمثال هذه السخافات التى تزخر الحياة بها ؟ وكيف تضيع منك نفسك .. وانت الفتى الذى واجه الحياة بكل مرارتها وصعوباتها وحيدا وهو ابن الخامسة عشرة ؟ .

لقد واجهت من شدائد الحياة ما يبدو الى جواره هذا الموقف السخيف لهوا وعبثا ، فلم لم تنظر اليه من عل .. وتتفهم حجمه ، وتواصل حياتك الى ان تجد من تستحقك ومن يفخر بك اهلها كشاب مستقيم ناجح ومتفوق وابواب الحياة مفتوحة امامه على مصرعيها إنك رغم هذا النجاح مازلت فى البداية .. ومثل هذه الارادة الصلبة لن تتوقف إنجازاتهُا عند حدِّ افتتاح عيادة وامتلاك سيارة .. وإنما سوف تحقق الكثير يا صديقى والكثير ، فكيف تنهار أمام هذه العقبة المؤلمة ؟ .

اننى اعرف تماما انه لا جريرة لك فيما حدث ومن المؤلم فعلا أن يُحاسَب

الانسان عما لا حيلة له فيه ولا إرادة ونحن لانختار لأنفسنا أبوينا وأشقاءنا وأهلنا .. لكننا قد نختار لأبنائنا أمهاتهم واخوالهم .. وهذه فقط هى مسئوليتنا تجاههم ، اما ما غير ذلك فهو على حد تعبير أبى العلاء المعرى « هذا جناه أبى على وما جنيتُ على احد » . وأنت لم تجن على أحد يا صديقى .. ولم تحقق إلا كل خير وكل نجاح فلا تُحمِّل نفسك مالا طاقة لها به .. والوحدة الحقيقية هى وحدة النفس الداخلية لا انعدام الأهل والأقارب فما أكثر ما نشعر أحيانا بالوحدة ونحن وسط زحام الاخرين وصخبهم وضجيجهم ، والوحدة الحقيقية هى ان تكون عاجزا عن حُب الاخرين والا تكون قادرا على اجتذاب حبِّهم لك ، وأنا شخصيا كثيرا ما تصلنى رسائل من فتيات وشباب يشكون إلى من إحساسهم بالوحدة فى بيوت مزدحمة بالآباء والامهات والشقيقات والاشقاء ، حيث ينطوى كل انسان على نفسه وآماله وآلامه بلا مشاركة حقيقية من الآخرين ولا مشاركة منه لهم .

فالناس يا صديقى قد يتجاورون لكنهم أيضا قد لا يتشاركون .. وقد لا يخفف عنهم جَوارُهم شعورهم بالوحدة وفقدان الرفيق وإنعدام الاهل بمعنى الكلمة الحقيقى .. فلست وحدك فى همومك .. لكنك قد تتميز عن كثيرين بما حَبَتك به العناية الإلهية من مزايا وإمكانيات أهمها الذكاء والتفوق والإرادة فافتح قلبك للآخرين يا صديقى وتمسك بروابطك بأهل قريتك ولا تنفصل عنهم فهم اهلك الحقيقيون وعُد الى مرضاك وإعطهم الحب والرعاية والاهتمام .. وابذُر الحب والخير والعطاء لمن حولك ومن تتعامل معهم ومن يستنجدون بك تجد لك فى كل بيت شقيقاً .. وفى كل مجتمع أُسرة وفى كل مكان أباً واماً واهلا طيبين ..



صورة الزفـاف

« وجدت نفسى طفلا وحيدا لا اخ له ولا اخت .. يلعب فى بيت واسع مزدحم بالاقارب .. لى ام ككل الاطفال .. ولى اب طيب يعطف على . لهوت كما يلهو الاطفال .. وتعلمت فى المدرسة كما يتعلمون ولم يستوقفنى كثيرا فى طفولتى ان ابى يبدو بالنسبة لى اكبر مما ينبغى لطفل فى السابعة او الثامنة .. أو انه ليس شابا كاباء اصدقائى فى الشارع او المدرسة . وذات يوم كنت العب فى غرفة نوم امى فعثرت بين اوراقها على صورة قديمة لها بفستان ابيض الى جوارها رجل غريب .. تفرجت عليها بامعان ثم حملت الصورة الغريبة الى احدى خالاتى وسألتها ببراءة : من هذا الرجل ؟ فاجابت بعفوية انه ابوك . وكانها احست بانها اخطأت فصمتت ورفضت الاجابة على اسئلتى الكثيرة .. ابى ؟ من يكون اذن هذا الرجل الذى اقول له « يا بابا » منذ ولدت ؟ بعد الحاح منى وبعد فترة طويلة عرفت انه جدى لامى وعرفت ان ابى الحقيقى منفصل عن امى من قبل ولادتى وعرفت اننى ثمرة زواج لم يستمر اكثر من عدة شهور تحطمت سفينته بعدها على صخرة الانفصال .. وان كلا من الزوجين قد شقّ طريقه بعيدا عن الآخر ولن تصدقنى اذا قلت لك اننى لم أتوقف طويلا عند هذه المفاجأة القاسية .. فلم أبك او أنهار وانما واصلت حياتى العادية .. لكنى بين حين واخر بدأت افتقد هذا الاب الغائب واتذكر ملامحه التى رأيتها للحظات فى صورته فقد اخفيت الصورة بعد ذلك ولم ارها مرة أخرى قبل سنوات طويلة . وفى سن السابعة عشرة بدأت احس بحنين غريب الى هذا الاب شبه المجهول بالنسبة لى وضاعف من احتياجى اليه انه فى هذه السن كان جدّى الطيب قد رحل من عالمنا وكانت خالاتى واخوالى قد تزوجوا وتركوا بيت الأسرة ولم يعد فيه سواى وسوى امى . وبالرغم من ذلك فقد اجتزت هذه المرحلة الحرجة

من العمر بآلام كثيرة وخسائر قليلة . وأكملت دراستى وتعرفت على زوجتى خلال الدراسة واحببتها ثم تقدمت لاسرتها لكى اخطبها واكتشفت فى هذه الفترة مرة أخرى اهمية ان يكون للانسان اب . فهو الذى يدبر لك امورك فى هذه المناسبة الهامة فى حياتك وهو الذى يشير عليك بما تفعل وبما تقول وهو الذى يصحبك فى لقاء التعارف الاول مع اسرة الخطيبة فتقدمه لصهرك بفخر قائلا ابى الاستاذ فلان . ثم تنسحب انت الى الظل ويتكلم الكبار فيما بينهم عن المهر والشبكة والشقة وموعد الزواج . ولن تعرف يا صديقى هذه المرارة الا اذا جربتها بنفسك .. مرارة ان تجد نفسك وحيدا فى هذه المناسبة كانك مقطوع من شجرة .. لكن هذا حديث اخر . المهم انى تزوجت وانجبت من زوجتى وعشت حياة هادئة سعيدة والحمد لله لكنى بدأت الاحظ على نفسى منذ ذلك الحين اهتمامى الشديد الذى لا استطيع ان اقاومه بتسقط اخبار ابى والبحث عنه.بدأت استجوب اقاربى عنه وارتب المعلومات الضئيلة عنه .. واضع خططا للبحث عنه كما يفعل المخبرون الخصوصيون فى الحلقات البوليسية الاجنبية،عرفت انه كان مهندسا وانه عقب انفصاله عن أمى غادر مصر وعمل فى أوروبا لعدة سنوات ، وأنه تزوج من المانية وانجب منها ثلاثة ابناء ، وعلمت انه عمل عدة سنوات فى السودان وعدة سنوات فى ليبيا .. ثم علمت انه استقر بصورة نهائية منذ سنوات فى استراليا . طرقت ابواب اقاربه المحدودين فى مصر سائلا عنه فرفضوا مساعدتى باية معلومات عنه وكان موقفهم منى عدائيا بالرغم من انى لا اريد منه شيئا . وذات يوم سمعت انه فى مصر حاليا ضمن فوج سياحى قادم من الخارج هو وزوجته وابناؤه الثلاثة « اخوتى » الذين لا اعرفهم ولا يعرفوننى .. وعرفت ان الفوج يقيم فى فندق« كوزمو بوليتان » بالقاهرة كان الخبر قد وصلنى قرب منتصف الليل .. فلم انم الليل بطوله وفى السادسة صباحا ارتديت افخر ثيابى .. وجمعت من الصالون كل التحف الصغيرة الموجودة به وافخر زجاجة كولونيا

لدى ولففتها جميعا فى ورقة هدية زاهية اللون وكتبت عليها اهداء مناسباً ، ثم حملت الهدية واسرعت الى الفندق .. تقدمت الى موظف الاستقبال وسألته عن الفوج فقال لى فى هدوء لقد غادر الفوج الفندق فى الثالثة صباحا ليلحق بطائرته التى تتحرك فى السادسة والنصف .. نظرت الى ساعتى فوجدتها تقترب من السابعة .. وفوجئت بدمعة تسقط فوق زجاج الساعة .. لا اعرف كيف افلتت من عينى .. فحملت هديتى وانصرفت متعثرا خجلا من موظف الفندق . عدت بعد ذلك بيومين لاحاول الحصول على عنوانه باستراليا من سجلات الفندق فقالوا ان الافواج السياحية لا تسجل عناوين اعضائها فى بلادهم الاصلية . فذهبت الى السفارة الاسترالية بالقاهرة وطلبت منهم مساعدتى فى الاهتداء الى عنوانه هناك فسمعوا قصتى فى الم ثم قالوا لى لا نستطيع مساعدتك .

ستسألنى بالطبع .. ولماذا هذا الالحاح فى البحث عن ابى .. هل تحتاج اليه بعد هذه السنوات الطويلة ؟ فاجيبك على الفور : اننى لا احتاج اليه ماديا فأنا رجل فى الثلاثين مسئول عن نفسه واسرته واعمل عملا ناجحا .. ولدى اسرتى الصغيرة ومسكنى لكنى فقط اريده ان يعرف انى ابنه .. وان له ابنا فى الثلاثين طويلا وسيما ناجحا فى عمله وفى حياته ، فقد يسره ان يعرف ذلك ، فاذا سره ذلك فلعله يسره ايضا ان اكتب اليه فى المناسبات بطاقة بريد اهنئه فيها بالاعياد واتمنى له فيها الصحة والسعادة فاذا جاء الى مصر يوما فقد يسره ان تستقبله فى المطار اسرة ابنه الصغيرة وان احمله بسيارتى الى فندقه اذا لم يرغب فى الاقامة فى بيت ابنه .. ولا شىء اكثر من ذلك .. لقد اردت ذلك فقط .. فهل انا مخطىء فيما اريد وهل تستطيع ان تقدم لى اية مساعدة للاهتداء اليه فى استراليا عن طريق بريد الاهرام ؟ » .

● ● ●

هذه الرسالة تلقيتها وقرأتها فتصورت نفسى اقرأ قصة رومانسية يغالب فيها البطل اقدارا اقوى منه ويبحث عن النجاة فيها فى العثور على اب غائب يتنقل بين انحاء العالم ناسيا وراءه فى ركن من الدنيا ابنا لا يعرفه . هل اخطأ من قال يوما ان الزمن هو اعظم المؤلفين ؟ لا اظنه اخطأ فى ذلك فما تنسجه الدنيا احيانا من قصص درامية يفوق كثيرا فى غرابته ما ينسجه بعض المؤلفين .

تسألنى يا صديقى هل اخطأت ببحثك عن ابيك بعد كل هذه السنوات فاجيبك على الفور : لا لم تخطىء فهذا حقك المشروع فى آن تحاول الالتقاء بابيك والتعرف عليه « وإبلاغه » أن له ابنا مكتمل الرجولة وسيما ناجحا عطوفا يحمل مشاعر البنوة لأب لم يعرفه .. بل ان رغبتك فى التواصل مع ابيك هى رغبة نبيلة فى حد ذاتها من ابن تجاه اب لم يتلق منه شيئا من الرعاية والحنان او المسئولية المادية .. واكثر نبلا منها هو انك لا تريد منه شيئا سوى ان تعطيه كتفك ليتوكأ عليها فى شيخوخته وذراعك ليستند اليها .. ولعلك لا تثير أشجان الكثيرين برسالتك هذه ممن اعطوا كل شىء لابنائهم ثم بحثوا عنهم فى شيخوختهم ليتوكأوا عليهم فلم يجدوهم .. او وجدوهم لاهين منصرفين عنهم الى حياتهم ومشغولياتهم . وهذه مفارقة اخرى من مفارقات الدنيا الغريبة فانت تبحث عن اب لا تعرف له عنوانا .. وابناء كثيرون لا يبحثون عن اباء وامهات يعرفون جيدا عناوينهم وارقام تليفوناتهم .. المهم انى مع تقديرى لمشاعرك لا اريد ان تكرس حياتك لهذا الهدف وحده .. فلقد ارضيت ضميرك واديت واجبك تجاه ابيك فان نجحت فى الاتصال به فهو شىء جميل وان فشلت الجهود فعش كما عشت من قبل وكما يعيش الكثيرون ممن حرموا من آبائهم وأمهاتهم .. وقدم لأبنائك ما حرمت منه انت واحرص على حياتك لكى لا تعرضهم لما تعرضت له انت وهذا هو درس التجربة المفيد ، اما مساعدتى لك فالحق انى لست كبير الامل فى امكان

مساعدتك لكن هناك املا واهيا هو ان يقرأ قصتك هذه احد قراء الاهرام المقيمين فى استراليا فيكتب الى طالبا اسم ابيك .. فاذا حدث ذلك فان الامل يصبح كبيرا لان المصريين فى استراليا منظمون فى جمعيات ولهم اماكن تجمعات معروفة يسهل الاهتداء اليهم عن طريقها فعسى ان يتحقق هذا الامل الواهى .. ويجتمع الشمل مع تمنياتى لك بالسعادة فى كلتا الحالتين .

حـد السـيف

بعد تردد استمر ثلاثة أشهر قررت أن أكتب إليك لأسألك عن رأيك فى مشكلتى . انا يا سيدى شاب فى الثانية والعشرين من اسرة ثرية تمتلك فيلا فى القاهرة وأخرى فى الاسكندرية ولدينا سيارات وشغالات وخلافه كنا نقضى الصيف فى الاسكندرية منذ ٧ سنوات عندما ركبت مع شقيقى سيارته لنسافر إلى القاهرة لأعرف نتيجة امتحانى فى الشهادة الاعدادية وفى الطريق انقلبت السيارة المسرعة بنا عدة مرات وأصبنا اصابات مختلفة ، فأصيب شقيقى برضوض خفيفة .. واصبت أنا لسوء حظى فى العمود الفقرى .. ولا أريد أن أطيل فى التفاصيل المؤلمة .. وسأعبرها لأقول لك الى منذ ذلك اليوم وانا حبيس المقعد المتحرك .. ولن اصف لك الصدمة التى اصبت بها وأنا أجد نفسى جسما عاجزا عن الحركة .. وهذه هى ارادة الله ولا راد لقضائه وعلى أية حال فلقد كنت أحسن حالا من غيرى ممن اختار لهم القدر هذا المصير ، فلقد جهز لى ابى الفيلا بمصاعد تحملنى الى ادوارها وخصص لى سيارة وسائقا للذهاب الى المدرسة كل يوم وسارت حياتى الى إن التحقت بالجامعة وكانت فترة اكثر كآبة فى بدايتها إذ كان على السائق بمساعدة أحد السعاه ان يحملنى كل يوم أمام زملائى فى الجامعة ووسط نظرات الشفقة من كل جانب ، وكان على أن أتفادى نظرات الآخرين وان اخفض رأسى لكى لا أرى أحداً وأنا محمول بهذه الطريقة لكى أتناسى وجود الاخرين ، ومضت ايامى الاولى فى الجامعة على هذا النحو .. إلى أن برزت وسط هذه النظرات المشفقة عينان أحسست لاول وهلة رايتهما فيها انهما لا تحملان لى الشفقة وانما شيئا آخر لا أعرفه على وجه التحديد ... وشدتنى هاتان العينان إلى صاحبتهما .. ووجدت نفسى لأول مرة على

استعداد لان اتقبل صداقة جديدة منذ تغير مجرى حياتى وأعجبنى فيها أنها لم تشعرنى انها تعرفنى اشفاقا على وانما ارتياحا الى فارتحت اليها أنا ايضا وازداد ارتباط كل منا بالآخر .. وحدث بعد ذلك أن تغيبت فترة عن الكلية ففوجئت بها تزورنى فى البيت مصطحبة شقيقها الأصغر وحاملة معها كراسات المحاضرات التى فاتتنى . حاولت أن اقاوم مشاعرى تجاهها ولكن الوقت كان قد فات . ومع نهاية العام الدراسى كنا قد تأكدنا اننا قد ارتبطنا برباط لا ينفصم ، لكنى مع ذلك وقفت مع نفسى لأراجعها .. وقررت فى النهاية ان أصارحها بحقيقة حالى ومن خلال دموعى قلت لها كل شىء . قلت لها إنى جسد بلا روح واننى عاجز عن الزواج ، وامتنعت عن مقابلتها وعن الذهاب الى الكلية .. وعشت اياما سوداء . لا أذوق النوم .. ولا الراحة ولا أغادر البيت وكلما لاحت صورتها فى مخيلتى ابعدتها بعنف لكى لا أضعف ، ويبدو أن المعاناة النفسية التى عانيتها كانت شديدة لأنى رحت ذات يوم فى غيبوبة افقت منها فوجدت نفسى طريح الفراش فى المستشفى ، ووجدتها بجوار سريرى ومعها أمى ووجدتها تؤكد لى انها تحبنى وانها ترغب بصدق فى ان تتزوجنى وتقسم لى اننى إذا لم اتزوجها فلن تتزوج غيرى ، وبكت وبكيت معها وبكت امى ، وبدأت افكر فى الارتباط بها ، لكن اخوتى عارضوا فكرة زواجى منها .. وقال لى اخى الاكبر انها لا تريد من ورائى سوى المال وانها بعد ان تحصل على ما تريد سوف تتركنى وتخلف لى الحسرة والندم ، وسأل عنها زوج شقيقتى وجاء يقول لى ان حالتها المالية حسنة وأنها ابنة احد المديرين ، فعاد أخى الاكبر يقول لى انها ربما ترغب فى الزواج منى لتخفى اثار خطأ ارتكبته .. فتأزمت نفسيا وامتنعت عن مقابلتها ثم قابلتها من جديد وصارحتها بشكوك أخى فيها فبكت وقالت لى من بين دموعها أنها على أتم استعداد للخضوع لأى فحص طبى يؤكد زيف هذه الفكرة .

إحترت يا سيدى واحتار دليلى .. فأنا أحبها وهى تحبنى وتجمعنا رابطة روحية غريبة .. فكلانا يشعر بالآخر على بعد كيلومترات .. وكلانا يفكر فى نفس الأشياء فى نفس الوقت .. ونحب نفس الأشخاص .. ونكره نفس الاشخاص .. ونحب نفس الالوان ونكره نفس الألوان .

إننى أريد ان اسالك سؤالا يحيرنى ويقض مضجعى هو هل يوجد على ظهر الأرض من يقبل أن يغرِّر بانسان عاجز من أجل المال ؟ وهل الحب المجرد من أى رغبة موجود ؟ وهل لمثلى الحق فى الحب والزواج ؟ .

إننا لم نستقر على قرار حتى الآن .. وهى سوف تواجه كل أسرتها من أجلى وستقف أمام معارضتهم لزواجها منى وأنا سوف اواجه معارضة اخوتى من أجلها .. وأريد أن تساعدنى بالرأى فى اتخاذ قرارى ، فأسرع لاننى يجب أن أحدد موقفى قبل بداية العام الدراسى وهو آخر اعوامى فى الجامعة .. اننى حائر يا سيدى .. فانقذنى .

● ● ●

* ولكاتب هذه الرسالة اقول :

وأنا اكثر حيرة منك يا صديقى .. وأصارحك اننى لا أستطيع أن أجزم برأى قاطع فى مشكلتك إلا لو حكمت المنطق القاسى البارد كحدِّ السيف وحده واعترف لك اننى لا اريد من البداية ان احكم المنطق وحده فى قصتك متناسيا كل الاعتبارات الاخرى فمن قال ان الحياة يحكمها المنطق وحده ؟ ألسنا نرى فى الحياة زيجات توافرت لها كل مقاييس النجاح حسب القواعد المنطقية الدقيقة ومع ذلك فشلت وتجرع أصحابها كأس التعاسة حتى الثمالة ؟ ألسنا نرى فى الحياة زيجات حكم عليها اصحاب العقول منذ البداية بالفشل لأنها ضد كل منطق وضد كل المقاييس ومع ذلك فلقد نجحت وأثمرت وأزهرت زهور السعادة الفوَّاحة ؟ .

ماذا نقول فى ذلك ؟ وماذا يمكن أن يقول المنطق البارد عنها ؟ إن السعادة يا صديقى هبة من عند الله يؤتيها من يشاء فلم لا تكون السعادة تعويضا لك عما امتحنتك به الحياة ؟ .

لقد ذكرتنى رسالتك بقصة أمريكية قديمة قرأتها منذ زمن طويل ، كانت الأسرة فيها مشغولة ، بالاستعداد لزفاف ابنتها وجاء شقيقها الأكبر من مدينته البعيدة مع زوجته الجميلة التى تزوجها منذ شهور فقط بعد حب عنيف ولاحظ الاب ان ابنه مهموم بشيء لا يعرفه .. وعرف أنه على خلاف مع زوجته ويرغب فى طلاقها ، ولم يجد فى غمار الاستعداد للزفاف فرصة لمناقشته إلا خلال حفل الزواج الراقص ، فانتحى به جانبا ثم سأله لماذا تريد ان تطلق زوجتك ؟ فأجاب الابن : لاننى لست سعيدا يا ابى ، فنظر اليه الأب نظرة طويلة حانقة ثم قال له بحنق : ومن هو السعيد يا ولدى ؟ هل كل هؤلاء الازواج الذين يراقصون زوجاتهم حولنا سعداء ؟ هل كل هؤلاء الزوجات سعيدات ؟ هل ترى هذين الزوجين انهما منفصلان منذ ٣ اعوام لكنهما يرعيان اطفالهما ويلبيان الدعوات الاجتماعية معا .. وهل ترى هذين الزوجين إنهما لا يخاطب احدهما الاخر منذ ٤ سنوات الا امام الآخرين فى الحفلات العامة والدعوات ؟ وهل ترى .. ولماذا نذهب بعيدا اننى متزوج من امك منذ ٢٥ عاما فهل يعنى ذلك بالضرورة اننى سعيد ؟ إن هناك اشياء عديدة تربطنا معا .. ونتشارك فيها اما السعادة الحقيقية فهذا شيء اخر ولو طلق كل زوج زوجته لانه لا يشعر معها بالسعادة كما يتصور لخلت بيوت عديدة من سكانها .. فاعقل يا بنى .. ولا تهدم بيتك بيدك ؟ ولا اعرف بالتحديد لماذا ذكرتنى رسالتك بهذه القصة .. هل لأنها تقول إن السعادة مطلب عزيز المنال - وان الانسان لا يستطيع أن يحكم على المظهر الخارجى للآخرين ؟ ام لأنها تقول إن هناك أشياء صغيرة عديدة يمكن أن تجمع بين الناس ولو خلت حياتهم من السعادة لا اعرف على وجه التحديد لكنى اقول

لك يا صديقى إن كل شىء محتمل .. وإن السعادة ليست مقصورة ع
الأصحاء .. ولا على الزيجات التى تتوافر فيها المقاييس المنطقية الدقيقة

فاستفت قلبك وحده ولتستفت قلبها فإن أفتاك بصدق حاجتك اليها
وصدق حاجتها إليك وارتبطتما معا فلربما غيرتما المألوف وعشتما حياة سعيد
أما إن فشلت التجربة بعد حين واكتشفت هى انها لا تستطيع ان تواصل
الرحلة معك الى النهاية فلقد فُزْت من العمر بزمن من السعادة لا يقدر بكنو
الدنيا وخرجت من التجربة بأقل قدر من الخسائر وكذلك هى ، ولا يحكم
على القلوب إلا خالقها . إننى اعرف ان رأيى هذا لن يرضى اصحاب المنط
العقلانى المجرد لكن لا استطيع ان اطالبك بان ترفض اى شعاع للامل يتسلل
الى حياتك ولو فعلت لما أعفيت نفسى من اللوم .

الجريمة .. والعقاب !!

هذه رسالة من رسائل « الاعتراف » التى أتلقاها من حين الى اخر واواثر الرد عليها فى باب « ردود خاصة » مهّونا الامر على صاحبها غالبا وداعيا إياه لأن يكف عن اجترار الالم وان ينظر الى الامام .. لكن هذه الرسالة تختلف تماما عن كل الرسائل التى تلقيتها من قبل من هذا النوع .. لذلك فلقد آثرت نشرها رغم بشاعتها لعلنا نجد فيها معا ما يضيف الى خبرتنا بالحياة شيئا جديدا حتى ولو كان مؤلما غاية الالم .. تقول كلمات الرسالة التى لم اتدخل كثيرا فى صياغتها لكى احافظ على فظاعة صدقها الكريه .

« اكتب اليك لعلى أجد السلوى والعزاء لى فيما اعانيه فانا يا سيدى انسانة أكره نفسى وقصتى بدأت منذ ٨ سنوات حين تزوجت رجلا له ابنة وحيدة فى العاشرة وكانت فتاة مسالمة طيبة القلب لكنى كنت اكرهها بلا سبب ولا تسألنى لماذا لأننى أنا نفسى لم استطع أن اجد جوابا على هذا السؤال حين سألته لنفسى كثيرا الا إذا كان هذا السبب هو أنى انسانة أنانية لم أقبل ولم أتخيل ان يشاركنى فى الرجل الذى أحبه احد أو « شىء » حتى ولو كان هذا الشىء هو إبنته الوحيدة ! لذلك كنت أعاملها بقسوة غريبة وكنت احمِّلها « شغل البيت » كله لكى لا أتيح لها فرصة للمذاكرة ومع ذلك فقد كانت تنجح فى المدرسة كل سنة ولا تشكو ولا تتبرم .. ولا تشكونى لابيها مهما فعلت ربما استسلاما للامر الواقع أو خوفا منى .

وكانت هذه الابنة يا سيدى مريضة تهاجمها من حين الى اخر نوبات الكلى الفظيعة فتتعذب عذابا لا يطيقه بشر .. لكنى كنت لا أسال فيها عندما تمرض وكنت أغلق عليها باب حجرتها حين تهاجمها النوبة لكى لا اسمع صراخها الذى يفتت الكبد ولم يكن يؤثِّر فى وقتها بكل اسف .. ومرت ٧ سنوات

على هذا الحال والبنت مستسلمة للحياة ولإرادتى ولأوامرى .. وكان أبوها
يعرف انها مريضة بالطبع لكنه لم يكن يعرف ان النوبات تعاودها كثيرا ..
وان كل نوبة تأتى أشد من النوبة السابقة لأنى كنت قد حرَّمت عليها أن
تشكو من مرضها لابيها ولانى أيضا لم أكن ابلغه بها .وكان زوجى بحكم عمله
يبيت كثيرا خارج بيته مطمئنا الى ان ابنته فى رعايتى . وفى ليلة جاء الى
البيت على غير انتظار إذ كانت من الليالى التى يبيت فيها فى عمله . وكأنه
يعرف ماذا سيحدث فقد كانت النوبة قد عاودتها طوال النهار وهى راقدة
فى غرفتها المغلقة عليها تتعذب ويصلنى صوت صرخاتها المكتومة لكى لا
أنهرها اذا سمعتها ، ثم حين عاد ابوها سمعنا معا صوت صراخها . كالفحيح
فلم أجد مفرا من الذهاب إليها معه فى غرفتها وكانت مستلقية على السرير
تجزُّ على اسنانها من العذاب وينتفض جسمها مع كل هجمة ألم فيرتفع فوق
السرير ويتقوس ثم يهبط مسترخيا ضعيفا الى أن تعود الهجمة كانت « تجض »
من الألم يا كبدى ففزع ابوها واقتربت أنا منها ووضعت يدى على كتفها .
وصدقنى – وانا اعرف رأيك الآن فى – اننى كنت قد احسست بالندم
وبالألم من أجلها لأول مرة فى حياتى ، فلمستها بيدى ففوجئت بها تبعدنى
عنها بكل ما تبقى فى جسمها الضعيف من قوة وتصرخ فى اخرجى بره ..
اخرجى بره . ثم أمسكت بيد ابيها الذى تتساقط دموعه وراحت تقبلها
وظلت ممسكة بيده تقبلها الى ان فارقت الحياة بعد لحظات .

ورحلت ابنة زوجى الصغيرة . رحمها الله وتركت لى عذابا لا يطاق هو
عذاب الضمير .. فلقد اكتشفت بشاعة ما ارتكبته ضدها من ضرب واهانة
واهمال . لقد ماتت وارتاحت . لكنى الآن اتعذب بها فانا اصحو من النوم
مفزوعة ... احلم بها ٣ او ٤ مرات كل ليلة وأراها فى الحلم تخنقنى وتقول
لى « انت السبب فى موتى » . حتى أصبحت اخاف النوم حتى لا اراها .
أدخل المطبخ فأراها فى كل مكان فيه حيث كنت أرغمها فى الليالى الباردة

على ان تغسل الأوانى والاطباق لكى لا أتيح لها فرصة للمذاكرة ، واراها فى كل ركن فى البيت إنها تطاردنى وانا نائمة وانا مستيقظه وأينما ذهبت . حتى لقد طلبت من زوجى أن نترك الشقة التى نعيش فيها الى شقة اخرى ولكن هيهات ان يتحقق ذلك مع ازمة المساكن . انها تعذبنى لالى السبب فى موتها « ليتنى ما عذَّبتها .. ليتنى عالجتها .. ليتنى اشفقت عليها وهى تتعذب بالألم . اننى أكتب لك هذه الرسالة وأنا اعرف انها سوف تثيرك ضدى لعلك رغم ذلك تقول لى كلمة تخفف من عذابى وأكتبها ايضا لكى تقرأها كل زوجة أب على وجه الأرض فلا تعامل ابناء زوجها « بكراهية » ولكى لا تسىء معاملة أبناء زوجها .. وان كانت قد فعلت فلتكف عن ذلك وتصلح من خطئها قبل ان ياتى يوم لا يبقى لها فيه سوى الندم وسوى العذاب كما اتعذب الان .. فهل اجد لديك السلوى التى أطلبها ، التوقيع « زوجة أب حاقدة ونادمة » .

● ● ●

* * هذه هى الرسالة « الجريمة » التى تلقيتها ، ولكاتبتها اقول بلا تردد لا يا سيدتى لن تجدى عندى ما تريدين .. فلقد ارتكبت ابشع الجرائم .. وهى جريمة تعذيب النفس البشرية التى حرم الله تعذيبها وارتكبت هذه الجريمه ضد من ؟ ضد فتاة صغيرة ضعيفة لا حول لها ولا قوة طيبة القلب إستسلمت لقدرها فلم تشك ظلمك لها لأحد ولم تصرخ فى وجهك الا حين اذن الله لروحها أن تتحرر من سجن الجسد وان تغادر هذه الدنيا الظالمة ، فكيف هان عليك يا سيدتى أن تسمعى صراخها المكتوم وهى تتعذب بالألم فى نوبات الكلى البشعة فلا تحرك فيك عطفك ونخوتك ولا مشاعرك الانسانية البسيطة التى لا يخلو منها بشر حتى القتلة المحترفين .. فتسارعى الى نجدتها بالعلاج وبالدواء او حتى بالكلمة الطيبة وهو أضعف الايمان ؟ لقد رأيت رجالا اشداء فى نوبات الكلى المؤلمة يصرخون من الألم صرخات تزلزل

الجدران .. ويقولون عقب زوالها ان الآمها تهد الجبال .. فكيف هان عليك ان تريها وهى الفتاة الضعيفة فى هذا العذاب ولا يتحرك لها قلبك ؟ بل حرَّمت عليها الصراخ من الالم . حتى الصراخ من الألم يا سيدتى حرَمتها منه .. أى بشاعة .. واى قسوة واى سادية ؟ إن كثيرين لا يحتملون مشهد قطة تتعذب بالألم لأنها روح أمرنا الله بألا تعذبها فكيف إحتملت عذاب هذه الابنة الطيبة القلب المطيعة المستسلمة لاقدارها .. وبأى ذنب استحقت كل هذه الاهوال .. وماذا ستقولين للعادل الذى لا يظلم أحداً حين تقفين معها أمامه يوم الحساب .. « وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت » حقا بأى ذنب استحقت هذه البريئة كل هذا العذاب ؟ وبأى ذنب وأدتها يا سيدتى بأنها يتيمة محرومة من عطف الأم وحنانها ؟ ام بأنها وديعة ائتمنك عليها ابوها وهو غافل عن « ساديتك » وسوء طويتك وقسوتك ؟ ثم تشكين بعد ذلك مما تعانيه ومما ترين فى احلامك ؟ ألم تعرفى يا سيدتى أن لكل جريمة عقابا .. وان بعضنا ينال بعض عقابه فى الدنيا وبعض عقابه فى الاخرة . وان العقاب عاجله وآجله هو ضريبه واجبه السداد عما جنت أيدينا ؟ صحيح انها أعمار وآجال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .. لكن ذلك لا يخفف أبدا من جريمة تعذيبك لها حتى الموت .. ولا من جريمة اهمالك لعلاجها .. وتقاعسك عن نجدتها فى اشد حالات الالم .. فلا عجب اذن ان « تدفعى عاجله » الآن يا سيدتى فهذا عدل . وسوف تدفعين « آجله » حين يشاء الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يُبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما .

فليكن ما حدث درسا لك لا تنسيه مع الايام ولتكن توبتك خالصة حقيقة ولتكفرى بالعمل الصالح عما جنيت لعل الله يتقبل منك . وارجو الا يكون ندمك مؤقتا وألا يكون محاولة للتخلص من العذاب الذى تلاقينه الآن ، أو للتخلص من خيال الفتاة البريئة الذى يطاردك على طريقة « لن

تنام الليل يا ما كبث » كما كان شبح الملك القتيل يطارد قاتله . وفى النهاية فانه اذا كان لرسالتك البشعة هذه من فائدة فلعلها فى انها تقول للاباء والامهات بلا استثناء بالتجربة المؤلمة : ان ابناءكم وديعة استودعكم الله اياها وسوف تسألون عما صنعتم بالأمانة ، فلا تفرطوا فيها ولا تدعوها تغيب عن إشرافكم ورعايتكم وحمايتكم مهما كانت الاحوال .. فلا احد يعرف ماذا يمكن ان تصل اليه نوازع النفس البشرية من الفظاعة فى بعض الاحوال ولا احد يعرف ماذا تخفى بعض الوجوه « البريئة » وراء اقنعتها ثم فى أن هذه الرسالة تقول « للبعض » وبالتجربة المؤلمة ايضا كفوا عما ترتكبون من جرائم فى حق الأيتام الضعفاء الذين استودعتم اياهم فلن تفلتوا من العقاب عما جنيتم .. ولن يفيدكم الندم يوم لا ينفع الندم » .

وليغفر الله للجميع .

الندم

« خشيت أن احضر اليك فى مكتبك خوفا من ان تقسو على .. وقررت ان اكتب اليك بما جرى لى بعد نشر رسالتى الاولى فى بابك .. فأنا يا سيدى زوجة الاب التى نشرت رسالتها منذ عدّة شهور بعنوان معبر هو « الجريمة والعقاب » والتى هاجمتها فى ردك على الرسالة ولست ألومك فى ذلك فأنا استحق كل ما كتبته عنى .. بل واكثر منه .

نعم أنا زوجة الاب التى تسببت فى موت إبنة زوجها البريئة الطيبة المريضة بالكلى والتى كانت تتركها تتلوى من الالم فى غرفتها وتحرم عليها حتى الصراخ من الألم والتى كانت تخفى عن أبيها مرضها وتحرم عليها الشكوى حتى ذَبُلَت الفتاة ، أنا هذه الزوجة القاسية الأنانية وانا اكتب لك هذه الرسالة لأروى لك ماذا صنعت بى الايام بعدها ، فعقب نشر الرسالة قرأها زوجى والد الفتاة وشكَّ فى الامر ، فسألنى عنه ، وكنت فى قِمَّة عذابى بعد المأساة فاعترفت له بالحقيقة .. بكل شىء .. لأنى اردت ان ازيح عن صدرى ما يثقله .. وصُدِم زوجى صدمة بالغة إهتز لها كيانه .. ومضت ايام ثقيلة وهو يعانى من آلام تنوء بها الجبال ويمضى الساعات صامتا حزينا اما انا فقد إستسلمت لمصيرى ، ثم حَزَم زوجى امره وطلقنى بعد فترة قصيرة ، وصدقنى اننى لست منزعجة مما جرى لى ، فلكل جريمة عقاب كما قلت انت فى تعليقك على رسالتى الأولى ، وهذا هو عقابى وليته يقتصر على ذلك او ليته يعفينى من عقاب السماء بعد أن نلت جزائى فوق الأرض لقد اصبحت وحيدة .. ولا هم لى الا ان اكفِّر عن خطيئتى فأخرجت بعض ما املك من مال كصدقة على روح الإبنة التى تسببت فى موتها ولست نادمة على ذلك فلعل الله يتقبل منى التوبة .. وقد هاجمنى المرض أللعين وأصبحت طريحة الفراش واحس اننى

سوف ألقى وجه الكريم وقد ارسلت لك هذه الرسالة ليسامحنى قراؤك الذين قرأوا رسالتى الاولى وصبّوا غضبهم ونقمتهم على وهم على حق لكنى ارجو منهم السماح ، كما كتبت رسالتى هذه لتكون عبرة لمن سلكوا نفس طريقى وظلموا أبرياء صغارا لا يستطيعون الدفاع عن انفسهم او عن حقوقهم .. وليعلم الاخرون ان الله فوق الجميع يراقبهم ويحصى عليهم اعمالهم وانه يأخذ بحق المظلومين من ظالميهم وان تأخر القصاص .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

● ● ●

** ولكاتبة هذه الرسالة اقول :

ليغفر الله لك يا سيدتى ما تقدم من ذنبك .. وليتقبل منك توبتك .. وليَعْفُ عنك جزاء ما أحسست به من ندم صادق على ما فعلت .. وجزاء ما لقيت فى الدنيا من عقاب ولقد يرضى الانسان احيانا بما يلقى من عقاب عاجل مؤملا ان يكون من المعجلين لهم بالعقاب فى دنياهم .. وممن يبدل الله سيئاتهم حسنات فى أُخراهم وأظن ان هذا الاحساس هو سر رضائك عما جرى لك فيما بعد .. فلقد تطهرت يا سيدتى مما فعلت ، بنيران الندم التى تلسعك كالسنة اللهب .. وهذا يؤكد لك انت قبل غيرك ان لك ضميرا كان غافيا ثم استيقظ عقب التجربة المريرة فلعل فى ذلك دروسا قاسية ، لمن يتصورون أنهم يتحركون فى الحياة بلا رادع من ضمير .. او من وازع دينى .. وقد يهزأون احيانا بمن يذكّرهم بعذاب الضمير اذا استيقظ .. وبعذاب الندم اذا شبت فى القلب نيرانه .. ليتذكروا ذلك جيدا .. وليستعدوا جميعا للجحيم الذى ينتظرهم عندما يستيقظ النائم بين حنايا صدورهم ولابد من يوم يستيقظ فيه وان طال الانتظار .

اما انت يا سيدتى فلا تيأسى من رحمة الله .. وأظن ان قراء هذا الباب

الذين نقموا عليك من قبل لا يحملون لك الآن أية ضغينة بعد كل ما جرى ..
وما انت فى النهاية سوى امرأة وحيدة ضعيفة إغترت بالدنيا فى بعض الفترات
من حياتها فقَسَت .. ثم دفعت الثمن غاليا ولم تزل .. فليتقبل الله توبتك والله
يغفر الذنوب جميعا . سبحانه وتعالى وفى النهاية فانه :

« اذا كان ذنبى كل ذنب فانه

محا الذنب كل المحو من جاء تائباً»

صاحب الجلالة

أنا شاب عمرى ٣٩ عاما اكتب اليك هذه الرسالة وانا جالس فى « مكتبى » بالورشة التى أملكها واديرها .. فانا ميكانيكى اكسب كثيرا وانفق كثيرا لكنى الى جانب ذلك متعلم ، او بمعنى اصح أحب ان أحس أننى متعلم ، فقد أنهيت دراستى الثانوية وكان والدى يغرينى دائما بالعمل معه فى الورشة لكى أساعده فى العمل وأحفظ عليه ماله . لكننى كنت أحلم ايامها بان اكون « أفنديا » كان ذلك منذ عشرين سنة .. وكان « الأفندى » هو الصورة التى تلهب خيال الشباب أيامها . ولم تكن المهنة موضع احترام كبير او بمعنى اصح موضع حسد و« قر » من الناس كما هى الان . المهم أنى استسلمت لمصيرى وبدأت العمل فى الورشة وفرح أبى فرحا كبيرا بذلك اما أنا فكنت موزع المشاعر بين الرضا والغضب .. والحق اننى لم اكن أخلو فى داخلى من « حسد » لزملائى الذين واصلوا تعليمهم وأيضا تجاه أشقائى الصغار الذين كانوا يواصلون طريق التعليم بنجاح وأنا اعترف بذلك ، فأنا بشر أما ابناء المهنة الذين كنت اتعامل معهم .. وهذه عقدة اخرى فقد كنت أحاول ان احس بانى « مختلف » عنهم وقد وجدت فى عملى الجديد تعويضا عن اشياء عديدة فانا فى يدى وجيبى باستمرار مبالغ كبيرة وزملاء الدراسة الذين واصلوا طريق التعليم يشكون دائما ضيق ذات اليد . والحق انى اشعر بشىء من الترفع إزاءهم ، وسأكون صريحا معك واقول لك اننى كنت أشعر بنفس الشىء تجاه اخوتى اللذين واصلوا طريق التعليم وعملوا بالوظائف لنفس السبب . المهم مضت الايام ومات والدى رحمه الله ، وكان قد باع لى صوريا نصف الورشة فى حياته فلم اجد صعوبة فى نقل باقى ملكية الورشة إلى فقد تفاهمت مع اخوتى وهم شقيقان وشقيقتان على ان اتكفل بنفقات تعليم وزواج شقيقتينا ورعاية امنا الى اليوم المحتوم .. وعدا ذلك فلا شىء . وقد كان

وفى هذا الوقت كنا جميعا نعيش فى شقة واحدة واسعة فوق الورشة ..فمضت الحياة هادئة .. تزوجت شقيقتاى وتزوجت أنا من فتاة طيبة جميلة من معارفنا احببتها فترة طويلة وانجبت منها ابنة جميلة .. ثم ابنة ثانية .. ثم الحت على والدتى فى الانجاب مرة ثالثة لارزق بولى عهد يحمل اسمى فكان النصيب هو ابنة ثالثة واستجبت لرغبتها مرة أخرى فكان النصيب ابنة رابعة .

وفى هذا الوقت حدث « انقلاب » فى الصنعة ، فبعد ان كانت تدر عدة مئات من الجنيهات كل شهر انفق منها ببذخ ويبقى منها جزء معقول للادخار اصبحت فجأة منجما للذهب . وأصبحت تدر الآلاف ولعبت « البلية » معى فتاجرت الى جوارها فى قطع الغيار وخلال سنوات محدودة كنت قد اصبحت من الأثرياء .. فقررت تجديد حياتى .. انتقلت الى شقة فى عمارة يسكنها دبلوماسيون فى حى الزمالك . وبقيت أمى فى شقتها القديمة مع اسرة شقيقى الصغير الذى تزوج فيها . اما شقيقى الأصغر فقد تزوج وعاش فى شقة اخرى فى نفس الحى واشتريت سيارة فولفو .. ووجدت نظام الورشة كما هو منذ ايام ابى فإقتطعت لنفسى مساحة منها أحطتها بسور زجاجى وجعلت منها غرفة لمكتبى .. وأثثتها بغرفة مكتب فاخر لاتختلف عن غرفة مكتب أى وزير . ووضعت على مكتبى عدة تليفونات ملونة .. ووضعت فى الغرفة ثلاجة وتلفزيونا ملونا .. « وكوفى ميكر » أى جهاز صنع القهوة ، وعينت لنفسى ساعيا يقف على باب المكتب وسكرتيرة تحمل دبلوم تجارة ، واكتملت الصورة التى أردتها لنفسى ستسألنى بعد ذلك وأين المشكلة .. فأقول لك المشكلة أننى اعيش هانئا مع زوجتى وبناتى أحبهن جميعا ويبادلننى الحب ، لكن غير راض ولاسعيد لأنى اريد أن أرزق بابن يحمل اسمى .. ويرث مالى ويرث الورشة التى إتسع نشاطها ، وبين حين واخر توسوس لى نفسى أن اتزوج خفية وأنجب ولدا يرث هذه « المملكة » ويحفظ لاخوته مالى وكلما طال العمر اختمرت الفكرة فى ذهنى ، فما رأيك ؟

● ● ●

* رأيي إنك انسان جاحد لاتستحق العطف ، وانما تحتاج الى من يهوى على رأسك بلكمة قوية تفيقك من غيبوبتك ! .. يارجل .. انعم الله عليك بكل هذه النعم وأرضى كل « عقدك » حتى أصبحت تقارن غرفة مكتبك بغرفة مكتب وزير .. وتسكن عمارة يسكنها الدبلوماسيون .. وتركب « الفولفو » وتلبس « البيير كاردان » .. وتقدم لضيوفك القهوة من « الكوفى ميكر » كما يحدث فى المسلسلات الاجنبية وتحب زوجتك وبناتك .. ولاتشكو من مرض ثم تقول لى انك غير راض لانك لم ترزق ولدا يرث عرش مملكتك ؟ ماذا تظن نفسك ؟ خوان كارلوس ملك اسبانيا أم كارل جوستاف ملك السويد ؟.. لقد كنت على استعداد لان احترم آلامك .. اذا قلت لى انك تشتاق الى طفل .. وهو شىء مقبول .. لكنه ليس نهاية الدنيا . ولافرق بين ابنة وابن . لكنك حتى لاتقول لى ذلك وانما تقول أنك تريد وريثا للورشة يحمل اسمك وهذا هو مايغيظ .. فالسعادة ليست فى ابن يحمل الاسم او ابنة .. لكنها فى الرضا .. وفى اسرة حانية ترعى الانسان وتبدد وحشته .. وكل هذه المقومات حباك الله بها .. وزاد عليها من فضله .. سعة فى الرزق فماذا تريد ؟

اذا كنت تبحث عن المتاعب . فانت وشأنك لكن اذا كنت تطلب النصيحة .. فاسمع نصيحتى ولاتتزوج مرة اخرى لكى تنجب ولدا فتحطم قلب زوجتك وتبدد سعادتك .. فمن يدريك ان زوجتك الجديدة ستنجب ولدا .. لابنتا .. ومن يدريك انها سوف تنجب على الاطلاق .

انى استطيع ان اروى لك اكثر من قصة لاشخاص ارتكبوا نفس الخطأ فاخلفت المقادير ظنونهم فهل يستحق عرش « الورشة» كل هذا العناء .. الحق انك لست مشغولا بعرش الورشة ، وانما مشغول بأن تحجب عن اخوتك ثروتك .. وانت حر فى ذلك وهناك وسائل قانونية عديدة تطمئن بالك من هذه الناحية لكن من يدريك انهم ينتظرون منك شيئا ؟ .. اليس من المحتمل

ان يكون بينهم من هو اغنى منك نفسا والغنى غنى النفس قبل كل شيء بدليل انك بكل ثروتك مازلت اسير عقدك .. ومازلت تتلمس الامان والرضا فلاتجدهما .

والحق انك رجل مغرور واناني وشديد « الهيافة » لامؤاخذة ولاتستحق عناء الرد عليك .. وقد اضعت وقتي بمشكلتك السخيفة لكن هذا هو قدرى على أية حال .. ولست نادما عليه !





شبح .. من الماضى

« أنا طالبة بالسنة الثالثة باحدى الكليات الجامعية اعيش مع اسرة مكونة منى ومن شقيق يلينى فى السن وهو طالب جامعى ثم من أمى السيدة الفاضلة التى ترعانا وتزرع الحب فى نفس كل منا تجاه الاخر وتجاه البشر اجمعين .

ولقد كان لنا يا سيدى ككل الأبناء أب .. لكنه رحل عن عالمنا منذ أكثر من ١٠ سنوات ، ورغم طول السنين وصغر سنى حين غادر دنيانا فمازلت اذكر وجهه .. وكلماته وصوته الهادىء وابتسامته الحزينة كأنه « يسامح » بها الدنيا عما فعلته به وبنا من بعده . ولقد كنت احبه الى درجة العبادة واذكر له انه لم يغضب منا انا وأخى ولا مرة واحدة .. ولم يضرب أحدا منا ابدا .. كما لو كان يُحس كما يقول الناس انه سيتركنا وحدنا للحياة صغاراً ، ورغم صغر سنى فلقد كنت الحظ دموعه وهو يصلى ويطيل الصلاة .. وهو مستغرق فى الدعاء الهامس لفترة طويلة بعدها كما بدأت الاحظ بعين الطفلة .. انه لم يعد يذهب الى « الشغل » ولا يكاد يخرج من البيت . وأنه يمضى اليوم الطويل .. يصلى أو يبكى ويدعو .. فاذا اقتربنا منه مسح دموعه بكفِّه .. وابتسم وضحك فى وجهينا وأعطانا نقودا صغيرة لنشترى الحلوى ..

وكنا فى اجازة الصيف .. وقد اعتدت ان اصحو من نومى واتجه الى غرفة نومه لأداعبه .. فذهبت إليه ذات صباح فلم أجده .. وعرفت انه فاجأته فى الليل نوبة قلبية ونقل الى المستشفى ، وهناك زرناه مرة وحيدة ثم غادرنا الى العالم الافضل .. ووجدنا انفسنا امى وشقيقى وانا .. ثلاثة فى مواجهة الحياة وحدنا فأحاطتنا امى بجناحيها .. وعلمتنا الصبر والامل .. وارادت ان تنزل للعمل لانها متعلمة وحاصلة على شهادة لكن أخوالى رفضوا

السماح لها بالعمل وتكفلوا بنا بمساعدة معاش بسيط لا يتجاوز الثلاثين جنيها ورغم ان الحياة مضت بعدها كما تمضي دائما وواصلنا تعليمنا الا انني كنت احس بجو ثقيل يخيم على اسرتنا . وأحس بنظرة حزينة مستقرة دائما فى عيني أمي حتى من قبل وفاته . وبدأت استشعر تناقضا واضحاً بين ما اسمعه عن مركز ابى فى عمله ومظاهر هذا المركز فى حياته .. وبين المعاش الضئيل الذى نتقاضاه . وشيئا فشيئا عرفت السبب .. وإنفجر فى وجهى السر المكتوم .. عرفت أن ابى كان مديرا لإحدى الشركات العامة فى عاصمة المحافظة التى نعيش فيها ، وانه اخطأ حين اعطى ثقته الزائدة لمن حوله فكانت نتيجة هذه الثقة ان أُتهم فى قضية إختلاس يعلم الله انه برئ منها .. فأوقف عن عمله وبدأ التحقيق معه ثم المحاكمة .. فلم يتحمل مواصلة المشوار واصيب بنوبة قلبية وانتقل الى جوار ربه . اما قيمة الاختلاس الذى حطم اسرتنا يا سيدى فلقد كان ثلاثة الاف جنيه وكان لهذه القصة أثرها فى حرمان والدتى من حقوقه فى المعاش لكنها بكفاح مرير استطاعت الحصول على معاش الثلاثين جنيها .. ولولا أخوالى وهم بحمد الله ذوو مراكز مرموقة لهلكنا فى السنوات الصعبة التى تلت وفاته . وواصلنا الحياة وحاولنا أن ننسى الماضى بكل جراحه .. وواصلنا تعليمنا ، وأمى العظيمة تدفعنا للأمام حتى كدنا ننتهى من تعليمنا الجامعى .

وحرصت امى على ان تجعل منا مثالين للاخلاق وحسن التعامل مع الناس .. وليس هذا غرورا منى لكنها الحقيقة والله العظيم .. ولعلها كانت تعرف اننا سوف نحتاج الى سلاح اكبر من سلاح العلم لكى تسير بنا سفينة الحياة بسلام ولكن هل أجدى حرصها هذا ؟ يبدو انه لم يجد كثيرا .. لأننا الآن وبعد أكثر من عشر سنوات من وفاة ابى .. مازال بعض الناس حولنا ينظرون الينا نظرة مريبة ويتشككون فى مصدر أى شيء نشتريه ولو كان قطعة ملابس رخيصة .. كأنهم يتساءلون من اين لكم هذا . وليت الامر

اقتصر على النظرات أو الكلمات ذات الايحاءات المؤذية لكنه تجاوز ذلك الى الاضرار بى وأنا فتاة فى سن الزواج .

فلقد تقدم لى اكثر من خاطب بالطريقة التقليدية وخلال مرحلة التعارف وسؤال كل طرف عن الاخر يسأل فيسمع قصة الاتهام الظالم لابى .. فلا يعود ، ولقد تكررت هذه القصة معى مرتين ، حتى يئست وصددت نفسى عن التفكير فى هذا الموضوع الى ان ابلغنى زميل لى بالكلية ونحن نؤدى الامتحانات العملية انه يريد ان يزور اسرتى بعد الامتحانات .. فحاولت الاعتذار .. ولكنه اصرَّ .. وبالفعل جاء لزيارتنا فى مدينتنا خلال العطلة الصيفية .. وغادرنا على وعد بزيارة تالية لم تتم بالطبع .. ومضت شهور الصيف طويلة الى ان بدأت الدراسة وعدت الى كليتى ففوجئت به يصافحنى باستخفاف .. وفى شىء من السخرية ، وكنا مجموعة من الزملاء نتحدث عن الاسعار وصعوبة الحياة ومصاريفها ، ففوجئت به يقول لى : وماذا يهمك من هذا .. وأنت سترثين الملايين . فأسودت الدنيا فى وجهى واحسست بأطرافى تتثلج .. وخرست حتى انتهت الجلسة ، ثم قمت مهزومة .. منهارة .. وقررت الا اقترب من مكان يوجد فيه .. والا اطيل الحديث مع احد من زميلاتى او زملائى لكى لا ينحرف الحديث الى ما يجرح مشاعرى ..

سيدى .. لقد أصبح قلبى ينقبض مع كل طارق جديد على بابنا لكى لا تتكرر المأساة وعاد الحزن يخيم على سمائنا من جديد لان ما اصابنى .. اصاب أيضا شقيقى الوحيد الذى بدأ يدفع هو الاخر ثمن شىء لادخل له فيه .. تماما كما أدفع انا نفس الثمن ورغم كل ما حدث فلم ولن اكره ابى .. ومازلت احبه الى درجة العبادة كما كنت دائما .. ولقد رأينا باعيننا انتقام ربنا العزيز الجبار من كل من اشترك فى هدم اسرتنا .. وهو انتقام لا أستطيع ان اصفه لك وارجو الا تعتبر ذلك شماتة .. بل دليلا جديدا على انه يمهل ولا يهمل ..

وبعد كل ذلك اسألك .. ما هو ذنبنا فيما حدث يا سيدى لكى لا يرحمنا الناس حتى بعد هذه السنوات الطويلة .. وماذا جنينا لكى يشعرنا الناس بأن هناك وصمة فى حياتنا تبعد الاخرين عنا .. وماذا يريد الناس منا يا سيدى لينسوا الماضى .. كما كنا قد نسيناه لولا ظلمهم لنا الذى أحياه من جديد ؟ .

• • •

* ولكاتبة هذه الرسالة أقول : لا ذنب لكم .. ولا جريرة .. لكنها الدنيا التي تقسو احيانا على الابرياء بلا جريمة . فأيا كان الخطأ الذى وقع فيه ابوء الراحل ، فليس من العدل .. ولا من الرحمة ان تدفعوا انتم ثمنه وان يلا حقكم « عاره » الى الابد .. لكنها قسوة المجتمع فى بعض الاحيان . فالمبدأ الا ساسى فى فلسفة العقاب هو « شخصية » العقوبة اى ان تنحصر آثارها فى شخص مرتكب الجريمة او الخطأ ، وهذا هو العقاب الجنائى الذى تقضى به المحاكم اما العقاب المعنوى الذى يقضى به المجتمع فهو لا يعرف « شخصية » العقوبة .. ولا يفرِّق بين مذنب وبرىء ويضع عادة المخطىء وأسرته واهله وربما اصدقاءه أيضا فى سلة واحدة وينزل عليهم بهراوته القاسية بلا رحمة . ورغم إن هذا العقاب المعنوى هو فى حد ذاته أحد ضوابط حركة الحياة والمجتمع لانه أحد الروادع التى تردع البعض عن ارتكاب الخطأ خوفا مما يلحق باعزائهم من عار وفضيحة ، الا انه يقسو فى أحيان كثيرة فيعاقب الابرياء عن جرم لم يرتكبوه .. ويطالبهم بدفع فاتورة باهظة من حقهم الطبيعى فى الكرامة والامان كما يحدث معك ومع شقيقك . ويزيد من قسوة هذا العقاب المعنوى انه كصنُوه العقاب الجنائى لا يستأسد ، فى احيان كثيرة الا على الصغار ومن هم فى حكم « الغلابة » .. اما الوحوش الضارية فلا يطولها فى احيان كثيرة عقاب جنائى او معنوى .. الا ان تتزلزل الأرض مؤذنة

بسقوط وحش كاسر تخلت عنه الدنيا فجأة . لكن هذه قصة اخرى ! فلندعها جانبا ونعد الى رسالتك .

لقد مستِ قلبى كلماتك الرصينة عن ابيك .. وهزنى انك تحبينه الى درجة العبادة رغم كل شيء .. وان قسوة المجتمع عليك لم تنل من حبك ووفائك له .. ولعله كما تقولين قد قُضِيَ مظلوما فعلا وما أكثر من فى الحياة من مظاليم بل وما اكثر من فيها من جُنَاة لم يطلهم عقاب الدنيا .. وينتظرهم عقاب السماء لذلك قيل دائما ان الرحمة فوق العدل ، ومن الرحمة الا يأخذكم المجتمع بهذه الخطيئة التى لم ترتكبوها الى نهاية العمر ، ولكن الكارثة ان ذاكرة الناس تبدو احيانا أحدّ من حافة المقصلة . والحق انى احس فى كلماتك عن ابيك وشقيقك وامك احساسا عائليا آسراً ، وأعتبر حبك لابيك ووفاءك لذكراه دليلا على صفاء نفسك .. وقيمك الخلقية . التى غرستها فيك أنت وشقيقك أمُّك بفهم تربوىٍّ عالٍ لمعنى إحترام رمز الاب .. والوفاء له .. رغم كل شيء ، وارى ان مثل هذه التربية الكريمة كفيلة بأن ينسى لكم مجتمعكم الصغير هذه الذكرى القديمة أو هذا الشبح القديم من الماضى .. وان يتعاملوا معكم على اساس من خلقكم وقيمكم .. ولا شيء أخر .. فهل يعدل البشر مرة ؟ .

رسالة من الباب الخلفى

اكتب اليك من الاسكندرية لاحدثك او لأحدث نفسى بما يدور فى خاطرى .. حيث اعمل الان فى عمل جديد يتطلب منى اسعاد الاخرين كل ليلة حتى الهزيع الاخير من الليل .

ولعلك قد عرفتنى .. فأنا ذلك الفنان الذى اصطلح النقاد على ان يسموه بالفنان الكوميدى الضاحك الذى ينتزع الضحكات من الثكالى بتعبيرات وجهه وتمثيله الصادق .. والذى قالوا عنه انه يقدم فنا راقيا لاتهريج فيه .. وكم كان يسعدنى ان اقرأ هذه الكلمات عنى .. لولا ان مرت بحياتى اهوال فقدت معها القدرة على الاحساس بطعم اى شىء .. وبجدوى اى شىء ..

وهكذا الحياة ياصديقى .. نجرى وراء اشياء .. فاذا بلغناها نكون قد فقدنا فى الطريق اشياء جوهرية لاتعوض وفقدنا القدرة على الاستمتاع بما حصلنا عليه .

وانت تعرف بدايتى .. وتعرف تأثير النشأة الصعيدية على .. واننى من اسرة صغيرة واننى كافحت كفاح الابطال لكى اتعلم والتحق بالجامعة .. ثم لكى اجد عملا .. واتزوج ، وسأعبر هذه المراحل سريعا لاقول لك : اننى وجدت نفسى فى منتصف العمر .. متزوجا من زوجة طيبة اصيلة وابا لثلاثة ابناء اكبرهم طالب بالكلية الحربية واصغرهم بالمدرسة الابتدائية ومازلت اكافح لاجد لقدمى موضعا فى العالم السحرى الذى اخترت العمل فيه وهو المسرح ، وانت تعرف قصص الباب الخلفى للمسارح اى باب الممثلين .. وتعرف كم يشقى الانسان ليدخل منه الى خشبة المسرح ..

وكيف يجمع هذا الباب بين النجوم اللامعين الاثرياء .. وبين المغمورين البسطاء الذين قد لايجدون فى بعض الاحيان قوت اطفالهم ..

كنت موظفا حكوميا صغيرا .. فاحتفظت بوظيفتى أمانا ضد الفقر وركزت جهدى فى الباب الخلفى أخرج من باب لأدخل بابا باحثا عن فرصة ، وكانت البداية صغيرة .. دور ضابط شرطة يدخل خشبة المسرح بعصبية ليلقى القبض على بطل المسرحية النجم اللامع فى نهايتها .. واذكر الليلة التى بدأت بها طريقى كنت واقفا خلف الكواليس انتظر لحظة الدخول وقد تجمعت فى صدرى كل همومى .. ومر امامى شريط كفاحى الذى طال بغير بادرة أمل فى الوصول الى الراحة .. كانت مطالب الحياة قاسية .. وأسرتى الصغيرة تعانى من ضيقها ماعانى ، واحسست فجأة بالخجل من أن يرانى بعض من يعرفوننى من الزملاء وانا اؤدى هذا الدور الصغير واحسست برغبة فى الاختباء .. فاذا بيدى ترتفع الى « كاب» الشرطة الذى أرتديه فتشده الى عينى ليخفى نصف وجهى وجاءت لحظة الدخول فدخلت بعصبية والكاب يخفى عينى وانا أتخبط بين الممثلين لاأرى شيئا .. فاذا بالمسرح يضج بالضحك .. واذا بنجم المسرحية اللامع يضحك من قلبه ثم يجد فى هيئتى الغريبة مادة للضحك والاضحاك وفى ختام المسرحية حين رفعت الكاب عن وجهى حيانى الجمهور لأول مرة فى حياتى .. ثم إذا بهذا المشهد العفوى يتحول الى مشهد اساسى كل ليلة وتزداد مساحته الزمنية من ٣ دقائق الى عشرين دقيقة كاملة واذا بلحظة الضيق من حياتى وتفاهة شأنى تتحول الى لحظة ميلاد ، فشاركت بعد هذه المسرحية فى اعمال كثيرة .. واديت ادوارا كبيرة .. وتحسنت ظروفى الاجتماعية شيئا فشيئا وارتفع اجرى .. وتحسنت ظروف اسرتى .. واشتريت سيارة بسيطة ومع كل خطوة من خطوات طريقى كانت هى تقف معى وورائى .. زوجتى الطيبة سمحة النفس والوجه .. التى ماشكت يوما ضيق الحال .. ولاوعورة الطريق .. وكانت

تحرص دائما على ان تحضر حفلات الافتتاح لتراني .. وكلما رأت مساحة دوري تزيد سعدت واحست بالفخر .. وكلما رأت البنط الذى يكتب به اسمي على واجهة المسرح يتضخم شيئا فشيئا احست بالانتشاء وكلما حياني الجمهور او ضحك لتمثيلي تلفتت حولها فخورة كأنما تقول للجميع انه زوجي ..

ومضت الايام تقترب بنا من حافة السعادة وتحقيق الامال الى ان جاء صيف ودعيت للتمثيل فى مسرحية تعرض فى الاسكندرية وبدأت البروفات ، فاذا بزوجتي الحبيبة تسقط مريضة وتدخل غرفة الانعاش بمستشفى المعادى .. واذ بي أجدني كل يوم مضطر للبقاء بجانبها حتى الظهيرة ثم أركب سيارتي لانطلق الى الاسكندرية لأصل الى المسرح فى المساء واعود لاسافر الى القاهرة فى الثالثة صباحا ..

وإذا بي أعيش أياما مع الامل .. واياما مع اليأس .. وفى كل الحالات أجدني كل مساء واقفا على خشبة المسرح اؤدى دورى فأنتزع الضحكات رغما عنى .. وانا كما تعرف من القلائل فى عالم المسرح الكوميدى الذين لايبتسمون أبداً على خشبة المسرح .. وتتسم « فورمة » وجهي بانها تراجيدية حزينة ومع ذلك تثير الابتسام .. ، ولعل ذلك ماساعدني على ان استمر فى عملي فيما بعد ، فلقد توالت على المتاعب .. فانقلبت بى السيارة وانا فى طريقى الى القاهرة مع ابنتى لنزور زوجتي فى المستشفى بعد ان طلبت الزوجة رؤية ابنتها ونجونا من الموت والاصابة بقدر الله جل شأنه .. ثم توالت الفصول .. فاذا بوطأة المرض اللعين تشتد على زوجتي واذ بها تتركني فجأة وأنا فى منتصف الطريق .. فلا نجومية حققت . ولاإسما فذّا صنعت .. ولاثروة جمعت .. ولاشيء سوى العدم .. والفراغ . ونصف حياتي قد تخلى عنى .. وأتجاوز هذا الفصل الحزين سريعا .. لاقول لك انني ايضا دخلت

نفس غرفة الانعاش التى دخلتها زوجتى .. بعد ان كادت انفاس الحياة تنقطع عنى .

وهذا هو الفصل الحزين الآخر الذى اخفيته عن الجميع .. فمنعت من الحركة طويلا بعد ان تبين انى اعانى من قصور وتقلص مزمن فى شريان قلبى التاجى .. لكن الحياة ارغمتنى على الحركة والعمل والوقوف فوق خشبة المسرح من جديد ، ومارست العمل وانا خريج غرفة الانعاش .. ولكن الاطباء يجمعون على حاجتى الى جراحة لاستبدال الشريان التاجى .. وهى جراحة بكل اسف لاتجرى الا فى الخارج وتكاليفها باهظة .. ولست نجما مرموقا حتى يتحمس احد لعلاجى على نفقة الدولة .. وانا لااستطيع ان اتسول علاجى على نفقة بلادى رغم انه من حقى كغيرى من المواطنين ، وانا حاليا اعمل فوق خشبة المسرح .. أثير الابتسام وانا مكتئب . وأنتزع الضحكات وعيناى مغرورقتان بالدموع كلما سرحت وتذكرت اطفالى الثلاثة وهم فى نظرى اطفال مهما كبروا .. لكنهم لم يستمتعوا بما يتمتع به الاطفال ولم تكن حياتهم ناعمة ولاهينة ، والحبوب فى جيبى أتناولها تحت اللسان كل ماأخشاه ان يغمى على ذات ليلة فوق خشبة المسرح فيتعطل العمل ثم يشيع فى الوسط الفنى انى مريض جدا .. فلايطلبنى احد فى عمل بعد ذلك .. ويتوقف اخر مصدر لرزق بعد ان تركت الوظيفة الحكومية حين استقرت خطواتى فوق المسرح .. ويضيع اخر امل لى فى الجراحة .. وانت تسألنى ماذا اريد .. فأقول لك انى اريد ان اسألك مامعنى الحياة حين نشقى فلا نصل الى مانريد .. ولماذا يكافح البعض كفاحا داميا ثم لايصلون الى شىء مثلى بل يخسرون خلال الطريق اشياء لاتعوض فى حين يصل آخرون الى اكثر مما تمنوا وباقل قدر ممكن من العناء وهل هذه الحياة عادلة فى اختيارها البعض للشهرة والثراء .. والبعض الاخر لكى يعيشوا حياتهم مغمورين تعساء ؟

انني اعرف انني القى عليك اسئلة لاجواب لها .. لكنى كنت فى اشد الحاجة الى من يشاركنى همومى التى لايراها احد غيرى ووقع اختيارى عليك فكانت هذه الرسالة .. والسلام ..

● ● ●

* * ولصديقى كاتب هذه الرسالة اقول :

صدقت وانت صادق دائما حتى فى آلامك حين قلت انها اسئلة بلا أجوبة .. فهى نوع من حديث النفس للنفس التماسا للسلوى والعزاء .. وليست التماسا لاجوبة محددة .. فكثيرا مانسأل انفسنا مثل هذه الاسئلة فلانجد جوابا .. وقد لانجد العزاء أيضا على ان تجربة الحياة تقول لنا ان لكل إنسان نصيبه فى الدنيا .. وان الاقدار قد تتساوى فى النهاية الى حد كبير .. واننا لاينبغى ان نحكم على الآخرين بمظاهرهم الخارجية فمن قد نظنهم سعداء .. قد يكونون أتعس مما نظن .. ومن نظنهم تعساء قد تكون لهم سعادتهم الخاصة التى لاندرك عمقها فالسعادة مسألة نسبية ياصديقى .. ومايسعد إنسانا قد لايرضى غيره ، وانت شخصيا أصدق مثال على ذلك فمن يراك وانت تضحك الثكالى كل ليلة قد يحسبك إنسانا لاهيا سعيدا تنام قرير العين بما حققت من نجاح ، ولايعرف احد ماذا تخفى القلوب . لكنك من ناحية اخرى ربما لو قارنت نصيبك من الدنيا والنجاح بنصيب غيرك من التعساء لربما وجدت لنفسك بعض العزاء .. وقد يكون بينهم من كافح مثل كفاحك وربما أكبر . وفى الحياة متناقضات كثيرة . لايتسع المجال لحصرها .. ومن متناقضاتها أن تأتى احيانا ثمرة الكفاح المضنى بعد ان يكون الانسان قد فقد حتى القدرة على الاستمتاع بالنجاح او المال . او الشهرة .. وقد لاتأتى وهو على قيد الحياةأصلا .. فهل تدرى مثلا ان آخر عبارة نطق بها الفنان العالمى فان جوخ وهو يموت لشقيقه « ثيو » كانت : لو أنك استرددت حتى ثمن ادوات الرسم التى اشتريتها لى ؟ « وكان شقيقه يعمل

عارضا للوحات ويعول شقيقه فى أيامه الاخيرة ، ومات فان جوخ بغير ان يبيع لوحة واحدة من اعماله ، ثم مضت سنوات بعد وفاته فاذا بلوحاته تباع بعشرات الالوف .

او تدرى مثلا ان الفليسوف الالمانى شوبنهاور قد أمضى حياته فى البحث والدرس والتأليف وهو مغمور مجهول حتى شارف السبعين ، فاذا بشهرته تدوى فى العالم وينهال عليه التمجيد والتكريم بعد ان فقد حتى القدرة على الاستمتاع بالنجاح فقال : بعد أن عشت عمرى كله وحيدا منسيا بين الناس .. جاءوا فجأة يودعوننى الى قبرى بالطبول .

إنها امثلة كثيرة ياصديقى : ولاأحد يملك مصيره .. ولاأحد يعرف أين سعادته الحقيقية فربما كان مانشكو منه الآن هو افضل ايامنا بالمقارنة مع مايخفيه الغيب ، فلنتعامل مع حياتنا كما هى .. ولنسعد بما أتيح لنا من قدر محدود او غير محدود من الأسباب . ولننظر الى غدنا دائما بقلب يخفق بالامل .. وأتجاوز هذه النقطة لاتحدث عن صحتك واقول لك ان عليك ان تتقدم بطلب اجراء جراحتك على نفقة الدولة سواء فى مصر او الخارج مادمت غير قادر على تحمل نفقات الجراحة .. وهذا حقك كمواطن سواء أكنت مشهورا ام مغمورا .. فالمقياس هو العجز عن تحمل النفقات وليس الشهرة او النجومية .. بل لعل ذلك اكثر تأكيدا لحقك فى العلاج لان النجم اقدر على تحمل نفقات علاجه ، فأطرح اليأس جانبا .. وتقدم الى المجالس الطبية او زرنى لنبحث معا الامر .. ولسوف تبتسم لك الحياة من جديد .. ولسوف تكمل مشوارك الناجح الى اقصى مداه باذن الله ..



.. ولا مؤاخـذة

أحسست أنني أنتقلت الى عالم غريب من أول سطر قرأته فى هذه الرسالة ان كاتبها هو موظف فى الاربعين من عمره زوج وله ٤ اولاد يعيش فى شقة قديمة بحى شعبى مع امه واخته العانس ، وهو ككثيرين غيره يعانى من عجز مرتبه المحدود عن الوفاء بمتطلبات « القبيلة » كما يسميها .. لكن تفكيره لحل مشكلته المادية قاده الى طريق غير مألوف فماذا فعل ؟ .. سأترك رسالته تروى قصته وتنقلكم معى الى هذا العالم الغريب . « فكرت ان اكتب اليك بعد ان قرأت قصص الكفاح التى تنشر وتشيد فى تعليقاتك عليها بكفاح اصحابها .. وتحاول بكلماتك ان تأسو جراحهم . وان كنت لا اتوقع ان تشيد بكفاحى .. ولا ان تطيب خاطرى بكلمات رقيقة .فالحق انى اخجل مما سوف احكيه لك لكن ما باليد حيلة فلقد اضطررت اليه ، وقصتى اننى تدرجت فى الوظيفة بمؤهل متوسط الى ان وصل مرتبى الى حوالى ٨٠ جنيها .. سوف تقول انه مرتب معقول .. وسأقول لك بل هو اكثر من معقول لكن كيف يكفى هذا المرتب للانفاق على ام وزوجة وأخت عانس فى كفالتى و ٤ ابناء ثم على الزوج نفسه . وكيف يكفى وحده بلا أى مورد اخر لنا لتعليم ٤ ابناء فى المدارس من كتب اضافية وكراريس وملابس واحذية .. ومصروف يومى .. واجور للمدرسين الخصوصيين .. فاذا احتاجت زوجتى الى فستان اسودت الدنيا فى وجهى واذا احتجت انا الى بدلة كل عامين احترت واحتار دليلى واذا احتاجت والدتى واختى الى ملابس دخت من هول الصدمة .. وان كانت بطاقة الكساء الشعبى تخفف عنى بعض هذا العذاب ، سألت نفسى مرة ما معنى حياتى ؟ اننى أمضى يومى فى العمل لا استطيع ان انفق فيه اكثر من ثمن ٢ ساندوتش وكوب من الشاى و ٣ او ٤ سجائر .. ثم أعود الى بيتى مشحونا فى الاوتوبيس منهكا وكارها

للدنيا .. فأمضى باق اليوم فى البيت لانى عاجز عن انفاق اى قرش خارجه .. ويكفى ان اقول لك ان بواب العمارة التى أسكن بها اشترى التليفزيون الملون قبل ان اسمع انا عن التليفزيون الابيض والاسود وان اولادى كانوا يتسللون الى غرفته ليتفرجوا مع اولاده على هذا الاختراع العجيب ورغم ذلك فأنا موظف « بيه » فى عملى أرأس ٦ موظفين وأقضى فى مصالح الناس كل يوم ولأنى « بيه » فلا استطيع ان افعل ما يفعله البواب .. اذ لا استطيع ان اقبل بقشيشا من احد .. كما يفعل لأنى بيه لكن غلبان وهذه مصيبة طبقة الموظفين من امثالى .. وفى كل ضائقة كانت تمر بى لم اكن اجد من يقبل إقراضى الى حين ميسرة سوى صديق طفولة قديم يسكن فى باب الشعرية توقف عن الدراسة منذ الابتدائية واندمج فى اوساط الموسيقيين وعمل معهم عازفا على الطبلة.. اى « طبالا » ولا مؤاخذة . كنت ازوره بين حين وآخر فيفرح بزيارتى جدا ويقدمنى لاصحابه بفخار فلان بيه رئيس اقسام كذا بمصلحة كذا .. وكنت اميل عليه واسأله قرضا فيقدمه لى بسماحة ويصبر على حتى يأتى الفرج وارده اليه .. والفرج هنا هو منحة من الحكومة فى مناسبة من المناسبات وخلال متاعبى فكرت فى ان اجد حلا لمشكلتى بالعمل بعد الظهر لكن ماذا يستطيع موظف كتابى مثلى ان يعمل وهو لا يعرف احدا من اصحاب الشركات ! وفى احدى المرات.. كان الحال قد ضاق بى الى اقصى حد فتوجهت الى صديقى فى باب الشعرية .. وشكوت له همومى .. فبادرنى باقتراح غريب : ولماذا لا تعمل معنا يا سيد فلان ؟ .. قلت وماذا استطيع ان اعمل ؟ وببساطة شديدة قال لى لقد تركنا عازف « الصاجات » امس وطلبت منى الست « راقصة درجة اولى يعمل معها » ان احضر لها « نفرا » غيره الليلة ضرورى ، قلت : كيف .. وانا لا اعرف شيئا عما تقول .. قال لى .. المسألة بسيطة جدا . ستمسك بهذه الصاجات هكذا وتدق بها هكذا .. وسأكون بجوارك

وارشدك الى ما تفعل .. وهو عمل هين وسوف تقبض عنه ٥ جنيهات كل ليلة تعمل معنا فيها .

ولا أطيل عليك .. قبلت العمل .. واستعرت منه بدلة سوداء وفى المساء ذهبنا مشيا على الاقدام الى ميدان التحرير ووقفنا امام احد المقاهى المعروفة فيه .. وفى الحادية عشرة جاء ميكروباس فاخر فحملنا مع غيرنا من العازفين الى احد ملاهى الهرم .. فكل راقصة تملك سيارة ميكروباس تنقل فرقتها من وسط المدينة الى الهرم وتعيدهم الى ميدان التحرير اخر الليل حيث يتفرقون الى مساكنهم وبعضهن يملكن سيارات اتوبيس سياحية وجاءت اللحظة الرهيبة ولبست الصاجات ووقفت بجوار صديق الطفولة وكلما اشار اليه بعينه .. ادق بالصاجات حتى يشير لى مرة أخرى ! .

وبدأت هذه المرحلة الغريبة من حياتى .. قلت لزوجتى انى وجدت عملا فى حسابات مطعم من مطاعم الهرم .. وحين اقف على مسرح الملهى اضع على عينى نظارة سوداء . ثم البس الصاجات وأدق ! ولا تسلنى عن شعورى وانا افعل ذلك .. والحمد لله فان رواد الملاهى التى نعمل فيها ليسوا من عالمنا بالرغم من ان ٩٨٪ منهم من المصريين .. لكنهم ليسوا المصريين الذين اعرفهم فى عملى ولا فى وسطى الاجتماعى ..

عرفت الشبع بعد الجوع شبه الدائم وعرف أولادى التليفزيون الابيض والاسود وأصبحت ألبى مطالب امي واختي وزوجتى .. فانا اكسب من هذا العمل حوالى ١٢٠ جنيها كل شهر لكنى حائر وخائف .. خائف اولا من افتضاح امرى فى المصلحة الحكومية التى اعمل بها والذى قد ينتهى بفصلى من الخدمة وحائر لانى وان كنت غير راض عن نفسى فهل أجد حلا آخر لمشاكلى فى رأيك ؟ .

● ● ●

الحق ان كاتب هذه الرسالة قد وضعنى فى مأزق لم اجربه من قبل .. اذ لا استطيع ان اوافقه على ما صنعه فى ضوء اعتبارات الوظيفة وما يليق وما لا يليق وفى ضوء الاعتبارات الدينية والاخلاقية العامة .. ومن ناحية أخرى لا استطيع ان ادين تصرفه تماما فى ضوء الظروف الاجتماعية القاسية .. وفى ضوء قانون الضرورات التى تبيح المحظورات بل وفى ضوء كلمة الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى منذ ١٤ قرنا : « عجبت للرجل لا يجد قوت عياله .. كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه .. وهو فى النهاية لم يشهر على احد سيفه .. ولم يسرق ولم يرتش .. ولم يقتل .. فماذا اقول له ؟ قد اقول له لماذا لم تجهد نفسك فى البحث عن طريق آخر غير مكروه أو لماذا لم تشتر بمرتبك كله ماكينة خياطة مستعملة تعمل عليها زوجتك واختك فتساهمان فى تكاليف الاسرة لكننى على اى الاحوال اعرف تماما انه ليس المعزى كالثاكل وان كلمات النصح والارشاد سهلة لكن الحياة شديدة الوعورة !



رجل مهم ..

أكتب إليك هذه الرسالة .. ولعلها الاولى فى حياتى التى اكتبها الى شخص لا اعرفه لأننى فى مفترق طريق .. او فى احدى المراحل التى تشهد فيها حياة الانسان تحولا خطيرا كالزواج والعمل وإنجاب الاطفال .. والمعاش .. أو الطلاق .. وهى كلها « محطات » يحتاج فيها الانسان الى ان يتوقف ويعيد حساباته ويستعد لما هو مقدم عليه .. ولعلك تتساءل يا سيدى فى أى محطة من محطات العمر أنا الان وأفضل الا اجيب عن هذا السؤال قبل ان احكى لك لمحات من قصة حياتى لعل فيها بعض الفائدة لى ولغيرى من السيدات .. وللرجال ايضا .

اننى .. سيدة تعلمت فى المدارس الاجنبية وعشت حياة سعيدة عادية بين أبى وأمى وأخواتى وحين اتممت العشرين من عمرى تزوجت من شاب رأيت فيه كل ما اتمناه فى شريك الحياة .. كان شابا وسيما يشغل وظيفة محترمه لها هيبة خاصة لدى الناس مرح منطلق مقبل على الحياه .

ومنذ الأيام الاولى لزواجنا أحببته وتعاونا معا باخلاص على ادارة عشنا الصغير . كان يقبض مرتبه اول كل شهر فيعطيه لى لانفق منه طوال الشهر وأخصص له مصروفا يوميا اعطيه له وهو خارج إلى عمله فى الصباح المبكر ، وكنت أرقبه من شرفة البيت وهو يتخايل بقامته الممشوقه وجسمه الرياضى فى طريقه الى السيارة « الميرى » مرتديا نظارته السوداء التى كانت من ملامح شخصيته وشخصية كثيرين من زملائه .

وحين كان يركب سيارته وينطلق الى عمله كنت اعود الى داخل شقتى فأفتح الراديو .. وأنظف البيت وأنا استمع إلى برنامج ربات البيوت وأطهو

الطعام مع أغانى الصباح .. فقد رفض زوجى أن أعمل بعد انتهاء دراستى .. وفضل ان اتفرغ له ومضت حياتنا هادئة .. وجاء الابناء واحدا بعد الاخر .. فعرفت أحاسيس جديدة ومشاغل جديدة وأصبحت أوقات فراغى أقل وسعادتى اكبر ، كان زوجى يتحدث دائما عن شخصية هامة كان لها شأن عظيم فى ذلك الوقت .. كان للمصادفة من زملائه وكان أصلا لا يحبه ويقول عنه انه مغرور ومعقد و « عامل مهم » لكنه مع ذلك يحرص على زيارته فى مكتبه مرة كل اسبوع على الاقل .. ويحرص على مجاملته ويقف امامه « زنهاراً » كأنه من أتباعه ، وكان صاحب الشخصية الخطيرة من هواة اصطناع الاتباع وذات يوم فوجئت بزوجى المحبوب يقول لى استعدى سننتقل إلى طبقة الحكام .. فقد وعده « فلان بيه » بمنصب كبير ونفّذ وعده فعلا ونقل زوجى بعد أيام الى وظيفة هامة وأصبحت له سيارة سوداء بسائق خاص .. وانتقلنا من شقة الزواج الى شقة كبيرة فاخرة فى حى من ارق الاحياء كانت لأحد الخواجات الذين فرضت عليهم الحراسة وإيجارها لا يتعدى جنيهات ، ووجدت فى خدمتى فجأة « شحط » طويل متفرغ تماما لتلبية طلبات البيت وتوصيل الاولاد للمدارس . وبدأت الاحظ اننا قد أصبحنا « أناسا مهمين » بالفعل إذا أساء بائع فى السوق الأدب معى وأخطأت فحكيت الحكاية لزوجى من باب التسلية .. سألنى باهتمام شديد عن هذا البائع وعن إسمه ثم يصمت وبعد أيام افاجأ بالبائع نفسه واقفا على باب الشقة يبكى ويحاول تقبيل يدى قائلا : يا ست هانم حرام عليك انا عندى أولاد سامحينى وخلّى البيه يسامحنى » . فامتنعت من يومها أن أحكى له حكاية مماثلة .. اما احتياجاتى من الأسواق فانها تلبى على الفور من احسن الأنواع وبأرخص الاسعار . وفى عزّ الأزمات التموينية كانت احتياجاتى كاملة .. لى ولاسرتى ولكل من يطلب منى ذلك من جاراتى كما كانت كل ملابسنا مستوردة من بيروت وغزّة واليمن فى وقت كانت فيه قطعة قماش

مستوردة تعد معجزة من المعجزات وبدأت ألاحظ ان طبيعة زوجى قد بدأت تتغير .. وان روحه المرحة قد بدأت تتراجع وأن وجهه قد بدأ يكتسب ملامح صارمه مخيفة وأن أحاديثه معى ومع الابناء قد اصبحت مقتضبة او إشارات من يده او هزات من رأسه .. فاذا تكلم لا يتكلم الا آمرا ! واصبح من برنامج حياتنا ان أزور بالامر زوجة « فلان بيه » كل فترة وان أجاملها فى كل المناسبات دون أن تكلِّف نفسها عناء مكالمتى تليفونيا مرة ، وكنت أتعجب من أنها تلومنى اذا تأخرت فى السؤال عن ابنها المريض بالأنفلونزا ثم لا تكلف خاطرها بأن تسأل عنى وانا مريضة بالمستشفى بعد جراحة الزائدة الدودية وكنت اقول انها ليست صديقة وانما هى تعتبر نفسها « رئيسة » لزوجات كل من يرأسهم زوجها .. فاذا شكوت ذلك لزوجى قال لى « فتَّحى مخك » النظام كده .. وأهو انت عندك زوجات المرؤوسين لى اعملى معاهم نفس الشيء ! .

وواصل زوجى صعوده فشغل منصبا أكثر خطورة واصبحت له امتيازات كثيرة . واصبح عدد السيارات المخصصه له ثلاثا .. وأصبح « الشحط » الذى يقف بجوار باب الشقة أربعة رجال عمالقة يتناوبون الوقوف ليل نهار أمام باب البيت .. كأن احدا يدبر لقتلنا او اختطافنا ، مع ان الحكاية لا « تستأهل » كل هذا وفى هذه الفترة حصلنا على شقة واسعة فى قلب مدينة الاسكندرية كان يسكنها ايضا « خواجات » ممن سافروا من مصر بايجار زهيد وأصبحنا نمضى الاجازات فيها .. وفى هذه الفترة ايضا اشترى زوجى قطعة أرض مبان فى مدينة نصر بسعر المتر جنيهين وبالتقسيط وهى نفس القطعة التى بلغ سعرها بعد عشرين سنة اكثر من مائتى جنيه للمتر الواحد .

وإطمأننا الى مستقبل الاولاد بهذه الأرض وبمدخراتنا .. لكن ما اصبح يشغلنى هو زوجى نفسه . فلقد أصبح انسانا غريبا عنى لقد مضى يزداد صمتا وصرامة وغموضا وإنشغالا عنى .. ومضى يزداد استغراقا داخل نفسه

كأن لم تعد له شريكة حياة . ولأن الحياة لا تمضى على وتر واحد دائما .. فلقد جرى علينا ما يجرى على الآخرين من تقلبات .. وصحونا ذات يوم على احداث وتغيرات وزلازل « رهيبة فى يونية ١٩٦٧ وانتهى الامر بخروج زوجي من عمله . وليت الامر اقتصر على ذلك فلقد تغيرت دنياه كلها خلال فترة لا تزيد عن شهور وبدأ الزلزال بسقوط « فلان بيه » وسجنه .. ثم سقوط كثيرين من ابناء جيل زوجي .

وفى البداية نظر زوجى الى الأمر باستهانة .. « واثقاً » من ان البلد « حتروح فى داهية » وانها ستعرف له ولزملائه قدرهم خلال وقت قصير وانها ستعود اليهم لترجوهم العودة الى تحمل مسئولياتهم الخطيرة من جديد ولإنقاذها .. وانه ساعتها سوف « يفكر » طويلا قبل أن يقرر هل يقبل العودة لخدمة « هذا البلد » ام لا ؟ .

لكن الامور مضت فى طريق لا عودة فيه .. وفى كل يوم يختفى من الحياة شخص جديد من عالمه القديم او يدخل السجن شخص اخر كان يهتز فى اعماقه ويتوجس خيفة .. لكنه يتظاهر برباطة الجأش وواجهت معه فترة عصيبة فى حياتنا . لم تكن احوالنا سيئة فلقد كان لدينا ٣ شقق فى القاهرة والاسكندرية وقطعة ارض للمبانى وكان لدينا سيارة هى اول سيارة اشتريناها من مالنا وكانت شقتنا مجهزة بكل الكماليات وله معاش مناسب ولدينا بعض المدخرات ، وقد استسلم زملاؤه لمصيرهم بعد فترة .. وشغلوا انفسهم فى مشروعات تجارية صغيرة او انشطة خاصة فهذا يربى العجول فى مزرعته وهذا أقام مزرعة دواجن . وذاك افتتح معرضا للسيارات .. الخ . اما زوجى فقد تأزم تماما وتعقدت شخصيته بدرجة خطيرة .. واصبح عمله الوحيد هو الذهاب الى النادى فى الصباح بعد ان يرتدى ملابسه الكاملة حتى فى عز الصيف ويرتدى النظارة السوداء .. ثم يمشى بوقار الى السيارة التى استأجر لها سائقا يتقاضى ثلث معاش زوجى بلا ضرورة وفى النادى يجلس زوجى

مع بعض زملائه القدامى .. يتحدث فى الأمور العامة ويدلى بأرائه بثقة ويشرب القهوة .. ثم يعود الى البيت فى الظهر فلا يغادره حتى اليوم التالى . وفى البيت بدأت ألاحظ عليه تصرفات غريبة مع مرور الأيام والسنين فلقد بدأ يدخّن المخدرات كل يوم من الظهر حتى ينام ويمضى الوقت ساهما سارحا فاذا تحدث اصبح الحديث الوحيد له هو « أمجاده » وما فعله « للبلد » فاذا جاءت سيرة احد الكبار فى ذلك الوقت أيا كان موقعه قال ببساطه « فلان ده كان بييجى هنا يلبّسنى هدومى الصبح وانا نازل للشغل » او فلان ده كنت باضربه على قفاه كل يوم او « فلان ده اسألوه يقولكم إلى استاذه وانه ما يقدرش يقعد قدامى » .

وكنت اسمع ذلك واتألم لما آل اليه حاله .. لانه كان « يكذب » امامى وانا شريكة حياته التى تعرف عنه كل شيء ولم يكن يحزننى حالته فى البيت .. بقدر ما كان يحزنى حاله فى النادى وخارج البيت فقد بدأ يفتقد الاصدقاء والجلساء الذين يستطيعون « تحمل » هذا « الفشر » وهذه الكبرياء الكاذبة ، أما خارج النادى فلقد اصبحت « خناقاته » كثيرة مع كل من يتخيل انه لم يُبدِ نحوه الاحترام الكافى وكنت اسمع حكاياته من الجيران وأبكى .. فلقد بهدل نفسه كثيرا مع اناس ليسوا على استعداد لتحمله ، اما حاله مع الاولاد ومعى فلقد اصبح محزنا بالفعل ، فقد اصبح لا يحتمل أى مناقشة لرغبة من رغباته ولا يتحمل مخالفته فى أى شيء واصبحت كلمته فى اى أمر يتعلق بى او بشئون الابناء لا راد لها ولا مناقشه فيها . وبدأ الاولاد يتذمرون خاصة وقد اصبحوا شبابا وتزوجوا فاذا راجعته فى ذلك انفجر حانقا .. وكلما نصحته بان يمارس اى عمل لكى لا يؤذيه الفراغ أهاننى وخاصمنى .. حتى أصبحت حياتى معه جحيما لا يطاق خاصة بعد ان استقل الابناء بحياتهم وتجنبوه بقدر الامكان تفاديا للمشاكل والإهانات .

الى ان جاء يوم وحدث خلاف عادى من خلافاته معى .. لكنه طال هذه المرة لأنه رفض محاولاتى للصلح معه ثم فوجئت به يجمع الأبناء ويعلن عليهم قرارا خطيرا إتخذه هو .. طلاق ! يا ربى .. طلاق وأنا فى الستين وبعد هذا العمر الطويل .. وبعد ان تزوج الابناء ولم يعد لكل منا سوى الاخر .. لقد حاول الأبناء اثناءه عن ذلك لكن كيف يرجع فى قرار اتخذه وهو الذى كان يتخذ أخطر القرارات ويتمسك بها ولا يجرؤ احد على معارضته « طلاق يعنى طلاق » وجاء المأذون فى يوم حزين وتمت المراسم الكئيبة فى نفس البيت وامام الابناء وأصبحت بجرة قلم مطلّقة فى الستين بلا امل ولا مستقبل .

إنى اكتب اليك لاسألك ماذا تفعل سيدة مثلى فى هذا العمر حين تفاجأ بالطلاق واين تقيم ؟ وكيف تواجه حياتها بعد نفاذ النفقة هل امد يدى لأولادى فى هذه السن ولماذا يسمح قانون الاحوال الشخصية بالطلاق بلا سبب كما حدث معى ؟ او بسبب ازمة نفسية لا ذنب لى فيها يعانى منها الزوج وهل فكر مشرعو القانون فى وضع مطلقة مثلى فى هذه السن أين تذهب واين تقيم والزوج يقيم وحده فى شقة من ٦ غرف وهل لديك جواب على هذه التساؤلات ؟ .

● ● ●

* * سأعلق على هذه الرسالة باختصار شديد لانى آثرت ان اخصص معظم المساحة للقصة التى ترويها لأنها تنقلنا معها الى عالم غريب لم تقترب منه رسائل البريد من قبل . انه عالم الاشخاص المهمين .. ومأساتهم ومأساتنا أيضا معهم ! ولكاتبة الرسالة اقول انى عاجز بالفعل عن ان اجد إجابات مقنعة لتساؤلاتك الحائرة وأرجو ان يجيب عنها من هم اقدر منى على الإفتاء فى هذا الشأن وعاجز أيضا عن أن أفهم كيف يمكن ان يتدهور شخص مهم او كان مهما الى هذا الحد لمجرد ان دنياه قد تغيرت وانه لم تعد له نفس السطوة التى كانت له ذات يوم . إننى أعرف تماما ان انعدام الدور محنه

ومحنة قاسية لكنها ليست نهاية الحياة ولا ينبغى ان تكون كذلك فهناك اشخاص كثيرون يتوقف دورهم فى كل حين فلا يتحولون الى شخصيات مريضة مشوهة وانما يتقبلون الأمر بواقعية ويتكيفون مع واقعهم الجديد لأنها سنة الحياة ولأن لكل زمان رجال .. ولان الرجل الكبير حقا هو من يرى نفسه اكبر من منصبه مهما علا هذا المنصب فاذا فقده فانه لا يفقد نفسه معه لكن مأساتنا ان « الصغار » أحيانا يتسللون الى مواقع الكبار فاذا فقدوها فقدوا معها كل اتزانهم وحكمتهم وتحولوا الى اشباه مجانين ! .

ومأساة بعض افراد هذا الجيل الذى يمثله زوجك بكل اسف هى أنهم لا « يتحملون » أبدا ألا « يخافهم » الناس ! .. فاذا فقد الناس خوفهم منهم إنهاروا كالاطفال وتحولوا الى شخصيات ممزقة تهرب من واقعها الجديد الى عالم خرافى لم يعد له وجود إلا فى خيالهم وزملاء زوجك الذين تكيفوا مع الحياه وربَّوا الدجاج والعجول هم فى رأيى اشجع منه وأفضل واكثر فائدة للحياه وللمجتمع ، ولو فعل مثلهم لأضاف زوجك إضافة جديدة الى نهر الحياة المتدفق الذى لا يتوقف ولا ينتظر أحداً ، ولو مارس أى عمل لأنقذ نفسه من جنون الفراغ واجترار الماضى ، ولما انفصل هذا الانفصال الرهيب عن الواقع حتى ليتخيل نفسه بعد عشرين سنة الرجل الخطير الذى يصدر القرارات الخطيرة كقرار طلاقك فى هذه السن فلا يتراجع عنها مهما كانت قراراته خاطئة ومهما كانت كارثة . ولا شك انه – سامحه الله – قد أتحفنا ، ببعض هذه القرارات الجليلة الشأن ايام مجده فساهم فى تعقيد حياتنا وفى مضاعفة صعوباتها ثم رفض ان يتراجع عنها .. وهيهات أن يتراجع العظماء من أمثاله عن اخطائهم .. انها ليست مأساتك وحدك وانما هى مأساتنا ايضا مع هذا الجيل من الحكام الصغار الذين عانينا منهم مثلما تعانين واكثر . ومأساتك يا سيدتى ان زوجك رجل مصاب بجنون العظمة وقد تفاقم جنونه مع تدفق المياه فى نهر الحياة بغير ان تعود مرة اخرى الى الوراء لترمى تحت

قدميه .. وهيهات ان تعود ومن عَجب ان المصابين بهذا الجنون يتفاقم إحساسهم بالعظمه بعد زوال اسبابها ومبرراتها .. كأنهم يريدون ان يؤكدوا لانفسهم ما يكذّبه الواقع كل يوم .. ويصرون عليه كلما تباعدت ذكراه .

والحق ان زوجك هذا ليس عظيماً ولو كان عظيما بحق لما عرَّضك لهذه المحنه الشخصية بعد هذه الرفقة الطويلة بحلوها ومرها ولو كان رجلا بحق لما شرَّدك من بيت الزوجية بعد هذا العمر الطويل . وبغض النظر عما يقضى به القانون ولتخلَّى لك هو عن بيت الزوجية وحمل حقيبته معه الى حيث ألقت قدماه مادام مصراً على الطلاق وهو والحمد لله قادر على أن يجد لنفسه مأوى كريما فى القاهرة او الاسكندرية .. أو فى أى مكان. والبركة فى شقة الحراسة التى حرم منها الشعب واحتكرها الحكام الصغار من جيله .. وفى ارض مدينة نصر التى يمكن ان تشترى له شقة فى اسبانيا لو اراد ! .

لكنه ليس عظيما ولا خطيرا .. ولا رجلا .. وانما هو احد هؤلاء الصغار الذين حملتهم الامواج بالصدفة الى مواقع الكبار .. فكان صعودهم نكبة علينا وكان انهيارهم نكبة عليك وعلينا فلك الله فيما تلاقين .. ولنا ايضا فيما لقينا وفيما نلقى منهم ومن امثالهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فتاة من .. قاع المدينة

أعتذر فى البداية عن أية لمحة ألم قد تسببها قراءة هذه الرسالة اللاذعة للبعض . واعترف اننى حاولت ان اخفف قليلا من الصورة القاتمة التى ترسمها للحياة فى قاع المدينة ..فنجحت فى بعض فصولها وفشلت فى فصول أخرى .

تقول كلمات الرسالة :

« انا فتاة عمرها ١٨ سنة اقول لك فى البداية إننى لا أكتب إليك هذه الرسالة لاستعطفك او لأثير عطف أحد قرائك فالحق اننى لا اقبل العطف من أحد ولو كان من أقرب الناس .. واكره نظرة الشفقة فى عين احد ولو كان قريبا منى لكنى اكتب اليك هذه الرسالة لاروى لك قصة حياة اناس قد لا يعرف بعض قرائك الكثير عن حياتهم وقد لا تلتقون بهم كثيرا وسأروى لك كل شىء بصراحة مهما كانت جارحة أو مثيرة للقرف .. وأرجوك ألا تحس بالغثيان وأنت تقرأ بعض تفاصيل حياتى ، لقد عرفت الفقر منذ طفولتى .. وعاشرت المرض منذ تفتحت عيناى للحياة فقد ولدت فى غرفة مظلمة لا ترى النور ولا تعرف الماء .. وترعرعت كما يقولون فى وسط محروم من كل شىء يضىء بلمبة الجاز ويشرب من ماء الطلمبة ومضت طفولتى بطيئة .. لكن عن أى طفولة أتكلم .. أن أمثالى لا يعرفون الطفولة التى يتحدث عنها الأخرون .. لذلك فسأروى لك بعض لمحات من هذه الفترة التى أسميها طفولتى لم أعرف فى طفولتى سوى قماش الدمور الرخيص رداء خارجيا وداخليا فى نفس الوقت .. لم ألبس طوال طفولتى فستانا مما تلبسه الصغيرات لا جديدا ولا مستعملا مما تخلعه بعض الأسر على أطفال

الفقراء ، لم آخذ فى حياتى قرشا أو نصف قرش فى يدى عند الذهاب الى المدرسة كما يفعل الأطفال .. وستسأل وهل دخلت المدرسة . فأقول لك نعم دخلتها رغم كل هذه الظروف فابى المكافح العامل فى أحد المصانع قد حرص على تعليمى أنا وأخوتى الأربعة .. آملا ان ينقذنا من مصيره هو وفى المدرسة كنت أرى الاطفال يشترون المصاصة ويمصونها فيتحلب ريقى ولا استطيع شراءها .

ورغم كل ذلك مضت بنا الحياة ونحن نقاوم أبى وأمى وأنا وأخوتى ، ثم تدهورت بنا الأحوال ، وفقدنا غرفتنا المظلمة فى انهيار المنزل ، واضطررنا للسكنى فى بدروم عمارة تمليك مكونه من ١٠ شقق ، بلا أجر ندفعه فى مقابل خدمة سكان العمارة كلهم والقيام باعمال بواب العمارة ، وتصورنا أن متاعبنا قد انتهت لأن البدروم اوسع من الغرفة .. لكن مالقيناه ومازلنا نلاقيه كان أشد وأقسى .. خمسة أولاد ثلاث بنات وولدان أنا اكبرهم فى المدارس جميعا مطلوب منهم النجاح واجتياز عقبات المجموع للاستمرار فى التعليم المجانى ، لكن كيف يذاكرون دروسهم وهم جميعا فى خدمة سكان العمارة فى اى وقت من الليل أو النهار روحى هاتى عيش اكنسى السلم اغسلى العربية هاتى المكوة وصدقنى إن هذا يحدث طوال النهار بلا مبالغة .. فكيف نذاكر دروسنا وكيف نجيب المجموع المطلوب ؟ ورغم كل هذا العذاب فقد واصلت دراستى وحصلت على دبلوم التجارة لكن اختى رسبت .. وأخى على وشك الرسوب هذا العام لنفس السبب .

وحين افكر فيما يحدث لنا أسأل نفسى : وماذا يستطيع أبى وأمى أن يفعلا ..

إنهما يغالبان الفقر والمرض والظروف القاسية بلا هوادة .. إننى أتعذب حين أرى أبى عاريا نازلا فى بالوعة المجارى لكى يسلكها فى عز الليل والناس نائمون والدنيا تمطر .. لأننا عاجزون عن النوم لأن مياه المجارى طافحة

وبللت المراتب التى ننام عليها .. لقد زارتنا كل أمراض الدنيا .. بسبب الحياة مع المجارى فى بدروم واحد .. وتلطمنا بين العيادات الخارجية للمستشفيات المجانية .. والمستوصفات الخيرية نتعالج بالمزيج والحديد والزرنيخ .. وقاومنا الأمراض .. فنجونا من بعضها .. واستقر فينا بعضها الأخر .. وانا شخصيا بقى عندى من الامراض مرضان جليلان هما المرارة .. والتبول اللاارادى اثناء الليل ، وأسفة لأن أقول ذلك بلا خجل لكن هذه هى حياتنا .. ورغم كل ذلك لانعدم من يؤذى مشاعرنا بجهل او بحماقة .. فانا مثلا قد اسمع وأنا ماشية فى الطريق واحد معندوش دم يقول لى اهلا يا بوابة . وأخى وأختى رغم صغر سنهما حاولا الانتحار بسبب كلام زملائهما لهما فى المدرسة بسبب فقرهما وعملهما فى خدمة السكان وكل ذلك بسبب البدروم اللعين صحيح إن مرتب أبى الآن كويس لكن من اين ياتى بخلو رجل لغرفتين فى أى مكان .. اما أنا فلقد حصلت على الدبلوم وجلست فى البدروم بلا عمل ومفيش فلوس راضية تيجى أبدا كأن بيننا وبينها عداء مستحكما ونحن جميعا إخوتى وأنا نمضى النهار بطوله دون ان نمسك عشرة قروش نستطيع ان نشترى بها شيئا خاصا لنا وسأكون صريحة معك بالرغم من أننى لا أعرفك ، كلما ضاقت بى الدنيا فكرت فى الطريق الخاطىء لاية فتاة لانقذ نفسى من هذه الحياة لكنى اراجع نفسى وأقول لها ان الشرف هو أغلى ما أملكه فكيف أضحى به وفى النهاية أقول لك اننى اقرأ فى بابك رسائل لفتيات يشكين هموما تبدو بالنسبة لى ثانوية .. او دلعا لا يستحق الوقوف عنده وأحس أحيانا عندما أقرأ رسالة من هذا النوع أنى أريد ان امسك بشعر كاتبة هذه الرسالة وأن أجرها الى بدرومنا لترى الهموم الحقيقية التى يعانيها البشر .

لعلها ترضى عن حياتها وتترك لنا نحن ان نكتب لك لنفضفض معك بلا اى امل فى الحل عن بعض همومنا والسلام عليك .

● ● ●

واجد نفسى أقول لها بلا وعى وأنفاسى مبهورة من ملاحقة عباراتها التلقائية اللاذعة . بل السلام عليك أنت يا صديقتى فأنت التى تستحقين الإعجاب لصمودك وقوة احتمالك وقبل كل شىء لرفضك الانسياق وراء وساوسك . ولقد ادركت جوهر المسألة .. حين عرفت انك اذا اقدمت على ما فكرت فيه فانك بذلك تكونين قد اهدرت رحلة كفاحك المريرة هذه ورحلة كفاح أبيك البطل فى تربيتك وتعليمك رغم الأهوال ، انت من هذه الناحية تستحقين كل الإعجاب .. وتستحقين ان تفخر بصداقتك اى فتاة كريمة .. يبقى بعد ذلك .. أن اقول لك إنك رغم كل المرارة والألم لست وحدك فيما قاسيت فى طفولتك وفيما تقاسين الان .. ولربما كان هناك من قاسى الاهوال أكثر مما قاسيت وأنت رغم كل ذلك مازلت فى بداية حياتك ولابد ان تأملى فى أن تكون الفصول التالية اكثر إشراقاً وأقل معاناة فنحن لا نستطيع يا صديقتى مهما بدا الطريق آمامنا صعبا ان نكف عن الأمل أو أن نتوقف عن محاولة اختراق السدود وقفز الحواجز .. فلابد أن نأمل دائما فى غد أفضل والا أصابنا الجنون واستسلمنا لليأس والإحباط . لابد ان نأمل دائما فى المستقبل مهما بدا الحاضر عقيما وغير مبشر بالامال .. انى لا اخدرك بالأمل .. لكنى أدفع عنك اليأس والاحباط وهموم بوابة الشيطان إلى عقل وقلب الانسان لابد ان ننظر الى الامام دائما بوجه مبتسم حتى ولو ظن بنا البعض البله فالأمل هنا دفاع عن النفس ضد الجنون وضد شرور عديدة .. وليس استغراقا فى الوهم والأحلام وتذكرى دائما أن أكثر لحظات الليل سوادا هى اللحظات التى تسبق مباشرة ظهور أول ضوء فى الفجر لذلك فإنه لابد أن يحين فجر يوما ما وسوف يحين بكل تأكيد فى يوم[1] قريب ربما كان اقرب كثيرا مما تتصورين .

---

(١) تم تعيين كاتبة الرسالة فى الجمعية التعاونية للبترول استجابة لما نشر .

رجل الأسرة

أنا يا سيدى رجل فى السابعة والثلاثين تزوجت منذ حوالى ١٥ سنة من زوجة شابة جميلة فى مثل سنى كريمة الخلق ، وعشنا معا فى سعادة تامة .. اكتملت بمجيء إبننا الصغير بعد عام ونصف من الزواج .. وقررنا أن نأتى له من عالم الغيب بأخت أو بأخ ثم نكتفى بذلك ونشكر الله على ما أعطانا ونواصل حياتنا فى سعادة وفعلا حملتِ زوجتى ، وقبل ان تضع مولودها كانت حرب أكتوبر قد اشتعلت وكنت قد اشتركت فيها فقد كنت ضابطا بالقوات المسلحة ، وخرجت منها بشلل نصفى أقعدنى عن الحركة .. ولست بحاجة لاقول لك إن حياتنا قد تغيرت بالكامل بعد ذلك ... وإننى نظرت إلى نفسى فوجدتنى أبا لطفل عمره عام ونصف العام ولمولود فى علم الغيب وزوجا لشابة صغيرة جميلة مليئة بالحيوية .. ففكرت طويلا ثم طلبت منها أن تدعنى لمصيرى وان تسعد بحياتها .. وأن تجرب حظها مع غيرى فرفضت بكل اباء ومنعتنى من العودة الى مثل هذا الحديث وقالت لى إنها لن تتخلى عنى وإنها ستقف معى إلى أن اعمل وأمضينا عامين طويلين فى رحلة العلاج وهى تصحبنى كل أسبوع عدة مرات الى جلسات العلاج الطبيعى . بلا أى تقدم فبدأنا نسافر وراء الاطباء بحثا عن أمل وأرهقتنى تكاليف العلاج وأصبح معاشى لا يكفينى وعشت أياما سوداء وكان أشقائى الأصغر منى يأتون لزيارتى ثم يدس الواحد منهم فى يدى بعض المال وأنا حبيس الكرسى المتحرك قائلا .. هذا شيء بسيط للاولاد .. أو للدواء ، وفعل نفس الشيء معى كل أقاربها ، واستمرت رحلة العذاب بلا أمل حتى بدأت أنهار وأرفض الذهاب إلى جلسات العلاج الطبيعى أو إلى عيادات الاطباء ، لكن زوجتى لم تيأس ولم تنهر ولم تضعف وتعلمت كل التدريبات الرياضية المطلوبة

وأصبحت تجربها لى فى البيت حتى استطعت بفضلها أن انتقل من السرير إلى المقعد المتحرك بلا مساعدة من أحد ، لكن أزمتنا المالية استمرت بل زادت صعوبتها مع وصول الأبناء إلى سن الدراسة وكانا قد أصبحا إبنا وابنة بعد وصول بنتى التى جاءت إلى الحياة وأنا حبيس المقعد المتحرك ، وأصرت زوجتى أن تلحق أبنى وأبنتى بالمدارس الاجنبية كما كنا نحلم ونحن فى بداية حياتنا وكلنا صحة وشباب والدنيا ممتدة امامنا .

وقررت أن تخرج للعمل لكى توفر دخلا إضافيا مع معاش يكفى لمصاريف المدارس واشتراك النادى والدروس الخصوصية وعملت فى إحدى الجهات ، ثم انتقلت منها بعد فترة إلى شركة استثمارية بمرتب أكبر وكانت تعود منهكة لتعد الطعام وترعى الأبناء ثم لتساعدنى فى قص شعرى وأداء التمارين .. وفى الإغتسال وفى أشياء اخرى أخجل من ذكرها ويحتاج فيها أمثالى إلى مساعدة غيرهم ، وكانت رغم كل ذلك سعيدة راضية دائما تقول كل يوم لإبنيها .. « بابا بطل .. وبقى كده لأنه كان بيدافع عن مصر » .

ولم أسمعها طوال هذه السنوات الطويلة الكئيبة تشكو أو تتذمر أو تُبدى اعتراضا على مشيئة الخالق ، وإنما تقول دائما إنها إرادة الله وعلينا أن نمتثل لها ، وكانت تحاول جاهدة ألا تخرج كثيرا .. ولا تذهب حتى إلى اسرتها لكيلا أحتاج إليها فلا اجدها .. ولا تحاول أن تتزين أو تسرف فى الاهتمام بأناقتها لكى تتجنب إثارة غيرتى .

ومضت حياتنا هكذا وبمرور الايام بدأت أشعر أن دورى كرجل الاسرة وعائلها قد بدأ يتراجع فى حياة أولادى كثيرا فإذا طلبت المدرسة ولىَّ أمر أحدهما فان زوجتى هى التى تذهب اليها .. وهى التى تحضر اجتماعات مجلس الآباء .. وحفل توزيع الهدايا على المتفوقين الخ ، وإذا تطلب الأمر شراء ملابس للأبناء فانها هى التى تصحبهم معها لتنزل الى المحلات وتشترى لهم ما يريدون وشيئا فشيئا بدأ الأبناء يتجهون بمطالبهم إلى أمهم مباشرة مادامت

هى التى تشترى وهى التى تذهب الى المحلات .. أما أنا فلقد بدأت اكيِّف حياتى مع ظروفى الجديدة .. وأحاول أن أقوم بما يسمح به جهدى المحدود من أعمال تخفف عن زوجتى بعض أعباء البيت ، وأصبحت بعد فترة قصيرة أصحو مبكرا .. وبعد انصراف زوجتى والأولادُ للعمل والمدرسة اتجول فى الشقة بالكرسى المتحرك فأقوم بتقشير خضار اليوم وأغسل بعض الاطباق .. وبعض الجوارب والمناديل ثم اطبخ ما أستطيعه من خلال الكرسى المتحرك وأصنع كل ما أستطيعه لان زوجتى تعود فى السادسة مساء فتقوم بترتيب البيت وتتفرغ لخدمتى والأبناء ومساعدتهم فى الاستذكار .

وأصبحت أشعر داخليا أننى « ست البيت » وانها هى رجل الاسرة الذى يتحمل كل المسئوليات .. وآلمنى ذلك كثيرا .. ولكن ماذا كنت أستطيع ان أفعل ولم يكن لى حيلة فيما جرى .

وذات يوم وكنا فى بداية الصيف جاءنى ابنى يطلب منى السماح له بالذهاب مع بعض أصدقائه فى رحلة إلى مرسى مطروح ، فرفضت لأنى أرى انه مازال صغيرا على القيام برحلة بمفرده مع اصدقائه بلا رقيب كما انه غير مستعد للاعتماد على نفسه ، ولم تعلق زوجتى على ذلك وسكتت لكننى فوجئت بابنى بعد ذلك بأيام يناقشنى فى ذلك ثم يقول لى فجأة : ليس من حقك ان تسمح او تقبل ذهابى الى الرحلة ، وماما هى صاحبة القرار لأنها هى التى تعمل وتكسب بينما أنت جالس فى البيت طوال النهار على هذا الكرسى بلا عمل !

كنت وحدى على مقعدى فى ركن التليفزيون من الصالة وكانت زوجتى فى العمل وابنتى تشترى شيئا من الخارج وذُهِلت وأحسست بالبرودة تتسلل إلى كل جزء من جسمى .. ثم انتفضت ورفعت يدى لأصفعه .. فوجدت يدى ترتخى ثم قطرات من الدمع تقفز من عينى حتى لأراها أمامى وصدِّقنى

إنها كانت تقفز ولا تسقط إلى أسفل لأن قوة الدفع وراءها كانت شديدة فاذا بها تدفعها للامام لا إلى تحت .

دارت الدنيا بى يا سيدى .. ولم أعد أراه أمامى .. ولا أرى شيئا ولم أشعر بشيء إلا وهو يبكى ويقول لى « معلهش يا بابا حقك على يا بابا .. أنا آسف يا بابا » ثم يقبل رأسى وأنا أقبله ولا أستطيع حتى أن أغضب منه ؟ فما قاله هو الحقيقة .. لكنى لا ذنب لى فيها .. ولم أرد لنفسى ما أنا فيه لكن الحياة تبدو قاسية أحيانا يا صديقى بلا ذنب فى ذلك . وكان هذا هو حالى مع إبنى وفلذة كبدى الذى طعننى فى رجولتى وكرامتى بغير قصد ، ولقد ترك هذا الحادث فى نفسى أثرا غائرا فأمضيت أسبوعا وانا لا أكلم زوجتى ولا أفعل شيئا سوى التفكير الصامت الحزين وتحت تأثير الغضب أو الشيطان – لا أعلم – توصلت إلى قرار خطير قررت تنفيذه مع شريكة عمرى وألمى وعذابى .. وذات يوم بعدها كانت عائدة من عند شقيقها الذى ذهبت إليه مع أشقائها لتوديعه قبل السفر ، فاستقبلتها مع أولادى عند الباب ثم إنفجرت فيها متهما إياها بخيانتى وداعيا عليها أمام الجيران أن ينتقم الله منها وطردتها .. فهرولت باكية إلى الخارج تلاحقها لعناتى وصياحى ، وانفجرت الفضيحة فى العمارة وفى وسط الاسرة وبلغت شظاياها مكان عملها . ورقدت هى مريضة فى بيت اهلها .. ورقدت أنا مريضا فى بيتى . والآن وبعد ان مضت الشهور والاسابيع وتوالت الأحداث .. وتدخل الاهل والأقارب اعترف لك امام الله أنى ظلمتها وأنى مثلت معها دور الزوج المخدوع لكى أتخلص من عذابى ، وأنه لا توجد على ظهر الارض من هى أشرف منها . إننى العن نفسى كل يوم .. وأتجرع الندم كل لحظة لكن ماذا يفيد الندم ؟ إنى أسال نفسى كل يوم ماذا فعلت . ولماذا فعلته مع اقرب إنسان فى الوجود الى قلبى ؟ فلا اجد جوابا مقنعا لهذا السؤال .

لقد جاءنى شقيقها منذ أيام يرجونى ان أمنحها الطلاق وأن أترك لها

الأبناء ولو على سبيل المكافأة عن الفترة التى قضتها بجوارى تمرضنى وترعانى ، لكنى لم أتخذ قرارى بعد .. فأنا أريدها أن تعود إلى وإلى أولادها وإلى بيتها .. فهل تعتقد أنها يمكن أن توافق على العودة .. وإذا وافقت هل تعتقد أن الناس والجيران والأهل الذين علموا بما جرى سوف ينسون الواقعة المخجلة التى رويتها لك ؟ إنى اعترف اننى المخطىء لكن فى مثل سنى وظروف فإن الازمات النفسية تكون شيئا متوقعا كما تعلم . لذلك فإنى أرجوك الا تنصحنى بطلاقها وبترك الابناء وأن أعيش وحدى بعيدا عنها وعنهم لأنى لا أستطيع مفارقة أبنائى فهل تساعدنى برأيك فى حل مشكله صنعتها بيدى ؟ .

● ● ●

* * ولكاتب هذه الرسالة المؤلمة أقول :

يا سيدى لقد اخترت أسوأ نهاية لأكثر القصص التى قرأتها فى رسائل القراء تأثيرا فى النفس وإيلاما لها فلقد اخترت لنفسك أن تكون ظالما وأنت من ظَلَمته الحياة واخترت لنفسك ان تكون جانيا وانت أصلا ضحية .

وصدِّقنى أن جسدى قد إقشعر وانا اقرأ رسالتك حين بَلَغتُ هذا المشهد المؤلم بينك وبين إبنك الصغير . سامحه الله وسامح أمثاله ممن لا يدرون أحيانا أين تقع كلماتهم الجارحة من القلوب الكسيرة ، لكنه طفل يا صديقى وإن أخطأ أو أجرم وحتى لو كان وراء هذا الخطأ نقص تربوى معين لم يلتفت إليه أحد خلال صراعكم مع الحياة ، لذلك فان خطأه لا يبرر لك أبدا ان تنتقم من شريكة حياتك الصابرة التى لم تتخل عنك فى محنتك وكانت لك نعم الرفيق والصديق هذا الانتقام الجبار .

لا يا سيدى إنها لم تكن لتستحق منك هذا الانتقام مهما كانت اسبابك الحقيقية لهذا التصرف العنيف فلو كنت مثلا قد أردت تحت تأثير الآلام النفسية لما جرى بينك وبين ابنك ، ان تثبت لنفسك أنك مازلت رجل

الاسرة الآمر الناهى الذى يحاسب ويعاقب .. فلم تكن هذه هى الوسيلة الصحيحة لتفعل ذلك بهذه الطريقة العلنية الجارحة مع شريكة عمرك المخلصة . ولو كنت قد قررت أن تنهى ما بينك وبينها اقتناعا باستحالة استمرار الحياة بينكما على هذا النحو ، فلقد كان الأجدر بك أن تصارحها بذلك وأن تنهى الأمر كله باحترام يليق بها وبك وبأسرتك وبرصيدها الكبير لديك . وحتى لو كنت قد وقفت منها هذا الموقف الشائن لأن الشك قد ساورك فيها فى لحظة ضعف والنفس أمارة بالسوء كما تعلم .. فلقد كانت هناك طريقة أخرى لإنهاء الأمر بغير هذه الفضيحة ، فلماذا اخترت هذه الطريقة البشعة للإساءة الى من تقسم إمام الله باخلاصها وشرفها ؟ .. ولماذا تسىء الى نفسك وإلى ابنائك هذه الاساءة البالغة وقد كنت تستطيع تقديرا لماضيها معك على الأقل وحرصا على مشاعر ابنائك وسمعتهم ان تنهى كل شىء فى هدوء ، ألم تعلم أنك بذلك قد اسأت الى أبنائك قبل ان تسىء اليها ، وانه كان حريا بك أن تحسن إليهم قبل ان تُحسن اليها لقد قال أحد العرب ذات مرة لبنيه : لقد أحسنت إليكم صغارا وكبارا وقبل أن تولدوا فقالوا له وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ قال : إخترت لكم من الامهات من لا تسبون بها ! فلماذا أردت لابنائك ان يُسَبوا بأمهم بهذه الفضيحة التى لا مبرر لها وأنت تعرف صدق إخلاصها ؟ ثم لماذا يا سيدى نُسلّى الأخرين بعذابنا وآلامنا لو كنا معذبين ولماذا لا ينهى الانسان عذابه بغير أن يشهد عليه العالمين ؟ .

إننى لا أريد ان أقسو عليك .. لأنك ضحية فى النهاية .. ولأننا جميعا نحسن السباحة فى مياه الشاطىء الضحلة فإذا ما جرفنا الموج إلى المياه العميقة لا نعرف كيف يمكن ان يكون حالنا أو ماذا يمكن أن نقول أو نفعل وليس المعزى كالثاكل ، لذلك فإنى أفهم ظروفك يا سيدى وأقدّر آلامك لكنى أطالبك بأن تكون عادلا سواء عادت المياه الى مجاريها معها او لم تعد وأطالبك

بألا تسكت على ضيم أوقعته بأحب الناس إليك وأكثرهم إخلاصا لك وأنت تملك رفعه خوفا من ربك وإرضاء لضميرك قبل كل شىء فأعلن للناس يا سيدى ما صارحتنى به .. وردَّ لزوجتك شرفها أمام كل من رميتها أمامهم بالباطل ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس واعلم ان الله لا يتسامح مع هذه الجريمة الشنعاء ما لم ترجع عنها .. ثم بعد ذلك ابحث أمر مستقبلك معها ومستقبل أولادكما معكما فليس عيبا أن يخطىء الانسان مرة لكن العيب كل العيب هو ألا يصلح خطأه وهو معترف به خاصة إذا ترتب عليه إنصاف مظلوم ..

تسألنى هل تقبل أن تعود إليك فأقول لك لا أعرف على وجه التحديد وإن كنت أتصور أن طبيعتها المضحية ربما تتغلب عليها فى النهاية فتقبل بعد إنصافها أن تعود إليك من أجل أولادها ولا يجوز فى مثل هذه الحالة أن تسألنى هل ينسى الناس أو لا ينسون فليس مهما أن ينسى الناس وإنما المهم هو أن تنسى هى وأن تصفح !

عمارة الأحلام

سأبدأ قصتى بلا مقدمات لانى فى حالة لا تسمح لى بالتفلسف أو حكاية الحكايات .. وستعرف ماذا أقصد حين تقرأ سطور رسالتى .. أنا يا سيدى رجل فى الأربعين .. خلال دراستى الجامعية تعرفت بزميلة لى أحببتها وأحبتنى وشرعنا نبنى معا مستقبلنا ، وبعد التخرج بعامين وفقنا فى الحصول على شقة تزوجنا فيها وبدأنا قصتنا السعيدة ، فعشت معها سنوات كان فيها الحلو .. وفيها المر لكن القافلة كانت تسير ، وخلال رحلة العمر معها انجبنا ثلاثة أطفال ، وسافرت للعمل فى احدى الدول المجاورة عدة سنوات حرصت خلالها على تركها هنا توفيرا للنفقات ولكى أجمع أكبر قدر من المال يسمح لنا بتكوين حياتنا وحتى حين عدت بعد سنوات العمل واصلت العمل هنا ليل نهار لكى استطيع استكمال بناء منزل ٤ أدوار وضعت فيه كل مدخراتى وحصيلة كفاحى فى الغربة وهنا وسط اصعب الظروف وفعلا تمكنت بجهد جهيد من استكمال البناء وبنيت عمارة الاحلام كما يقولون وبدأت أستعد لكى أجنى ثمار هذه السنوات الطويلة من الكفاح ، وفى هذه الأيام بالتحديد أفقت فجأة على صدمة هزت كيانى كلى . فلقد فوجئت بزوجتى المحبوبة التى واصلت العمل فى الليل والنهار من اجل تأمين مستقبلها ومستقبل ابنائها تطلب منى الطلاق وتصر عليه . لم يقع بينى وبينها خلاف .. ولم تشهد حياتنا تقلبات عنيفة .. فلم يحدث بينى وبينها الا ما يحدث احيانا بين الازواج من خلافات بسيطة لا يخلو منها بيت لذلك كان طلبها مفاجئا لى تماما وحين سألتها عن الأسباب قالت لى بإصرار : تحس انها قد أصبحت بالنسبة لى منذ سنوات بعيدة قطعة من قطع اثاث البيت وإنها لا ترغب فى مواصلة الحياة معى .. حاولت اثناءها عن ذلك ووعدتها بأن اعطيها إهتماما أكبر ووقتا أكبر بعد

ان انتهيت من بناء البيت ولم أعد مطالبا بالعمل بهذه الطريقة السابقة فلم تقتنع أشركت أسرتها فى الأمر ففوجئت بوالدتها تؤيدها فى مطلبها فمنحتها الطلاق راغما .. على أمل أن يهدأ غضبها بعد فترة وأن تراجع نفسها من أجل الأبناء ومن أجلى واعطيتها كل حقوقها فاعطيتها أثاث البيت والأبناء وكل شىء وتركت شقة الزوجية لها وأقمت فى شقة من عمارتى الجديدة وحاولت ألا اقطع ما بينى وبينها آملا فى اعادة الامور الى مجاريها فكنت أسأل عنها .. وعن الابناء وأعطيها النفقة بنفسى فلاحظت لأول مرة وجود شخص ثالث فى حياتنا يؤثر على مجرى الأحداث بدون أن أعرف سرقوته أما الشخص الثالث فهو صديق كنت قد فتحت له بيتى وقلبى منذ سنوات طويلة كان دائما على استعداد لأن يقدم لنا خدماته .. كان يأتى الينا ليجد عندنا الراحة من متاعبه مع أسرته ويجد عندنا النصيحة المخلصة ووثقت به ولاحظت أن هناك تقاربا بينه وبين زوجتى لكنى لم يساورنى الشك فيه وحتى حين أردت أن أتخلص من ظنونى ذات مرة فصارحته بما يساورنى من شك قال لى إنه ليس سوى أخ لزوجتى وانه كان يدخل بيتها منذ الطفولة كصديق لشقيقها ويهتم بأمر اسرتها .. وتذكرت فيما بعد ان زوجتى كانت تعتمد عليه دائما فى أشياء صغيرة لم يكن انشغالى المستمر يسمح لى بالقيام بها كالتوصيل الى الطبيب او اصطحاب الأبناء الى عيادة طبيب الاطفال او أداء مهمة تتعلق بشقيقاتها الأصغر منها .. وحين وقع الطلاق وجدته مستمرا فى رعايتها ورعاية شقيقاتها بل والابناء أيضا ونصحته بالابتعاد عن أسرتها لكيلا يتيح مجالا للحديث فقال لى انه صديق قديم للاسرة وإنه أخ لا أكثر وخلال هذه الفترة عرضت عليها ان تنتقل من شقة الزوجية القديمة الى الشقة التى كنا قد أعددناها فى البيت الجديد واخترنا كل شىء فيها معا من الألوان الى البلاط الى السيراميك الخ .. فاشترطت لكى تسكن هذه الشقة أن أعطيها عقد إيجار كمستأجرة وأن تقيم فيها مع ابنائها كمطلقة قائلة إنها ربما بعد

عام أو عامين حين تهدأ مشاعرها فانها قد تعود الى فقبلت لكيلا أغلق الباب بينى وبينها وحبا فى الابناء لكيلا يعيشوا بعيدا عنى .

وقبل أن تنتقل إلى الشقة الجديدة كانت وبمساعدة الصديق نفسه قد تنازلت عن شقة الزوجية القديمة لصاحب البيت مقابل مبلغ من المال ثم حملت اثاثى السابق الى الشقة الجديدة وفرشت الشقة به وبعد ان استقرت فيها واستقر كل شىء فى موضعه كان اول شىء فعلته بعد الانتهاء من ترتيب قطع الاثاث وتركيب الستائر وتنظيف البيت هو الذهاب الى قسم الشرطة المجاور لكى تطلب من الشرطة استدعائى لتحرير تعهد بعدم التعرض لها . هل تتصور ذلك يا سيدى ؟ كنت معها وهى تقوم بترتيب الأثاث ومعها وهى تركب الستائر بل ورأيتها تغتسل لتستبدل ملابسها وتخرج بعد دقائق فوجئت بمن يطلبنى للذهاب الى القسم فذهبت متعجبا فاذا بها جالسة بنفس الفستان الذى استأذنت لترتديه فى حجرتها وامامى تعهد مكتوب ومطلوب توقيعى عليه .

ماذا جرى للدنيا يا صديقى ؟ ألهذا الحد يصل الغدر والتدبير بأعصاب باردة كاننا لسنا بشرا عاديين وانما من دهاة المتآمرين . نظرت إليها مصدوما فحولت عينيها بعيدا عنى بلا مبالاة وكان القانون معها فوقعت وأنا فى قمة الخجل واليأس وانصرفت وأنا مقهور مكسوف .. مذهول وعدت للشقة الاخرى التى اخترتها للحياة فيها وحدى ووضعت فيها بعض الأثاث السفرى وهى الشقة المواجهة تماما لشقة مطلقتى أو زوجتى السابقة وامضيت فى شقتى يومين لم أستطع مغادرتها خجلا من الجيران الذين توقعوا ان يكون دخولها للبيت تمهيدا لعودتها إلى ولم تضيع هى وقتها فبعد ايام قليلة فوجئت بها تتزوج من هذا الصديق تزوجته فى شقتى التى بنيتها طوبة طوبة وأنفقت عليها ثمرة شقائى . وعلى اثاثى الذى اشتريته بسهرى وعملى من الفجر كل يوم الى منتصف الليل وبين اولادى الذين حرمت منهم وهم على بعد خطوات منى

وحين اعترضت وتكلمت قال لى الجميع انها مطلقة وحرة ومن حقها ان تتزوج بمن تشاء ووضعها قانونى فمعها عقد ايجار للشقة التى تسكنها فعدت مغلولا محسورا .. اننى اكتب اليك لاسألك ماذا أفعل اننى مستسلم لما إختارته لى الأقدار وآمل فى ان تحمل لى الايام بلسما شافيا لجراحى ولكنه من المؤلم جدا يا صديقى أن تكون شقتى امام شقتها والباب امام الباب وان كل يوم وكل ساعة أراه وقد حل محلى فى مكانى من زوجتى وابنائى وهما يتمتعان معا بثمرة شقائى فى الغربة وفى مصر وهل يرضى ذلك أحد ؟ اننى حائر لا اعرف ماذا افعل هل ابيع العمارة واذا فعلت أين اذهب امبماذا تنصحنى يا صديقى الذى لا اعرفه بعد ان فقدت ثقتى فيمن عرفت من الأصدقاء ؟ .

● ● ●

لكاتب هذه الرسالة اقول :

يا صديقى أنقذ نفسك من هذا العذاب الذى تتجرعه كل يوم وأنت ترى زوجتك السابقة ذات الاعصاب الحديدية ضاحكة لاعبة لاهية مع صديقك السابق بين اولادك وفوق أثاثك لأن الباب امام الباب .. وانت ترقبها بحسرة وتتجرع كل لحظة الم الغدر والخيانة ؟ .

لا شيء فى الدنيا يساوى أن يتحمل الإنسان هذا العذاب إذا كان قادرا على ان ينجو بنفسه منه وأنت قادر والحمد لله فماذا تنتظر ؟ ولماذا لا تبيع هذه العمارة اللعينة التى هدمت أسرتك بانشغالك الشديد بجمع ثمنها ثم ببنائها الى الحد الذى تركت فيه لغيرك ان يقوم بما كان ينبغى ان تقوم به انت من رعاية زوجتك وابنائك ؟ ثم ماذا يساوى مال الدنيا اذا افتقد الانسان السعادة والكرامة والأمان ؟ .

لقد غابت عنك أشياء كثيرة يا صديقى فى حينها ومهدت بتصرفاتك لكل

ما حدث فلم تر النار تسرى تحت الرماد لأنك مشغول بعمارة الاحلام ولعلك نفخت فيها بغير قصد بإعتمادك التام على هذا الصديق الغادر وبثقتك فيه رغم أن الأمور كانت واضحة أمام كل ذى عينين .. ثم حين نفذت لزوجتك رغبتها فى الطلاق ابتذلت نفسك فى محاولات استرضائها للعودة اليك فاعطيتها الفرصة لكى تحقق من ورائك اكبر قدر من المكاسب وتستولى منك على شقتين بدلا من شقة واحدة وتستولى على الشقة التى اعددتها خصيصا لها بمداعبة أملك فى إمكان عودتها إليك وحين تمكنت نفضت يدها منك باعصاب قاتل محترف لا يوجه ضربته الا فى مقتل وهذا هو اكثر جوانب خديعتها اجراما وإنتهازية وأنانية . وهذا هو ايضا اكثر جوانب شخصيتك تناقضا فانت فيما يبدو لى حريص على المال ومع ذلك فقد لانت فراملك سريعا معها لرغبتك الشديدة فى اعادتها إليك ولعلها عرفت ذلك فيك فاستثمرت بتفكير مادى بحت هذه الرغبة لتحقق لحياتها الجديدة التى دبرت لها من اللحظة الاولى اكبر مكاسب ممكنه ولو كان ثمن ذلك ان تغدر بك مرتين . مرة بالانفصال عنك للارتباط بصديقك ومرة أخرى بهدم كل أحلامك بعد الحصول على الشقة لكى تتزوج شريكها وتستمتع بحياتها أمام عينيك يا إلهى انه تفكير رجال عصابات .. لا زوجة سابقة وأم لأطفال يجمعون بينكما الى نهاية العمر حتى ولو انفصلتما فماذا جرى للبشر يا صديقى ؟ ولماذا اصبح بعضنا لا يتردد عن طعن الآخر . بخنجر مسموم إذا لاحت وراء ذلك منفعة مادية ؟ لقد كانت تستطيع ان تتزوج من شريكها فى شقتك القديمة وان تعلنك بذلك بوضوح وبشرف ولم يكن لأحد ان يلومها مادامت قد اختارت حياتها وهى فى النهاية رغم الغدر سوف تتزوج زواجا مشروعا فلماذا هذا التدبير الاجرامى ؟ .

إننى أشعر بعذابك يا صديقى وأحس إننى أمام دراما غريبة تقف فيها وحيدا وسط قوم لم تأخذهم بك شفقة ولا رحمة حتى ولو كنت مخطئا لكن

هكذا الدنيا يا صديقى تقسو أحيانا وتصفو أحيانا أخرى وعلينا أن نتعلم فيها كيف نتقبل الهزيمة كما نسعد بالانتصارات الشخصية .. والصوفية يقولون فى بعض أشعارهم :

فات ما فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

والساعة التى أنت فيها تطالبك بأن تخرج من موقف المحسور الذى يرقب سعادة الآخرين بأسى وألم ويتعذب بها وتطالبك بأن تطوى هذه الصفحة الأليمة وأن تبدأ حياة جديدة مزودا بخبرة ثمينة عن الحياة والبشر ولعل ما حدث يعلمك أن المغالاة فى الجرى وراء المال على حساب حق الزوجة والأبناء من الرعاية لا تحقق السعادة كما أن بناء العمارات على حساب كل شىء آخر فى الحياة لا يحقق الكرامة ولا الامان ..

وما أكثر ما نتعلم كل يوم من فصول جديدة فى علم الحياة .

« أدب الحياة »

بقدر ما اعرف ان رسالتي هذه سوف تدهشك بقدر ماأعرف انها سوف تسعدك لانها رسالة تختلف كثيرا عما يصلك من رسائل .. وعما أقرأه منها مع اصدقائى على الورق واتفاعل معها حزنا احيانا وغضبا أحيانا اخرى .. ودموعا تنساب منى بغير ان اشعر احيانا ثالثة وكثيرا ماافكر فى الكتابة اليك ثم تشغلنى مشاغل الحياة الا ان رسالة واحدة من هذه الرسائل دفعتنى دفعا لان اكتب وارد عليها .. وهى الرسالة التى نشرتها بعنوان « بئر الحرمان » التى تشكو فيها سيدة من قلة دخل زوجها حتى انها كرهته مع انه انسان مثالى كما تقول وتعجبت وكدت اقول لها اتكرهين من احببت من اجل نقود تذهب وتجيء . اننى على ثقة ان هناك اكثر من زوجة قالت بعد ان قرأت رسالتها اعطنى زوجك المثالى المحب الحنون .. وخذى مال الدنيا كله .. واستأذنك فى ان ارد عليها نيابة عنهن فأقول لها اننى سيدة فى الخامسة والثلاثين من عمرى من اسرة كبيرة يشغل معظم افرادها مراكز كبيرة ووصل بعضهم الى كرسى الوزارة ، وحين كنت فى السادسة عشرة من عمرى ارادت امى ان تزوجنى لرجل رأته مع ابى واعجبتها وسامته وشخصيته .. وحاولت اقناعى به بكل الطرق الممكنة فزادنى ذلك اصرارا على الرفض لانى كنت متفوقة فى دراستى وراغبة فى استكمالها .. لكن امى مضت فى الاجراءات .. وجاء هو مع امه لزيارتنا زيارة تمهيدية قبل الخطبة .. فرفضت ان ادخل الصالون لاصافحه .. واصررت على ذلك وامى تحاول اقناعى الى ان استجبت لها وقررت فيما بينى وبين نفسى ان ادخل الى الصالون معتزمة ان اجعله يخرج من بيتنا ولايفكر فى العودة اليه .

ودخلت الصالون لرؤيته .. ولااعرف ماذا جرى لى حتى الان . دخلت

وانا انسانة وغادرت الصالون بعد عدة دقائق من الحديث معه وانا إنسانة اخرى .. ان امى تقول لى ان ماحدث هو .. النصيب . وانا اقول لا .. بل هو الحب .

فلقد رأيت رجلا بكل ماتحمل الكلمة من معان .. ثقافة .. لباقة .. وافقا واسعا .. ووسامة .. وشخصية .. واصلا طيبا عريقا ، فأحببته من الدقائق الاولى واحبنى وتمت خطبتنا .. ونسيت من اجله طموحى ودراستى وكل الدنيا وعشت له وبه .

وعندما تزوجنا كان مرتبه ٢٢ جنيها وكان يملك ٩ أفدنة وكانت وقتها ذات شأن والمستقبل امامه مشرق ، فعشنا بهذا المرتب الصغير اجمل ايام عمرنا .. ورزقنا الله بطفلتين اية فى الجمال ولم يزد المرتب كثيرا ليواجه متطلبات الحياة الجديدة .. وايراد الأرض محدود للغاية فقرر زوجى ان يحقق امل حياته وان يكمل تعليمه مابعد العالى على نفقته فباع بضعة افدنة وسافر الى أوربا بثمنها ليكمل تعليمه ، وبعد عامين من سفره سافرنا اليه انا وبناتى . فعشنا معا اجمل سنى العمر .. ورأينا مالم نره واستمتعنا بالحياة هناك مدة ٤ سنوات كاملة كانت كلها رحلة من الهناء رغم قلة المورد .. وعدنا بعد كفاح مجيد استطاع خلاله رجلى الحبيب ان يحقق مايتمناه وان يحصل على الدكتوراه التى اغترب من اجلها .. لكننا وجدنا الدنيا بعد عودتنا مختلفة عنها حين سافرنا . وعدنا فاكتشف زوجى أنه فقد وظيفته لان المؤسسة التى كان يعمل بها قد حلت وانه قد تحول الى موظف بمصلحة حكومية لاعلاقة لها بدراسته وشهادته العلمية الحكومية لانه لم يكن فى الخدمة فى نهاية عام ٧٤ كما تنص اللوائح .. وكنت قد انجبت بنتا اخرى واصبح عدد افراد اسرتى ٥ ، وكل دخلنا من الوظيفة هو ٩٥ جنيها بالاضافة الى حوالى ٥٠ جنيها من ايجار الأرض المتبقية ، أى انه تقريبا نفس دخل كاتبة رسالة بئر الحرمان التى كرهت زوجها بسبب قلة الدخل علما بأنها تعيش فى قرية

صغيرة .. ونحن نعيش فى عاصمة احدى المحافظات الكبرى .. فهل انا ناقمة .. ثائرة مثل هذه الاخت ؟ ابدا والله فأنا والحمد لله سعيدة لان فى حياتى اشياء اخرى كثيرة اجمل واهم من النقود .. فعندى زوج بالدنيا .. يجمعنا معا الحب والالفة والمودة واشياء اخرى خاصة بنا صغيرة وجميلة لاتعوضنى عنها نقود الدنيا .. وعندى ٣ بنات هن اية فى الجمال كبراهن على ابواب الجامعة وكل فرد منا يحب الاخر ويقدره وقد افاء الله علينا من نعمه الكثير .. فنحن والحمد لله بصحة جيدة .. وبيتنا « مستور » دائما بستر الهى .. له العجب . فمعظم افراد اسرتى كما قلت لك اثرياء واخوتى كلهم فى مراكز مرموقة يحبوننى ويحبون زوجى ويحترمونه ولم يحدث خلال ٢٠ سنة ان غضب احدهم منى او من زوجى .. بل يلجأون الينا دائما فى حل مشاكلهم مع بعضهم البعض فكنا دائما واسطة خير بينهم .. ودائما يتم الصلح على ايدينا .. وبيتنا والحمد لله رغم انه اقل البيوت دخلا بالنسبة لبيوتهم هو قبلتهم التى يشعرون بالراحة فيه .. وما من طعام اصنعه بيدى حتى يتهافتوا عليه بسعادة رغم بساطته ..و« ستره عجب » كما يقولون فكثيرا ماتحدث فى حياتنا اشياء صغيرة تملؤنا سعادة وحبا ، فمثلا قد يكون رصيدنا فى الثلاجة صفرا وفجأة يأتينا الخير من حيث لاندرى .. وبمجرد ان تمتلىء الثلاجة يأتى الضيوف فنقوم بالواجب وزيادة وفرحة الدنيا لاتسعنا وانا باقل الاشياء اصنع سفرة رائعة .. واجيد صنع كل شىء من الخبز الافرنجى الى التورتات وكل انواع الحلوى والبسكويت الى المحشى والكشرى أبو دقة ، وكل فرد فى اسرتى واخوتى كثيرون والحمد لله يحبون طعامى ويستطيبونه .. وانا من النوع الذى يصنع من الفسيخ شربات وهكذا سيدات كثيرات يدبرن امورهن مع الحياة بلا انين ولاشكوى ، لقد رأيت فستانا من التريكو لابنتى فى الفاترينة ووجدت ثمنه ٣٢ جنيها ، فاشتريت الصوف وصنعت صورة طبق الاصل منه بل اجمل منه فى حوالى شهر وتكلف ٥٦٠ قرشا ،

وانا لااملك حلقا ذهبيا ازين به اذنى .. لكنى بهذه الاذن نفسها اسمع اجمل وارق الكلمات من زوجى ومن الاهل والابناء والاحباء ، وانا لاأملك عقدا ذهبيا ازين به صدرى .. لكنى املك قلبا ذهبيا يحب الناس ويبادلونه الحب ، وليس فى يدى سوار ذهبى .. لكن فى يدى الف بركة ، وليس على نوافذ بيتى ستائر لكن « ستر ربنا » يغطينا من كل جانب . وليست شقتى مفروشة بالسجاد ولابالموكيت .. لكنها مفروشة بالحب والحنان .. والدفء فى قلوبنا هو « زادنا وزوادنا ، وصدقونى والله العظيم اننى لااتحدث عن فيلم سينمائى رأيته بل عن حقيقة اعيشها والحمد لله ..

ولعل كاتبة الرسالة قد فهمت ماذا اريد ان اقول لها من هذه الرسالة الطويلة .. اننى اريد ان اقول لها ان النقود تذهب وتجىء .. اما الزوج المثالى المحب المخلص .. فلو راح - لاقدر الله - فلاشىء فى الدنيا يعوضه .. لان الرجل هو الذى يأتى بالنقود .. اما النقود فمهما فعلت فلا تستطيع ان تأتى بزوج محب .. فلتشكر الله على ماأنعم عليها به من زوج مثالى وطفل جميل قد تحسدها عليهما اغنى امرأة فى العالم .

كما أريد ان اقول لها حاولى ان تجيدى صنع شىء بيدك وان تستخدمى قدراتك فى تجميل حياتك ان لم يكن بهدف الاتجار فعلى الاقل للترويح عن نفسك واضفاء لمسات عليها تخفف من جفاء الحياة .. واقتربى من زوجك .. وكونى رفيقة به وتمسكى به فهو زوج مثالى فى زمن عز فيه الرجال واخيرا اقول لها ولك ولكل اصدقائى على الورق من قراء بريد الجمعة اجمل تحياتى .. ولى طلب واحد فقط منكم جميعا هو ان « تمسكوا الخشب » وانتم تقرأون رسالتى وان تدعوا لى جميعا من قلوبكم ان يديم الله علينا نعمته .. وان يحفظ لى زوجى حتى آخر لحظة من عمرى .. فليس لدى ماأخشاه سوى ان يفرق بيننا هازم اللذات ومفرق الجماعات .. ولست ارجو من دنياى سوى .. اعز الحبايب .. زوجى .. والسلام عليكم ورحمة الله .

● ● ●

** احسست بعد قراءة هذه الرسالة انى غير قادر على التعليق عليها . اذ ماذا يمكن ان يخط قلمي ارق من هذه الكمات الصادقة .. واى نظرة اعمق للحياة يمكن ان اتوصل اليها بافضل مما فعلت كاتبة هذه الرسالة .

لقد قرأت رسالتك ياسيدتى فتذكرت على الفور ماقاله يوما الدكتور احمد امين من ان الادب الراق هو الذى تحس بعد قرءاته انك قد صرت انسانا مختلفا عنك قبل ان تقرأه . وصدقينى انى قد احسست بسمو غريب داخلى بعد ان قرأت رسالتك هذه . وانى وجدت فيها اجابات لكثير من التساؤلات الحائرة لدى بل ووجدت فيها ايضا بعض السلوى وبعض العزاء . فرسالتك ياسيدتى قطعة من « ادب الحياة » الرفيع الذى لايحتاج الى شهادات جامعية لتعلمه .. ولا لدراسات اكاديمية لاجادته . لانه ادب الصدق مع النفس .. والفهم العميق لحقائق الحياة الاساسية .. وارجو ان يصدقنى القراء انى لم اعالج صياغة هذه الرسالة باكثر من إخفاء بعض ملامح شخصية كاتبتها بناء على رغبتها وباعادة ترتيب بعض اجزائها وانى لم ابتدع هذه الصور الشاعرية الفريدة عن الاذن التى بلا « حلق والعنق الذى بلا قلادة » الخ .. وهيهات لى ان أفعل لو اردت . انها صور املتها عاطفة صادقة تغمر حياتها كلها بالحب الصادق .. ولاتبدعها سوى مثل هذه المشاعر . صحيح ياسيدتى .. كن جميلا تر الوجود جميلا !

وصحيح ايضا انه فى الحياة اشياء عديدة بأن نحياها من اجلها .. ليس من بينها بكل تأكيد المال الذى لايشترى حبا .. ولايشفى مرضا . ولايعيد غائبا من غيبته .. اذ كيف يمكن ان يرغم المال احدا على ان يفجر ينابيع الحب بداخله بهذا الصدق .. وبهذه الفطرة العجيبة .

اننى اشكرك على رسالتك القيمة هذه التى اطلَّت على فبددت من نفسى وحشه الَمت بها وانا افتش بين مئات الرسائل لقراء بريد الجمعة عن رسالة تضيف الى تجربة الانسان خبرة جديدة تعينه على مواجهة الحياة .. او اضافة

انسانية تعمق من فهمه للدنيا ، فلم أجد بكل اسف .. وانما وجدت عشرات من الرسائل تحمل هموما عادية .. ومئات اخرى تحمل هموما غير حقيقية تذكرني دائما بقول ايليا ابو ماضي :

ايها الشاكي ومابك داء
كيف تبدو إذا غدوت عليلا ؟

كما وجدت بينها ايضا عشرات من الرسائل الاخرى التي تذكرني دائما بعظمة الفقيه ابراهيم بن اسحق الحربي الذي عاش في القرن الثالث الهجري وروى عنه الرواة انه عاش « يعاني من صداع باحد جانبي رأسه ٤٥ عاما لم يخبر به احدا » وانه عاش بفرد عين ١٠ سنوات .. فلم يخبر بها احدا » وأنه كان يقول ان الرجل الحق هو من ادخل همه على نفسه .. ولم يدخله على اسرته .

فبعض الناس يؤمنون بعكس ماآمن به ابراهيم بن اسحق على طول الخط .

وبعضهم لايرى في الحياة الا كل سواد .. وتغفل عيناه دائما عن رؤية جوانب حياته الجديرة بالارضاء والسعادة .. ولاتقع الا على ماينقصها فقط من الجوانب الاخرى ..

ودرس رسالتك الذي تعلمته هو ان ثروة الحياة الحقيقية هي في الصحة وسلامة الابناء وهذه العاطفة السامية الصادقة التي تربط بين الشريكين فتطبع كل جوانب حياتهما بالحب والسعادة وتفيض حبا للاخرين كما يفيض ماء النهر على جانبيه ، فيخفف عن المرء هجير الحياة ويقنعه بانه يملك الدنيا ولو لم يكن يملك منها شيئا ..

ليحفظ الله عليك بناتك الجميلات .. وزوجك الرائع .. وحياتك الراضية السعيدة .. وارجو ان يكون صدى طرقات يدى على خشب المكتب قد بلغ اسماعك طوال قراءتي الرسالة .. التي ادهشتني فعلا كما توقعت .. واسعدتني ايضا .. ولكن باكثر مما توقعت !

الوجـه الآخـر

أكتب اليك .. وأنا أعرف أنك لا تملك لى شيئا .. لكنى أكتب اليك لأنى سوف اشعر بالراحة حين تسمعنى وتتفهم مشكلتى .. ورسالتى لك لا تتحدث عن حاجتى إلى شقة لان لدى شقة والحمد لله .. ولا تتحدث عن حاجتى الى عمل اضافى او اساسى لانى لا أريد أى عمل .. ولو جاء على طبق من فضة .. ليس لانى غير قادر على العمل .. وانما لانى لا أريد ان أعمل .. ولا أريد أن أرى مكاتب أو عاملين ، فقد عافت نفسى العمل وأريد ان اختلى بنفسى بعد هذه السنوات الطويلة من الجرى واللُهَاث . لقد استرسلت فى الحديث عن مشاعرى بدون أن اعطيك الفرصة لتعرف قصتى .. واعذرنى لذلك فانا متألم .. وألمى قد دفعنى للاندفاع فى التعبير عن شعورى .

انا يا سيدى شخص كنت مُهمًا بالنسبة لآلاف الاشخاص حتى وقت قريب .. إذ كنت رئيسا لمجلس ادارة شركة كبرى يعمل فيها آلاف العاملين ، بدأت حياتى العملية فيها منذ اكثر من ثلاثين سنة . وتدرجت فى وظائفها حتى بلغت أرْقى منصب فيها وهو منصب رئيس مجلس الادارة منذ ٥ سنوات بالضبط .. وبالرغم من انى كنت قد اعتدت القيام بالأعمال الإشرافية منذ أكثر من ١٥ سنة .. وانتقلت الى موقع رئيس مجلس الادارة من منصب كبير داخل المؤسسة نفسها .. إلا انى حين مارست عملى الجديد كرئيس لمجلس الإدارة اكتشفت انى لم أكن أعرف الكثير عن هذا « الهيلمان » الذى يتيحه هذا المنصب لصاحبه فى شركة كبرى فقد كنت اذهب الى عملى فى سيارة صغيرة تابعة للشركة ففوجئت عقب تعيينى بمدير الحركة فى مؤسستى وهو شاب لَزِج لم أكن استريح إليه وكنت أشك فى أمانته ، يدخل إلى مبتسما

إبتسامة عريضه ليهنئني .. ويبلغني بأن « السيارات » جاهزة لاستعمالى من اليوم ، فسألته مندهشا أية سيارات ؟ قالت : سيارة سيادتك كرئيس لمجلس الادارة وسيارتان للخدمة إحداهما للمكتب والأُخرى للبيت وان هذا هو النظام المعمول به فشكرته وصرفته وحين انتهى اليوم ونزلت لاركب سيارتى وجدت سيارة رئيس مجلس الادارة السابق تقف فى انتظارى بسائقها الذى يرتدى « بدلة مكوية وكرافت » .

ثم وجدت بداخل السيارة شخصا يجلس بجوار السائق اعتقدت انه قريبه او شىء من هذا القبيل .. لكننى وجدته يقدم لى نفسه بأنه من ادارة الامن بالمؤسسة ، وحين استدعيت مدير الأَمن بالمؤسسة فى اليوم التالى لاسأله عن حكمة تخصيص أحد رجال المؤسسة لمرافقتى اجابنى بابتسامة ودودة ، بأن حراسة شخص رئيس مجلس الادارة من صميم أعمال ادارة الأمن بالمؤسسة ، وان هذا هو النظام المعمول به لصالح امن المؤسسة ونظام العمل بها .. فسكت وصرفته .

وفى الأيام الأولى تكشفت لى صورة جديدة تماما عن عالم غريب لم اكن أعرفه بالرغم من أنى كنت من كبار موظفى الشركة قبل تعيينى رئيسا لها ، فلقد كنت وأنا فى منصبى السابق أنفق حوالى ٤٠ جنيها كل شهر داخل العمل مقابل القهوة والشاى والسجائر التى اشتريها من بوفيه المؤسسة ، فاكتشفت أن كل ما احتاج اليه من مشروبات وأدخنة لى ولضيوفى يُغطيه اعتماد مفتوح للاستقبال من ميزانية العلاقات العامة بالمؤسسة ، وان هذا هو النظام السائد ! وكنت على فترات متباعدة أضطر احيانا لدعوة بعض معارف العمل فى البيت على العشاء ردًا على دعواتهم لى ففوجئت بمدير العلاقات العامة يرتب لدعوة للعشاء فى بيتى لعدد من رؤساء الشركات التى نتعامل معها .. وان كل التكاليف سوف تتحملها إدارة العلاقات لعامة تنفيذاً لتقليد قديم ، وحين حاولت الاعتذار بأن بيتى غير مستعد لهذه الدعوات

لأن صالة الاستقبال فيه ضيقة ، فوجئت بأنه يطلب منى الإذن باعداد مكان لائق للاستقبال فى مسكنى على أن يتم ذلك قبل الموعد المحدد للدعوة ، وأذنت له ، فإذا بفرقة من المهندسين والعمال تهاجم البيت وأعمال التكسير والبياض على أشدها .. وخلال ايام معدودات كانت قد تمت إزالة حائط كان يفصل بين حجرة الطعام وحجرة الصالون وهو حلم كان يراودنى منذ قديم لكنى لم اكن اقدر على تحقيقة لتكاليفه ولما يحتاجه من فراغ واشراف الخ .. وقد تمت العملية بنجاح باهر وجاءت السيارات فحملت الاتربة ونواتج الكسر فى لحظات وتم لصق الصالة التى اصبحت واسعة بورق حائط جديد ولم اتكلف من العملية كلها إلا ثمن ورق الحائط الذى أصررت على دفعه وتمت الحفلة .

أما الحياة فى البيت فلقد اصبحت اكثر سهولة ويسرا عن ذى قبل ، فالتموين اصبحت سيارة الخدمة تشتريه من الجمعيات الاستهلاكية بالاسعار المعدلة بعد ان كنا نعجز فى احيان كثيرة عن شرائه منها ونضطر لشرائه من البقال .. ولاحظت بالتدريج انى قد اصبحت محور حياة كثيرين جدا فى المؤسسة .. فالمديرون الكبار يبدأون يومهم بزيارتى وتبادل تحية الصباح معى والجميع يهتمون بصحتى فاذا اصبت بنوبة برد .. فالسؤال لا ينقطع فى التليفون فى البيت عن أخبار الانفلونزا . وبعضهم يتطوع باحضار أحدث أدوية البرد التى ظهرت فى أوربا ، وطبيب المؤسسة يزورنى فى البيت كأنى مريض بمرض خطير ! . وفى المناسبات المختلفة أتلقى بطاقات التهانى ويرن التليفون فى البيت بصفة مستمرة والحق أنى قبل أن أشغل هذا المنصب لم اكن اعرف مشكلة الوقت بهذه الحدّة لكنى عرفتها بصورة رهيبة خلال عملى ، فلقد كنت اتصور أن عمل ٨ ساعات كل يوم يمكن أن يكفى لإدارة أى عمل منظم يقوم مديروه التنفيذيون بواجبهم ، لكنى اكتشفت انى محتاج إلى يوم طوله ٧٠ ساعة كل يوم ليس لإنجاز العمل والمقابلة كل هؤلاء الذين

يريدون مقابلتى ، وبعضهم يطلب المقابلة وينتظر بالساعات ثم استقبله فلا اجد لديه ما يستحق المقابلة ولا الانتظار وأحس ان المسألة مجرد « تمحيك » لكى يقابلنى وينافقنى ويذكّرلى بنفسه لكى لا أنساه فى العلاوات والترقيات .

وبعضهم وصدقنى ان كلهم من كبار المديرين عرف انى أمشى لمدة نصف ساعة كل صباح بجوار مسكنى قبل أن أركب السيارة الى العمل ففوجئت به ذات صباح مرتدياً « الترييننج سوت » والحذاء المطاط فى السادسة صباحا يجرى بجوارى ثم يتوقف مندهشا لهذه المصادفة السعيدة التى جمعتنا على غير ميعاد فى موعد الرياضة ثم يمشى بجوارى ويبادلنى الأحاديث مؤكدا لى انه رياضى مثلى ويجرى كل يوم لمدة ساعة فى الصباح ، ثم اصبح يلازمنى فى مشوار المشى الذى اشتهر أمره بعد حين واجتذب اشخاصا اخرين من المديرين حتى تضخم طابور المشى وتحول الى مجلس يضم معظم المديرين ! اما عند السفر الى فروع الشركة فى الداخل فحدّث ولا حرج عن تسابق المديرين وحتى من ليس لهم علاقة بهذه الفروع للسفر معى ومصاحبتى فى القطار او السيارة وعند السفر للخارج يودّعنى العشرات فى صالة المطار .. وعند العودة يستقبلنى العشرات ونخرج من المطار فى « زفة » سيارات كأننا فى فرح ، وللأسف فان زوجتى وابنائى قد اعتادوا هذا الزحام وتصوروا أنه من طبيعة حياتنا .. فقد اعتادوا ان يزدحم البيت بالسعاة وطالبى المقابلة .. وان نسافر الى مصيفنا فى زفة وان نعود منه فى « زفة » واعتادت زوجتى بالذات على الحياة السهلة التى ييسرها وجود العشرات من الفنيين والسعاه تحت الطلب ، فاذا حدث عطل فى جهاز كهربائى سارع موظفو مكتبى بإيفاد فنّى لاصلاحه فى ثوان .. واذا قررت زوجتى أن تضع بعض « قصارى » الزرع فى البلكونة سارع جناينى المقر الرئيسى للشركة بعمل اللازم ، ومضت الحياة وأنا ابذل كل جهدى فى العمل بإخلاص أعمل لى

لصباح وفى المساء حتى منتصف الليل . وحققت الشركة فى عهدى أرباحا
بعد ان كانت شبه خاسرة . لأنى كنت اؤمن بالمتابعة الشخصية للعمل وأنتقل
بالنحلة بين جميع ادارتها وفروعها ومراكزها وكنت أجزل العطاء لمن يجيد ..
ولا أرحم من يقصر أو ينحرف .

وقلت لنفسى .. لقد ربَّينا الابناء ووظَّفناهم وزوَّجناهم وأوجدنا لكل
منهم سكنه .. وقد كسبت صداقات عديدة فى العمل وخارجه وفى النادى ،
وقد عملت ، اكثر من ٤٠ سنة ووفقنى الله فإدخرت بعض المدخرات التى
تكفل لى حياه معقولة بعد سن المعاش ، فلماذا لا أحيا حياة هادئة واستمتع بما لم يتح
لى العمل المستمر الاستمتاع به..فاذهب إلى النادى..واستقبل
الاصدقاء وأزورهم وأزور الابناء ويزوروننى واخرج مع زوجتى فى
الامسيات كأيام الشباب ورضيت عن ذلك الى حد ما .. وان كانت النفس
قد طمعت كطبعها فى ان تقدر لى الوزارة جهدى فى تحويل المؤسسة من
خاسرة الى رابحة وفى ان تَمُدَّ لى مدة خدمتى عامين آخرين .. لكن هذا الأمل
الواهى لم يتحقق .. وصدر القرار بإحالتى الى المعاش واستعددت لاستقبال
حياتى الجديدة .. فسحبت السيارات الثلاث .. وعدت لاستعمال سيارتى
الخاصة .. واختفى المرافق فلم افتقده لأنى كنت أضيق بوجوده معى ،
واختفى السعاه والفنيون من حياتنا وعدنا من جديد لشراء احتياجات البيت
فلم يضايقنى ذلك لانى اصبحت خاليا واستطيع قضاء هذه المهام فى سيارتى
مع زوجتى .

لم يزعجنى يا صديقى من كل ذلك إلا شىء واحد هو ما دفعنى للكتابة
إليك أما هذا الشىء فهو : أين الاصدقاء يا صديقى ؟ أين من كانوا
يصاحبوننى فى مشوار المشى فى الصباح لأنهم « رياضيون » ومن هواة
المشى ؟ وأين من كانوا ينتظرون لقائى بالساعات ليطمئنوا على صحتى ولا
يهدأ لهم بال الا اذا تأكدوا من انها بخير ! وأين رنين التليفون الذى لم يهدأ

طوال الليل والنهار فى البيت ؟ واين المهنئون الذين كان الصالون يضيق بهم فى المناسبات حتى ليقف الكثيرون منهم ؟ وأين المودِّعون عند الذهاب للمصيف والمستقبلون عند العودة منه ؟ واين من كانوا يقلقون اذا أصبت بالبرد واين .. واين .. واين .

انني لست حزينا لشيء .. ويكفينى أنى راضى الضمير .. وانى خدمت بلدى بكل جهدى لكنى فقط متألم لما جرى لمشاعر الناس فى هذا الزمان. لقد تركت الشركة بلا عداوات تقريبا .. ورغم ذلك فإنى لا اكاد أرى احدا من كبار مديريها منذ تركتها .. او بالتحديد عقب تركها بفترة وجيزة فقد حافظ البعض على مودتى فى البداية ثم بدأت الزيارات تتباعد ورنين التليفون يخفُت حتى اذا ما أتممت عاما واحدا من تركى للشركة كنت قد أصبحت نسيا منسيا بالنسبة لهم ! إنى اكتب اليك لأسالك .. هل هناك فى الدنيا صداقة فعلا .. واذا كانت موجودة فأين اصدقاء العمل الذين كانوا يُسبِّحون بحمدى ليل نهار ؟ .

● ● ●

* * ولكاتب هذه الرسالة الفريدة فى بابها أُقول : نعم يا سيدى هناك صداقة وهناك أصدقاء .. لكن ظروفك فيما يبدو قد حرمتك من أن تتعرف عليها بصدق .. فمن كانوا حولك لم يكونوا أصدقاء .. ولم يكن ما بينك وبينهم صداقة . وإنما كانوا طلاب منفعة ورفاق عمل ولعلهم الآن مشغولون بتعلم هوايات الرئيس الجديد لممارستها معه ، فاذا كان من هواة السباحة مثلا فلعلهم « يلبطون » معه كل يوم فى حمام النادى .. أما لماذا لا يرنّ التليفون عندك فلأنهم مشغولون الآن بإدارة أرقام تليفون الرئيس الجديد .. وباستقباله وتوديعه وتهنئته فى المناسبات واستحضار الأدوية له وإرسال العمال والفنيين إلى بيته ..

إننى أكاد أتصور يا سيدى أنك حسن الطوية الى حد كبير لأنك تصورت أن ما بينك وبين معظمهم هو صداقة ، ولم تكتشف أنه نفاق ، وربما اكتشفت لكنك استدرجت للاستجابة لهذا النفاق .. ثم اعتدته .. ثم إستمرأته حتى أصبحت تفتقده بعد ان غادرت هيلمانك ومنصبك ، وفى ذلك فأنى ألومك يا سيدى .. اننى اعرف ان أمواج النفاق عاتية وانه لا يستطيع ان يردُّها عنه إلا من كانت نفوسهم كبارا لا تستجيب للصغائر ، لكنى أعرف ايضا ان من طبيعة المنافقين الا يقتربوا الا ممن يستشعرون إستجابته للنفاق والتلذذ به داخليا حتى وان اظهر غير ذلك ! .

كذلك فلقد استمرأت يا سيدى الهيلمان ووقعت فى أحابيل المنافقين فإستأثرت لنفسك بثلاث سيارات .. واسترحت الى قيام ادارة العلاقات العامة عنك بكل شىء فى المكتب وفى البيت .. واستمت الى وجود السعاه والفنيين تحت امرك وتحت أمر الاسرة ، واعتدت مواكب المودعين والمستقبلين والمهنئين .. والمستفسرين على الصحة والأحوال . ولم تقاوم كل ذلك فى حينه .. وتصورت ان الحياة سوف تمضى على ما هى عليه ، وفى ذلك فإنى الومك ايضا يا سيدى ليس فقط لانك ظلمت الشركة التى كنت ترأسها بهذا الانفاق الشخصى وهذا السلوك الترفى الذى يسود بكل اسف مواقع عديدة فى بلادنا الفقيرة المثقلة بالاعباء . انما ايضا لانك ظلمت نفسك باعتياد هذه الحياة الفخمة وكان أولى بك ان تحافظ على قدر معقول من البساطة لكى لا يدير الترف رأسك ولأنك لابد تارك موقعك ذات يوم وهذه هى سنة الحياة اذ لو دام لغيرك لما وصل اليك . والمأساة ان كثيرين تُعمِى ابصارَهم مظاهر المنصب واضواؤه حتى يتصوروا أحيانا انهم مخلَّدون فيما هم فيه . ثم يفتحوا عيونهم بعد قليل على صدمة الواقع .. ومن عجب أن كثيرين منّا لا يتعلمون من تجارب الحياة ولا من دروس التاريخ .. فما يكاد بعضنا يتعجب مما فعلته الدنيا بفلان المتجبر بعد زوال هيلمانه حتى

ينساق هو نفسه الى التجبر والى تكرار نفس القصة بنفس نهاياتها المأساوية ، ثم يجلس ليبكى الوفاء فى الدنيا وانصراف الاصدقاء عنه وربما يبالغ فيتمثل بقول الشاعر متأسيا « من خانه الدهر خانته صنائعه » ! . ولا خيانة هناك فى الحقيقة اكبر من خيانة الانسان لنفسه .. ومن جهله بحقيقة الحياة وقصر نظره وإغتراره بإقبال الدنيا عليه فى بعض المراحل فيتصور فى نفسه ما ليس فيها .

إننى لا اريد إيلامك يا سيدى .. لكنى أريدك فقط ألا تعطى للمشكلة حجما اكبر من حجمها الحقيقى .. وأن تنظر الى جوانب الصورة الاخرى لترضى عما أعطتك الدنيا وأجزلت لك فيه العطاء ، فلقد بلغت أرق المناصب .. وزوجت الابناء واوجدت لهم العمل والمسكن وصحتك بخير وزوجتك بخير ولديك من المدخرات ما يكفل لك الحياة الكريمة .. فماذا تريد من الدنيا أكثر من ذلك يا سيدى ؟ تسألنى أين الاصدقاء فاقول لك : اصدقاؤك هم أصدقاء الطفولة وأصدقاء العمر القدامى الذين عرفوك بلا غرض وبلا أمل فى نفع ولا خوف من ضرر ، وهم أيضا ابناؤك وزوجاتهم وبناتك وازواجهن واقاربك الاقربين وهم كثيرون كما ترى . فماذا تريد أكثر من ذلك ؟ .

هل اقول لك فى النهاية ما قاله جمال الدين الافغانى للامام محمد عبده حين راعه نفيه من مصر ؟ لقد قال له : كن فيلسوفا يرى الدنيا ألعوبة ولا تكن صبيا هلوعا .

لقد قيل هذا لمحمد عبده « وهو من هو » كما يقولون .. فهل تغضب منى إذا ما قلته لك ؟ .

شيء من الرومانسية

في بريدي اقرأ وأرى العجب .. ارى الحياة من جانبها المؤلم .. وأرى العلاقات الانسانية فى اسوأ ظروفها .... وأرى الدنيا فى صورتها البشعة . ولقد رأيت كل ذلك وانا اقرأ هذه الرسالة المزعجة .

اعتقد ان الوقت قد حان لكي اروى لك قصتي بعد ان ترددت طويلا انني شاب مهندس خريج كلية هندسة منذ شهور . أبي يعمل بأحد البنوك فى احدى الدول العربية وحالتنا المالية جيدة جدا والحمد لله ولدى سيارة « بي . ام . دبليو » وخلال دراستي بالكلية تعرفت على زميلة بالكلية جميلة من أسرة ميسورة تركب هي الاخرى سيارة مازدا فاخرة وقد سعت الى التعرف علي والى التقرب مني لانى كما قالت لى بنص كلماتها شاب رائع من كل الوجوه .. وسيم من أسرة طيبة له شخصية محبوبة من الزملاء وتعجب به كل فتيات الكلية واستجبت لتقربها مني .. وأقبلت عليها وتعرفت على أسرتها وهي أسرة كبيرة فوالدها موظف كبير بالمعاش وإخوتها مهندسون ومحامون وإتفقنا على الزواج وعلى أن نتزوج عقب التخرج وخلال هذه الفترة كانت تصاحبني فى كل مكان فإذا جاء موعد إستلامي للشيك الشهرى الذى يرسله لى والدى من الخارج لأنفق على نفسي واخوتي منه ، إصطحبتها معي إلى تاجر العملة الذى اتعامل معه ، وهو عالم غريب بالفعل .. فتاجر العملة هذا يمارس نشاطه فى مكتب فاخر بوسط المدينة تدخل عليه بعد استئذان السكرتيرة وتجده جالسا على مكتب فخم فوقه ٤ اجهزة تليفون ملونة ، فأقدم له الدولارات فيفتح خزينة داخل « بلاكار » فى الحائط خلفه ويضع الدولارات ثم يخرج النقود ويسلمني قيمتها وتكرر ذهابنا اليه كثيرا مرة لنفسي ومرة لا بدل لها هي الاخرى دولارات تصل اليها كثيرا من شقيقتها المتزوجة والمقيمة بالخارج .

وتحولت العلاقة الى صداقة وفى كل مرة يطلب منا البقاء قليلا للتحدث معنا لانه « مرهك » من العمل .. وهذه عبارته المفضلة وينطقها بالكاف هكذا .. وهو كما عرفت قد بدأ حياته عصاميا يكاد لا يفك الخط وكان قبل ١٠ سنوات فقط يعمل مناديا للسيارات أمام احد البنوك وقد روى لنا ذات يوم وهو يقدم لنا عصير التفاح ويشعل سيجارا فاخرا قصة كفاحه .. فقال إنه حين بدأت « هوجة » السفر والدولارات بدأ يعمل سمسارا لبعض تجار العملة يصطاد لهم عملاء البنك الذين يتلقون التحويلات من الخارج ويقدمهم للتجار الذين يقفون بجوار البنك مقابل عمولة ، وكان حصيفا فلم يبدد ما كسبه من هذه العملية .. فتكونت لديه مدخرات صغيرة بدأ يتاجر بها لحسابه فى العملة .. وبعد عامين فقط من التجارة أمام البنك كان قد اصبح « غنيا » ! فاشترى غرفة بأحد مكاتب وسط المدينة واستأجر السماسرة ليجلبوا له العملاء وبعد عامين آخرين وعلى حد تعبيره « إنفتحت الحنفية » عليه يقصد حنفية الفلوس ! فتضخم نشاطه وتضخمت أرباحه وتحولت الغرفة الواحدة الى شقة كاملة .. واصبح له سكرتيرات وسعاة وسيارات وشقة فاخرة فى المهندسين .

سمعت منه قصته بدهشه وسمعتها خطيبتى بإنبهار ثم لاحظت انه بعد هذا اللقاء بدأ الخلاف ينشب بينى وبينها .. وبدأت فترات الشقاق تطول ولم يطل بنا الوقت حتى كانت خطبتنا قد فسخت قد لا ترى فى ذلك شيئا غير عادى فكم من خطوبات تفسخ كل يوم لكنك ستدهش حين تعرف ماذا حدث بعد ذلك فعند وصول الشيك التالى من الخارج ذهبت الى مكتب تاجر العملة لأصرفه وحيدا هذه المرة ففوجئت بخطيبتى السابقة المهندسة خريجة « الميرى ديه » تجلس على مكتب السكرتيرة ! صدمت .. لكنها كانت واقعية أكثر منى فرحبت بى بتحفظ كأنى مجرد زبون ثم اخبرت « البيه » بوصولى وأشارت الى لأدخل بيد مغطاة بخواتم السوليتير . دخلت فرحب

بى الرجل بواقعية اشد وانهى المهمة سريعا ثم قال لى .. إلى اعطيك سعرا خاصا اكراما لك لأنك صاحب فضل فقد عرفتنى بالمدام ! اى مدام ؟ لقد ظننت أنها تعمل معه فقط .. فإذا بها .. المهندسة التى تجيد الفرنسية والانجليزية .. بنت الاسرة الكبيرة قد تزوجت من هذا الرجل وتم الزواج خلال شهر واحد من فسخ خطبتنا!أما الزوج غريمى الذى سرق فتاة أحلامى وتركتنى من أجله فهو فى الخامسة والخمسين وله ٥ ابناء أكبرهم فى سن خطيبتى السابقة .. وهو دميم كالقرد والله العظيم وبلا مبالغة .. وملابسه مبهدلة .. رغم انها غالية ولا يعرف كيف يتكلم لمدة ٣ دقائق بغير ان يغلط ويتفوه بألفاظ سوقية مقززة . هذا هو الزوج الذى فضلته علىّ خطيبتى السابقة وقد تم الزواج وكانت هديته سيارة مرسيدس وخواتم سوليتير « متعدش » وشقة فيللا فى أحدث عمارة فى القاهرة كتبت باسمها .. اننى لست حزينا عليها فانا فى بداية حياتى واستطيع ان اجد من ترغبنى كزوج وتفضلنى على غيرى . لكننى اتساءل وأريد منك جوابا يريحنى .. ماذا جرى للدنيا ؟ قد تقول انها محتاجة أو أن وراءها ظروفا قاسية دفعتها للتضحية بنفسها لإنقاذ اسرتها او علاج ابيها المريض الخ كما نرى فى الافلام .. لكنى أطمئنك أن كل ذلك غير صحيح .. فهل عندك تفسير لهذا اللغز ؟ .

● ● ●

* ولكاتب هذه الرسالة اقول :

انه ليس لغزا يا صديقى .. لكنه تدرج منطقى للأحداث يتفق تماما مع شخصية خطيبتك السابقة فهى ببساطة شديدة فتاة إنتهازية سعت اليك فى البداية لأنها رأت فيك زوجا مناسبا مقبول الشكل متيسرا تركب سيارة فاخرة وتستطيع أن توفر لها شقة الزواج واحتياجاته لكنها حين تعرفت على « القرد » رأته اكثر ملاءمة لها وأسرع وصولا بها الى الثراء .. فتخلت عنك ببساطة وذهبت اليه . فهى باحثة عن الحياة اللذيذة الزاهية الالوان لا عن

الحياة السهلة العادية التي ستوفرها لها . ولا دخل للمشاعر العاطفية فيما فعلت معك او معه . وآسف لان اقول لك ذلك ففى صدر فتاتك هذه آلة حاسبة لا قلباً ينبض بالمشاعر .. وقد حسبت حسابها ووجدته رابحاً أكثر معه فتزوجته . والمؤسف ان كثيرات ممن يتعاملن مع الحياة بهذا المنطق التجارى هن غالبا فى حكم القادرات ، ولسن من غير القادرات . كما قد يتصور البعض وكما تحكى الأفلام وصدقنى أننى كنت على إستعداد لتقدير ظروفها لا للإقتناع بها لو كانت قد تزوجته بحسابات عاطفية مهما كانت مستغربة او لو كانت تزوجته ليأسها من إمكان عثورك على شقة للزواج كما تفعل بعض الفتيات الآن اللاتى يفضلن - مضطرات وفى عصر تراجع الرومانسية امام صعوبة الحياة - الزوج الجاهز مهما كانت سنه ومهما كان عمله ومهما كانت ظروفه الاجتماعية والثقافية .

ان الجريمة فى قصتها ليست فقط فى أنها تركت شابا رائعا مثلك لتتزوج من « بلاكار » نقود ، لكن الجريمة فى أنها قبلت زوجا كهلا متزوجا وله أبناء كبار وزوجا شبه أمّى سوقيا لا يقنع أية فتاة سوية مع ظروفه كزوج وأب الا فتاتك الانتهازية هذه . وأنا أصدقك فى أنك غير حزين عليها فمثل هذه الفتاة لا يحزن الانسان لفقدها وانما يسعد ويشكر ربه أن أنقذه منها وفضح شخصيتها الحقيقية قبل أن يرتبط بها ، فليس مما يسعد الانسان بكل تأكيد أن يتزوج من ماكينة حاسبة لامكان للمشاعر والعواطف والرومانسية فى حياتها .. وهى سوف تدفع ثمن انتهازيتها اقرب مما تتصور فالثروة التى اغرتها هى فى النهاية ثروة طفيلية وستقرأ اسم زوجها وإسمها هى أيضا قريبا جدا فى أخبار المدعى الاشتراكى والحراسات وساعتها سوف تتطاير الثروة وسوف تتخلى عنه بأسرع من البرق .. والحمد لله ان مثيلاتها من « دعاة الواقعية الجديدة » لسن كثيرات فقط وعلينا أن ندعو الله كل يوم الا تغيب القيم والفضائل والرومانسية عن حياتنا فلولاها لَمَا قبلت فتاة الزواج من

خريج جديد لتكافح معه .. ولولاها ولولا الطبيعة السوية لفتياتنا لانطلقن يبحثن عن « قرود » هذا الزمان القبيح الذى تنهزم فيه احلام الشباب أمام « الباكو » « والارنب » وخواتم السوليتير .

شيء اخير لقد قلت لى فى رسالتك هذه انها من عائلة كبيرة وان أباها موظف كبير على المعاش وإخوتها محامون ومهندسون فأين هى هذه العائلة الكبيرة ؟ .. واين الاب واين الاخوة المهندسون والمحامون الذين وافقوا على زواجها من هذا اللص المتزوج ؟ أى عائلة كبيرة هذه ؟ ..

نهاية القصـــة

اكتب اليك للمرة الثانية وبعد عامين من رسالتى الاولى اليك والتى نشرتها فى بريدك بعنوان « شيء من الرومانسية » وقبل ان تجهد نفسك لتتذكرنى سأحاول ان اذكرك بنفسى اننى يا سيدى المهندس الشاب الذى يعيش مع شقيقيه فى القاهرة ويعيش والده فى احدى الدول العربية حيث يشغل منصبا كبيرا فى احد البنوك ويتقاضى مرتبا ضخما ، ولقد رويت لك فى رسالتى الاولى قصتى حين تعرفت خلال عامى الاخير فى الجامعة بفتاة طموح كانت زميلتى بالهندسة ومن اسرة كبيرة وأنها تملك سيارة مازدا وانها صارحتنى بانها اعجبت بى وانها رأت فىّ شابا لائقا بها . فتصادقنا وتبادلنا المشاعر وقدمتنى لاسرتها . وقدمتها لشقيقى وشقيقتى فى انتظار عودة ابى وامى فى الاجازة لاتمام الخطبة وعقد القران خاصة وان ظروفى المالية حسنة واستطيع توفير الشقة ولدى سيارة خاصة وقلت لك انى كنت قد اعتدت طوال السنوات الماضية ان أتلقى من ابى شيكا بمبلغ شهرى بالدولارات أصرفها من البنك لاتولى الانفاق على نفسى وشقيقى وشقيقتى واننى اذهب اول كل شهر الى احد تجار العملة الذى يتخذ لنفسه مكتبا فاخرا فى وسط المدينة فأحول الدولارات الى جنيهات مصرية واننى كنت اصطحب خطيبتى معى كل مرة اذهب اليه حتى دعانا التاجر مرة للجلوس معه لبعض الوقت وحكى لنا قصة حياته وكيف أنه بدأ مناديا للسيارات امام احد البنوك .. ثم تاجر فى العملة مع رواد البنك ثم راجت تجارته واصبح ثريا ومليونيرا خلال اعوام قليلة واصبح يمتلك سيارة مرسيدس ويسكن فى ارق الاحياء ويرتدى خاتما كبيرا من الماس .. وتتدلى من رقبته سلسلة بها قطعة من الذهب فى حجم البرتقالة . وقلت لك انى لاحظت بعد هذه الزيارة بالذات ان العلاقة بينى وبين خطيبتى قد فترت وان المشاكل كثرت بيننا حتى فاجأتنى

ذات يوم بطلب فسخ الخطوبة ونسيان كل شيء لاننا لا نصلح لبعضنا ، وانقطعت عن رؤيتي وتجرعت الالم وحاولت نسيانها ثم جاء موعد صرف الشيك التالى فذهبت الى مكتب تاجر العملة ففوجئت بوجود خطيبتى السابقة تجلس على مكتب السكرتيرة فى الصالة . فاستقبلتنى بنظرات محايدة كأنها لا تعرفنى وبهدوء قاتل رفعت سماعة التليفون الاحمر المسخسخ على مكتبها وأبلغت صاحب المكتب بوجودى ثم أشارت لباب مكتبه وقالت لى تفضل ، فدخلت مندهشا من أنها وهى المهندسة التى على وشك التخرج قررت العمل فى هذا المكتب وهى غير محتاجة للعمل خلال الدراسة ، ثم تكشفت لى الحقيقة المذهلة بعد لحظات على لسان التاجر نفسه الذى قابلنى بالترحيب الحار والابتسام وأعلننى انه سيعطينى سعرا خاصا هذه المرة لان لى إعزازا خاصا لديه اذ اننى كنت سبب تعرفه « بالمدام » ! .. اى بخطيبتى السابقة ! . ولحظتها أفقت على الحقيقة .. وعرفت سر الأساور والخواتم الماسية التى رأيتها ترتديها .. وأيضا سر الماكياج الثقيل الذى تضعه على وجهها والذى يكسبها سحنة غريبة .. واكتشفت انه قد تزوجها واسكنها فى شقة فاخرة والحقها بمكتبه وكل ذلك فى اقل من شهر واحد .

اعتقد انك الان قد تذكرت كل شيء .. وتذكرت انى كتبت لك شاكيا خطيبتى التى فضلت علىّ تاجر عملة شبه امى وفوق الاربعين ومتزوجا وله ابناء كبار وشكله « كالقرد » لان سيارته مرسيدس ، وملايينه عديدة « وشبكته » من الماس ولابد انك تذكر أنك نصحتنى بنسيانها الى الابد لانها انتهازية اختارتنى من بين زملائى بسبب بعض مظاهر الثراء التى توسمتها فى فلما اتاحت لها الظروف زيجة اكثر ثراء تركتنى بلا قلب لتتزوج من ملايين رجل امى مشبوه .. بلا عاطفة ولقد عملت بنصيحتك يا سيدى وحاولت نسيانها ونسيتها بالفعل بعد فترة من العذاب أحسست خلالها بأنى لا شيء . وكرهت خلالها الدنيا وغدر البشر وفقدت الثقة فى الوفاء .. لكنى لا اكتب

لك هذه الرسالة لاقول لك انى نسيتها وعدت الى حياتى الطبيعية .. وانما اكتب لك لاروى لك الفصل الثانى من قصة خطيبتى السابقة لعل فيها عبرة لمن يعتبر .. لقد امضيت شهورا سوداء عقب إكتشافى زواجها من تاجر العملة . وواجهت حرجا شديدا تجاه أبى وأمى اللذين باركا خطبتى فى رسائلهما . واشتريا لى الشبكة من مقر اقامتها وراحا يرتبان لعقد القرآن فى الصيف وترددت فيما يجب ان اقوله لهما . لكنى رأيت بعد تفكير ان الصدق هو الحل الوحيد فصارحت شقيقى وشقيقتى بحقيقة ما حدث وتركت لهما إبلاغ أبى وامى . وانصرفت لعملى .. واجتهدت الا اراها والا اذهب للكلية لكيلا نلتقى .. وغيرت تاجر العملة الذى اتعامل معه بالطبع . ومع ذلك فلقد رأيتها ذات يوم على كوبرى الجامعة إذ كنت عائدا الى بيتى .. فوقفت سيارتى خلال زحام المرور الى جوار سيارتها المرسيدس الجديدة التى يقودها سائق خاص وهى تجلس فى الخلف وحيدة رافعة الرأس كانها ملكة ! تنظر حولها بكبرياء وتأفف من زحام الطريق . فالتقت عينانا .. فتوقعت ان تخفض عينيها خجلا منى . فإذا بها تنظر إلى بثبات وبلا أدنى إحساس بالخجل ثم تهز رأسها بتحية عابرة وتنطلق بالسيارة فى طريقها الجديد ! .

وكم أتعسنى هذا اللقاء ، لا لشىء إلا لهذا البرود المتحجر ولأنها لا تشعر تجاهى بأى إحساس بالذنب بعد أن جرحتنى جرحا غائرا وشككتنى فى نفسى وفى كل شىء .

أصبح لا يربطنى بها شىء سوى ما أسمعه بين حين واخر من زملاء الكلية القدامى عنها وعنه ، ومنه أن زوجها قد توسع فى أعماله وانه أصبح يمارس الى جانب تجارة العملة تجارة العمارات لكى يخفى نشاطه الاساسى فى تجارة العملة ولكى يزيد من ارباحه وليبنى لزوجته الجديدة شقة فاخرة على مساحة ٤ شقق ، وأنه عين والدها المدير العام السابق موظفا عنده بمرتب ضخم ارضاء لعيون المدام . وعجبت كيف قبل المدير السابق أن يعمل تحت امرة

رجل لا يفك الخط .. فضلا عن أن يصاهره ؟ ... وهو كما عرفت من اسرة كبيرة وابناؤه مهندسون ومحاسبون الخ ..

ومع إحساسى بالمرارة . فلقد واصلت حياتى الى أن دارت الايام دورتها وإذ بى ذات صباح أقرأ فى الصحف خبر القبض على زوج حبيبتى الخائنة ، تماما كما تنبأت انت فى ردك على رسالتى الاولى ثم توالت الاخبار كالمطارق فوق الرؤوس .. فتبين انه قد حصل على مقدمات إيجار بالملايين من السكان وتوقف عن إستكمال بناء اكثر من عمارة كان يقوم ببنائها فى وقت واحد منها العمارة التى كان يعد لها فيها عش الاحلام ثم جاءت هوجة مخالفات مواصفات المبانى وقرارات إيقاف البناء فهجم المستأجرون عليه لاسترداد مبالغهم التى دفعوها فى وقت واحد .. فعجز عن الدفع فتقدموا بالبلاغات ضده فأمرت النيابة بالقبض عليه فاذا بالمدعى الاشتراكى يتحفظ على كل امواله ليحاول انقاذ ما يمكن انقاذه من حقوق المستأجرين ..

وسمعت ما هو أغرب من ذلك .. فعرفت انها كانت صاحبة المشورة « الثمينة » له بأن يدخل عالم بناء العمارات لتصبح مهندسة ومالكة عمارات بدلا من زوجة تاجر عملة . وأقنعته بان المطلوب هو فقط شراء قطعة ارض ووضع لافتة عليها بإسمه . وبعدها سوف تنهال عليه الملايين من راغبى الاستئجار ففعل ذلك فعلا .. وإنهالت عليه مقدمات الايجار حتى جاء عليه وقت كان يستعين فيه بـ ٣ موظفين لعد النقود التى يتسلمها من المستأجرين وبدلا من ان يبنى عمارة واحدة كما كانت الفكرة فى البداية قرر أن يبنى اكثر من عمارة فعجزت إمكاناته عن استكمالها .. وتدهور الى الهاوية مع تطورات الاحداث المفاجئة . ربما تقول لى وما شأنك بكل ذلك .. وقد خرجت من حياتك فاقول لك .ان خطيبتى السابقة .. بحاستها المرهفة قد احست بقدوم الزلزال قبل وقوعه بلحظات .. فاقنعت زوجها – ولا اعرف حتى الان كيف نجحت فى ذلك – بان يطلقها بصفة مؤقتة لكى لا يشملها

أى قرار بالتحفظ على أمواله وأموال اسرته .. لكى تستطيع ان تسانده خلال مرحلة القضايا والمحاكم بما تنجو به من ثروته .. وبالفعل طلقها قبل فرض التحفظ على امواله بفترة قصيرة ، فنجت بالسيارة المرسيدس وبمجوهرات ومدخرات كبيرة .. فى حين خرجت الزوجة الاولى من المولد بلا حمص !.

وبالفعل وقفت بجواره فى البداية وقامت بالاتصال بالمحامين للدفاع عنه. لكنها بعد أن تأزمت الامور تماما عادت الى دراستها . ودخلت امتحان السنة النهائية ونجحت . ولا اعرف ايضا كيف ؟ ثم بعد عدة شهور فوجئت بها أمام مكتبى فى الشركة التى اعمل بها تدعونى للخروج معها للحديث فى امر هام . فلم ارفض . وخرجت معها فروت لى ما حدث بلا اية محاولة للاعتذار ، وبلا أى احساس بالذنب مفسرة ما حدث بانه كان تجربة وانتهت . ثم سألتنى فجأة سؤالا غريبا .. انت لم تتزوج بعد ، ولم ترتبط بفتاة أخرى .. فلماذا لا نستكمل المشوار الذى بدأناه معا ثم اعترضته هذه التجربة ، وكأن ما حدث لم يحدث ؟ .. أنت شاب ظروفك حسنة .. وأنا ظروفى حسنة وكلانا عرف الاخر وفكر فى الارتباط به .. فلماذا لا نحقق الارتباط الذى أردناه ذات يوم وكأن شيئا لم يحدث .

سمعت كلامها .. والدنيا تدور بى .. ولم استطع أن أصدمها ولم استطع ان أقول لها اننى فقدت حبى لها منذ زمن بل انى الان وبصراحة يا سيدى احس بالشماتة فيها ولا اشعر بأى ثقة فيها ، فكيف أتزوجها واعيش حياتى معها ؟ لقد طلبت منها مهلة لأفكر وكتبت اليك لأسالك رأيك . وأريد ان اعرف رأيك بصراحة فماذا تقول لى ؟ .

● ● ●

* ولكاتب هذه الرسالة اقول :

إننى ايضا – وليغفر لى الله هذا الإحساس الشائن – اشعر معك بالشماتة

فيها ! فلقد تذكرت رسالتك الاولى . وتذكرت كيف أثار تصرف هذه الفتاة معك حنقى لما آل اليه حال البعض فى مجتمعنا ممن وضعوا داخل صدورهم آلات حاسبة فى مكان القلوب وأصبحوا يقيسون كل شيء حتى العواطف بمقياس النقود والمرسيدس وخواتم السولتير بلا اى معيار آخر . حتى لتقبل هذه المهندسة سليلة الاسرة « الكبيرة » أن تتزوج بقرد أمِّى صاحب ثروة مشبوهة متزوج وله أبناء كبار من اجل مزيد من المال ومن أجل شقة على مساحة ٤ شقق بدلا من شقة متوسطة المساحة معك .. لقد قلت لك فى ردى الاول انها فتاة انتهازية .. وان فقد مثل هذه الفتاة نعمة لا نقمة كما قد تتصور وأنك حسن الحظ أنها قد كشفت عن معدنها قبل أن ترتبط بها إرتباطا نهائيا . وتوقعت لها ان تقرأ اخبارها وأخبار زوجها فى اخبار الحراسات والمدعى الاشتراكى . ولم أتوقع ان يصدق التوقع خلال هذه الفترة القصيرة ! لكن ما بنى على خطأ فهو خاطىء .. وليت هذه القاعدة تصدق مع الجميع دائما . اذن لإنصلحت الاحوال ولما فقدت القيم معناها ، ولما إنهزم شاب مثلك امام لص مشبوه كهذا اللص ، ولما احس الشباب بالعجز والاحباط والهزيمة الشخصية أمام قرود هذا الزمان الردىء . تسألنى عن رأيى فاقول لك .. ابتعد عن هذه الفتاة يا صديقى فلا حياة لك معها ولا امان ولا مستقبل ، لا لانها اخطأت هذا الخطأ الانتهازى فقط ، وانما لانها لا تشعر فى قرارة نفسها بانها قد اخطأت فى حقك او فى حق نفسها و لا يساورها تجاهك اى احساس بالذنب .

وهذه هى الكارثة . فلو انها عادت اليك باكية . نادمة قائلة انها قد اكتشفت ان المال وحده لا يحقق السعادة ، وانها اخطأت . وعرفت انها قد ضلت الطريق وعادت اليك لأنها تحبك وترغب فى أن ترتبط بك للابد ، وانها لن تغضب حتى لو إحتقرتها لانها تستحق الاحتقار فعلا ، لكنها تحبك

وتريد الزواج بك ، لو قالت لك شيئا من ذلك واستشعرت صدقها لربما ترددت وفكرت فى ان انصحك بالصفح عنها والارتباط بها ..

لكنها يا صديقى مازالت تتحدث معك بنفس المنطق الحسابى البارد الذى تصرفت على أساسه فى حياتها ولا ترى فيما فعلت أى خطأ .. وهذا يعنى ان الآلة الحاسبة مازالت بين ضلوعها .. وأنها لم تتعلم شيئا من التجربة التى مرت بها ، ويعنى أيضا أنها فتاة اعتادت أن تنال ما تريد بغض النظر عن مشاعر الاخرين وإرادتهم ، وانها تريد أن تجمع كل شيء بين يديها بلا اية خسائر من جانبها ، فتحصل على المال من القرد إياه .. وتحصل على الشباب والوسامة والعائلة الكريمة منك .. وحتى اشعار اخر . اى حتى تظهر لها فرصة أفضل سواء قبل الارتباط معك .. او بعده ، وهذه كلها أشياء مخيفة .. وفتاتك هذه فتاة جبارة ولا يؤمن لها جانب .. فهل تريد ان تتزوج من « دراكيولا» مصاصة للدماء بلا أى عاطفة .. ولا إحساس بالذنب ؟ .




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

مجلس العائلة

أشعر بشيء من الخجل وأنا أكتب لك هذه الرسالة .. لأنني سأحكى لك عن مشكلة قد يراها كثيرون مشكلة تافهة لا تستحق الكتابة لكنها بالنسبة لنا ولأمثالنا مشكلة تزيد من مرارة الدنيا .. فأنا يا سيدى سيدة توفى عنى زوجى رحمه الله منذ ٣ سنوات وكان موظفا طيبا صغيراً ، وقد رحل تاركا وراءه أربعة أبناء وتاركا لنا معاشا قدره خمسة وأربعون جنيها هى كل موردنا والحمد لله ، فرتبت حياتنا على العيش بهذا المبلغ . وتعاون معى أبنائى فتخلوا عن كثير من مطالبهم التى اعتادوها فى حياة الأب .. ورضوا بكل شيء ورضيت أنا بما قدر الله لنا وشكرته على هذه النعمة وأكبرها فى نظرى نعمة صلاح الأولاد وطيبتهم وهم جميعا بالمدارس وبعد وفاة الأب بدأت اشركهم معى فى كل أمور حياتنا فإذا عرضت لنا مشكلة دعوت الأولاد وتشاورت معهم .. واحاول دائما ان اجعلهم يقترحون الحل .. فاذا وافقنا عليه ، فان تنفيذه يصبح مسئولية مشتركة بيننا ، ولاحظت انهم يتحملون مسئوليتهم بإمانة ورجولة رغم انهم جميعا تلاميذ بالمدارس الابتدائية والاعدادية . واصل بعد ذلك الى المشكلة التى قد يراها البعض مشكلة تافهة ، فقد كان من بين ما تركه لنا زوجى جهاز تليفزيون أبيض وأسود أصبح بعد رحيله هو وسيلة الترفيه الوحيدة فى حياتنا ، ورغم متاعب الحياة فقد كنا ننعم كل ليلة بجلسة هادئة أمام التليفزيون بعد أن يذاكر الأولاد دروسهم ثم نذهب لنومنا راضين . لكنه حدث أن تعطل هذا الجهاز ثالث أيام عيد الفطر الماضى أعاده الله على الجميع بكل خير . فسدت نافذتنا الوحيدة على الدنيا وتوقفت متعتنا الوحيدة .

وكالعادة عقدت مجلس العائلة لحل المشكلة .. وتكلمنا وخرجنا بقرار

بتوفير مبلغ جنيه واحد كل شهر لإصلاح التليفزيون مهما كانت الصعوبات لأن التليفزيون هو وسيلة الترويح الوحيدة فى حياتنا . وكان الأولاد والحمد لله متعاونين معى ، فنجحنا فى توفير ١٢ جنيها على مدى سنة كاملة .. وبعد أن تجمع لدينا هذا المبلغ الكبير حثّنى الأولاد على إصلاح التليفزيون قبل شهر رمضان لكى نتفرج على برامجه فى ليالى رمضان وأثناء الصيام فخرجت للذهاب إلى مراكز إصلاح التليفزيون القريبة من مسكنى ، فكنت أقابل فى البداية بالترحيب الشديد ثم عندما يعرفون أن التليفزيون أبيض وأسود يتحول الترحيب إلى سخرية لماذا ؟ قالوا لى إن التليفزيون الأبيض والأسود لم يعد أحد يستعمله .. ولم يعد هناك أحد يصلحه . لماذا ؟ قالوا لى إنه لم يعد له قطع غيار .. ولم يعد هناك أحد مستعد لتضييع وقته فى إصلاح جهاز رخيص وثمن اصلاحه رخيص فالجميع يعملون فى اصلاح التليفزيون الملون .. لأن قطع غياره متوافرة وأجر اصلاحه كبير . فخرجت من مركز إلى مركز وأنا اسمع نفس الإجابة وأقابل بنفس النظرات .. وعدت من جولتى مكسوفة ... وحزينة الى أولادى . وعندما سألونى ماذا صنعت يا أمى أفلت لسانى بما يدور فى باطنى وكنت أحب ألا يفلت لسانى لكى لا أزيد غمَّهم فقلت لهم ساهمة وكأننى اكلم نفسى : اكتشفت اننا لسنا « عايشين » فى الدنيا . ورغما عنى يا سيدى حكيت لهم ما حدث . وحاولت أن أخفف عنهم بأنّى سأركب الأتوبيس الى أحياء أخرى للبحث عمَّن يصلحه . فكان ردُّهم على بلسما خفف من الآمى .. فقالوا ولا يهمك .. المهم إن احنا مع بعض .. وكويسين .

وأخيرا فكرت فى أن أكتب اليك ، فرغم .. ضيق مواردنا فإنى أحرص وهذه عادة من أيام زمان « السعيدة » على قراءة الاهرام وبعد وفاة زوجى ونقص الدخل قررت الاستمرار فيها لأنى وجدت فيها راحة نفسية لى كما وجدت فيها زيادة معرفة وتنمية لحب الاطلاع عند الأولاد .. وفعلا نحن

نتبادل قراءة الجريدة واحدا بعد الآخر وقد فكرت أن أكتب لك لعلك تستطيع أن تعاوننى فى ايجاد أحد الفنيين الرحماء الذى يقبل أن يصلح جهاز تليفزيونى قبل شهر رمضان ، ولعله إذا عرف انى مريضة بتضخم الكبد وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين يقدر مدى حاجتى إلى ما يروح عنى خلال أيام الصيام الطويلة بشرط أن تكون العملية كلها فى حدود ١٢ جنيها ، وأشكرك كثيرا والسلام عليكم ورحمة الله .

● ● ●

** ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

يا سيدتى ضَعُفَ الطالب والمطلوب . لقد حُلَّت مشكلتك بأمر الله قبل أن أنتهى من قراءة رسالتك ، فقد كنت مشغولا بقراءة الرسالة حين جاءنى زائر كريم يطلب منى أسماء وعناوين بعض من يستحقون معاونته ، فمددت يدى إليه برسالتك ولم أزد . فحُلَّت المشكلة بإذن ربِّك فى لحظة ولو لم يسارع هذا الزائر الكريم بحلِّها لتولى بريد الاهرام الأمر لكنه شاء أن « يستأثر » كما قال لى بإسعاد هذه الاسرة المكافحة : فلا تقلقى فسوف ترين برامج رمضان « ملوَّنة » بإذن الله ، لكن هذا ليس المهم .. وإنما المهم هو، أنت واسرتك الرائعة هذه .

أتعرفين يا سيدتى إنك ربة أسرة متحضرة متنورة تعد نموذجا يحتذيه الآخرون ؟ أتعرفين أنك تطبقين فى إدارتك لهذه الاسرة المكافحة الشريفة أحدث نظريات التربية وأرقاها ؟ ربما تكونين لم تقرئى كتابا فى علم التربية ، لكنك رغم ذلك وبحسٍّ حضارى فطرى مُستمد غالبا من قَيمك الدينية الراسخة ومن تنورك وحرصك على القراءة رغم نقص الإمكانيات ، تقومين بتربية أبنائك تربية سليمة صحيحة ، سوف تثمر رجالا نافعين وأشخاصا أسوياء على خلق كريم بإذن الله فأنت بحرصك على تشجيع أبنائك على إبداء

الرأى رغم صغر سنهم فى شئون الأسرة .. واقتراح الحلول وإشراكهم فى القراءة تغرسين فيهم القدرة على التفكير والميل للمشاركة .. والرغبة فى تحمل المسئولية .. لذلك يسارعون جميعا الى تنفيذ ما اتفقتم عليه حتى ولو جاء على حساب مطالبهم الضرورية . وهذا هو جوهر الشورى والمشاركة والمسئولية .

أتعرفين أيضا إنك بتشجيعك لأبنائك على القراءة رغم صعوبات الحياة تغرسين فيهم بذور حب المعرفة والاطلاع .. وفهم الواقع والحياة .. أو ليس هذا هو مقياس الرقى فى أى مجتمع ؟ .

إنك يا سيدتى تمارسين سلوكا متحضرا فى حياتك وإدارة أسرتك ولابد أن تثمر مثل هذه التربية السليمة أسرة يحب أفرادها بعضهم بعضا ويتعاونون على تحمل مسئوليتهم فى الحياة برجولة وشرف وسلوكك هذا لا يرقى اليه بكل أسف كثيرون ممن يملكون المال ويقتنون منتجات الحضارة الحديثة .. لكنهم بسوقيتهم وجهلهم وظلام عقولهم أجلاف متأخرون ويؤخرون الحياة من حولهم .. ويزيدون من صعوبتها على غيرهم بسلوكياتهم المؤسفة .

تسألينني بعد ذلك ولماذا أنشر رسالتك إذا كانت مشكلتك قد حُلَّت قبل النشر . فأقول لك أنشرها لان اسرتك يا سيدتى نموذج رائع لكفاح أسرة مصرية متحضرة ومثقفة يظللها الحب والتعاطف والصفاء رغم التقشف والإملاق .

وأنشرها ليعرف من تقولين أنهم لا يعرفون عن حياتنا شيئا .. كيف « تجاهد » أسرة مصرية لاصلاح تليفزيون قديم .. حتى لتعقد « مجلس العائلة » ثم تطرح المشكلة على بساط البحث ثم تتخذ قراراً بادخار جنيه واحد فقط لا غير كل شهر . وتنفذ قرارها بشجاعة وتحمل للمسئولية على حساب الضروريات من مطالب الحياة ، فتنجح بعد كفاح مجيد لمدة سنة طلعت فيها الشمس وغابت ٣٦٥ مرة فى توفير ١٢ جنيها مصريا ، وبعد

أن يتجمع لديها هذا المبلغ الكبير تخرج الام إلى مراكز إصلاح التليفزيون فتكتشف أن جهازها لم يعد قابلا للاصلاح . وأن العصر قد تخطاه منذ زمن بعيد ؟ اليست هذه قصة دارمية مكتملة العناصر ؟ .

إننى أؤكد لك إنه لو قدَّم مؤلف درامى قصتك هذه فى تمثيلية تليفزيونية لاتهمناه بالمبالغة والميلودرامية والرغبة فى إستدرار الدموع .. لكنها الحياة يا سيدتى أعظم المؤلفين وأكثرهم ميلودرامية ولكنه أيضا واقعنا الأليم الذى نشقى « بالحلم » فى تغييره ذات يوم .

ثم أخيرا أنشرها ليرى فيها المتبرمون بلا سبب وهواة الشكوى والأنين ، والمعذبون بتطلعاتهم إلى ما فى أيدى غيرهم وهم يملكون الكثير .. صورة واقعية لحياة لا يسمح لهم أنينهم المستمر بالاطلاع عليها . وليرضى المنَعَّمون بما نعموا .. ففى تجارب الآخرين نبع لا ينضب من العبرة لكل ذى قلب حكيم .



الخيط الرفيع

هذه رسالة « عاجلة » تلقيتها من فتاة فى محنة .. سأعرضها بلا مقدمات اللهم الا ان اقول اننى اجد نفسى مدفوعا بقلبى واحساسى الى تصديق ما ترويه هذه الفتاة رغم غرابته ورغم مخالفته للعقل . فكثيرا ما تصدقنا أحاسيسنا فيما يرفض العقل ان يصدقه . تقول كلمات الرسالة :

« لا اكتب اليك هذه الرسالة طالبة وظيفة .. ولا طالبة « عريسا » كما تفعل بعض القارئات ، لكنى اكتب اليك طالبة نجدة عاجلة .. وارجو ألا تخذلنى فأنا يا سيدى أعيش فى محنة لا تغمض جفونى خلالها الا ساعات قليلة .. واذا نمت كان نومى قلقا مضطربا أصحو منه عدة مرات فزعة خائفة . اننى اعرف انك قد لا تصدق ما سأقوله لك ، لكنى أقسم بالله وبرسله وكتبه ان ما اقوله صحيح وأترك الامر لضميرك . اننى فتاة عمرى ٢١ سنة ، لست طالبة جامعية ولا خريجة إحدى الكليات فكل ما حصلت عليه من العلم هو الحصول على الشهادة الاعدادية ثم منعنى أبى من مواصلة التعليم وأجلسنى فى البيت خوفا على من الفتنة . وابى موظف مرموق يتقاضى مرتبا كبيرا يصل الى ٤٠٠ جنيه كل شهر وأعيش مع أبى وحدنا فى شقة مكونة من ٥ حجرات ، وقد تتصور مع هذه الظروف أننا نعيش حياة مترفة او على الاقل حياة معقولة ، لكن الواقع الذى يعرفه من يعيشون حولنا ويلمسون حياتنا هو غير ذلك ، فليس فى شقتنا هذه سوى أثاث بسيط جدا مكون من « كنبة » وحصائر « تفرش على الأرض . ونحن نعيش فى تقشف تام وليس لدينا تليفزيون ولا بوتاجاز ، وأنا اطهو الطعام على موقد جاز قديم وان كان معظم طعامنا مما لا يحتاج إلى طهو اصلا وكل مرتب ابى بعد دفعه الايجار يذهب الى شراء الكتب الدينية والإحسان الى الفقراء والتبرع

للجمعيات الخيرية ، وأحاديثنا كلها عن الدين ولا اعرف الا القليل عن الحياة خارج شقتنا ، وليس لى صديقة واحدة يسمح لها أبى بزيارتى .

وليست المشكلة فى كل ذلك ، فلقد كنت راضية بحياتى هذه والحمد لله عليها واشكره على نعمته التى انعم بها على مما قد يتمناه الاخرون كالمسكن الواسع والاب الحنون وراحة البال ، لكن حدث بعد ذلك ما قلب حياتى جحيما وأفقدنى كل ما كنت أحس به من سكينة وإطمئنان ، فقد حدث ذات ليلة أن هبَّ أبى من نومه مفزوعا ونادى على لأحضر له كوبا من الماء فذهبت اليه بكوب الماء فإذا به مستغرق فى البكاء سألته مابك يا أبى .. فلم يجب فبكيت لبكائه وواسيته قدر إستطاعتى لكنه ظل يبكى طوال الليل الى أن اشرقت الأرض بنور ربِّها ، وفى اليوم التالى لم يذهب ابى إلى عمله وأرسل باجازة عارضة مع احد جيراننا ، وبقى فى البيت لمدة أسبوع لا يذهب الى العمل ، وهو حزين .. يكفكف دموعه بين حين وآخر او يمضى الساعات واجما ساهما حزينا .

وكلما سألته عن أسباب حزنه يسكت عن الاجابة أو تدمع عيناه ولا يتكلم ، وبعد اسبوع على هذه الحال جاءنى فى غرفتى وصارحنى بما يعذبه فكان مفاجأة أليمة لى .. إذ قال لى أبى انه حين صحا من نومه فَزِعاً كان قد رأى فى المنام رؤيا سمع خلالها هاتفا يأمره بذبحى .. ظننته فى البداية يحكى لى هذه الرؤيا متعجباً منها لكنى رأيت منه إصرارا نهائيا على فعل ذلك .. ورأيته يتعذب بين عاطفته نحوى كأب رحيم وبين هذا الإصرار على تنفيذ ما امره به الهاتف فكدت أسقط مغشية على ثم توسلت إليه الا ينفذ ما رآه .. فيبكى ويتركنى .. لكنى أتعذب كل يوم وأحس به يتعذب أكثر منى . اننى أراه بين حين وآخر يمسك بسكِّين فى يده ويتأملها طويلا ثم تنهمر دموعه ، فيدب الخوف فى قلبى وأبكى لعل دموعى تقنعه بعدم تنفيذ ما يريد .. كأننى اقول له بدموعى لا يا أبى .. لا تقدم على ما يدور فى ذهنك .. وحياتى

منذ هذا اليوم جحيم .. وكلما إستعدت بعض إطمئنانى إنخلع قلبى مرة أخرى بمشهد مماثل . وصدقنى لقد حاولت أن أهرب بعيدا عن أبى لكنى تراجعت إشفاقا عليه لانى اخاف عليه واخاف على سمعته ، وفكرت فى أن اتصل بالشرطة لكنى تراجعت ايضا إشفاقا عليه .. فهل من المعقول ان أبلغ عن ابى ؟ إن هذا لا يصح ولن يكون .. ثم اخيرا وبعد عذاب إهتديت إلى بابك الذى يقرأه أبى بانتظام ويعجب بنصائحك للآخرين ، وإهتديت الى كتابة هذه الرسالة وإعطائها الى إحدى جاراتى لكى ترسلها إليك ، ولكى تقرأها وتكتب اليه ناصحا له ألا يفعل هذه الجريمه البشعة وبالا يصدق ما رآه لأنه ليس سوى حلم وخواطر فى النفس ولا مجال للحقيقة فيها ، وأرجوك أن تسرع بنجدتى فهذا .. هو الخيط الرفيع الذى اتعلق به الآن فأبى لم يعد يفعل اى شىء .. ولا يقرأ أى شىء بعد هذا الحلم وهو دائما وحيد فى حجرته يتأمل السماء .. وانا وحيدة فى حجرتى خائفة . والسلام عليكم ورحمة الله .

● ● ●

* هذه هى الرسالة العاجلة .. وسيكون ردى عليها ايضا عاجلا وموجها الى الأب مباشرة :

يا سيدى لن اناقش معك فى البداية اسلوبك فى الحياة .. ولاماجنيت على ابنتك من حرمانها من حقها فى التعليم وحقها فى الحياة الكريمة العادية لأسباب تراها وقد نختلف حولها لكنى سأناقش معك هذه المرة ما تسلط على ذهنك من أنك ترى فى المنام أنك تذبحها كما رأى ابو الانبياء ابراهيم أنه يذبح ولده اسماعيل وأريد ان اقول لك ياسيدى انك لست بنبى ليكون ماتراه فى نومك رؤى تراها وهواتف تهتف اليك بالحق المبين - فأنت رجل عادى مثلنا .. ومثل كثيرين غيرنا من البشر .. قد تفضلنا بفضلك وطيبتك وتقواك ، ولكنك فى النهاية انسان ولست نبيا . ولو كلَّفت نفسك قراءة كتاب واحد

فى تفسير الاحلام لعرفت ان مانراه فى نومنا هو ترجمة بالصور لما يختلج فى عقلنا الباطن ومايترسب فى اللاشعور خلال فترات طويلة ، وليس أوامر نؤمر بها ولاإشارات الى المستقبل او الاحداث المقبلة .

وانت ياسيدى بكل أسف وفيما أتصور تربط فى عقلك الباطن وبغير ان تعى ذلك بين نوع البنت وبين مفهوم « العار » بشكله التقليدى الشائن وهو المفهوم الذى كان يدفع الآباء فى الجاهلية الى وأد بناتهم وإهالة الرمال عليهن أحياء تخلصا مما سيمثلنه بعد ذلك من « عار » لهم .. بالرغم من بديهية عجيبة هى ان هؤلاء الرجال هم أنفسهم أبناء لنسّاء حملن فيهن وانجبنهن للدنيا !

وهذا المفهوم التقليدى الشائن الذى نسخه الإسلام ونهى عنه . مازال يجد له آثارا مترسبة فى بعض المجتمعات .. ولدى بعض المتزمتين حتى ولو لم يعلنوا ذلك أو لم يشعروا به . وهذا الإحساس الكامن هو الذى دفعك الى منع إبنتك من مواصلة تعليمها و« إجلاسها » فى البيت بعد الاعدادية ، وهو ايضا الذى يؤرقك فى داخلك بعد أن كبِرتْ ودخلَتْ طور الشباب وأصبحت فتاة وقد تفاعل لديك هذا الاحساس الكامن فى عقلك الباطن الى أن عبَّر عن نفسه اخيرا فى حلم يدعوك الى ذبحها . وانت فى الحقيقة لا تريد ان تذبح ابنتك الطيبة المتدينة المُحّبة التى إرتضت هذه الحياة المتقشفة البسيطة الخالية من كل متع الحياة بجوارك بلا شكوى ولاضجر ، لكنك تريد أن تذبح « مخاوفك » منها وشعورك الداخلى بما تمثله من عار محتمل ! .. وهو إحساس متخلف رهيب مع مثل هذه الابنة الملائكية التى تعيش جحيم الخوف من القتل وتخشى عليك وعلى سمعتك فى نفس الوقت لو انقذت نفسها أو لو ابلغت الشرطة عن مخاوفها .

أمثل هذه الفتاة يَخْشَى مَن يُؤمِن بالله واليوم الآخر منها ؟

ان كثيرين يغبطونك على مثل هذه الإبنة العطوفة الطيبة .. فكيف تساورك الاوهام بشأنها ؟ إرحم نفسك ياسيدى قبل أن ترحم ابنتك .. ولو أنصفت نفسك لإستشرت طبيبا نفسيا يساعدك على فهم أغوار نفسك ويغوص فى اعماقك ليستخرج لك اسباب هذا التفكير الخاطىء تجاه ابنتك مما مر بك فى طفولتك او صباك او رجولتك من احداث .. ويساعدك على تخطى هذه المحنة .. وعلى الشفاء منها .

ولو انصفت ايضا ياسيدى لاعتدلت وَعَدلْت فى توزيع دخلك فإن لنفسك عليك حقا ولإبنتك عليك حقا .. ولمستقبلها عليك حقا وليس من التقوى ان تنفق كل دخلك على شراء الكتب والتبرع للجمعيات وبيتُك خالٍ إلا من الحصير والكتب .. وحياتكما متقشفة الى حد الإملاق فاذا كنت قد إرتضيت ذلك لنفسك وهو شطط لاشك فيه . فما ذنب ابنتك ومن حقّها أن تستمع بما أحلَّ الله بغير مغالاة . إننى اتصور أن هذه المحنة التى تعيشها أنت أولا سوف تزول عندما تتزوج ابنتك وتتخلص أنت مما تمثله من « عبء » على ضميرك « فأفرج » عنها قليلا ياسيدى وثق فيها وفى خُلِقِها . ودعها تَخْبُر الحياة قليلا تحت إشرافك لكى لاتواجه الدنيا بلا أى سند من معرفة أو فهم اذا ماوجدت نفسها يوما وحيدة تماما فى الحياة ، وتخَّير لها من الصديقات من تطمئن إلى خلقها فالصداقة قيمة ضرورية للحياة ،

إننى لا أفهم فى تفسير الاحلام .. لكنه خطر لى خاطر لا بأس من أن اقوله لك بعد قراءة هذه الرسالة .. أليس من المحتمل ان يكون هذا الحلم هو « اشارة » فعلا لكنها اشارة للواقع الذى تعيشه مع ابنتك والذى « تذبحها » فيه حقيقة بحرمانها من الحد الادنى للحياة المعقولة .. وبفرض هذا التقشف والحصار القاتل عليها ؟

بربك ألا يستريح ضميرك الدينى الى هذا التفسير الذى يبدو اقرب للعقل

والمنطق والدين ؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا لاتنفق بعض الوقت الذى تمضيه صامتا ساهما معذبا فى البحث عن زوج صالح لمثل هذه الابنة الطيبة المتدينة ؟ لقد قلت لك ماأردت وعفوا لأى تعبير قد يمسَّك فلا أقصد الاانقاذ إبنتك وانقاذك من هذا الوهم الكبير ، اما انت ياابنتى فلا تترددّى إذا ما استشعرت الخطر مرة أخرى فى الاستنجاد بجيرانك مهما كانت العواقب ، فأنت بذلك تنقذين نفسك وتنقذين أباك ايضا من ارتكاب جريمة .. وحبذا لو كتبت الى باسمك وعنوانك لعلى أستطيع لك شيئا . وارجوك على الاقل ان تكتبى الى بما فعلت بك المقادير وقلبى معك ومع أمثالك من المعذبين .

السيمفونية الناقصة

« مشكلتى رغم أنها شخصية إلا أنها تواجه غيرى من السيدات .. لذلك فسأروى لك قصتى كاملة وأطلب منك مساعدتى فى حلها . تزوجت بعد تخرجى من الجامعة مباشرة وعشت مع زوجى ١٠ سنوات كاملة من أحلى فترات العمر كان زوجى لى خلالها هو كل شيء بالنسبة لى .. وكان محور حياتى الذى ادور فى فلكه .. إن ضحك ضحكت وأن تألم تألمت وأن شرد شردت معه احاول ان اغوص فى افكاره .. واعرف ماذا يشغل حبيبى أو ماذا يكدره وأنا على استعداد لكى اقدم عمرى كله لكى احجب عنه ما يكدره . مضت حياتنا سعيدة كانت لنا حياة اجتماعية مليئة .. بيتنا لا يخلو من الزائرين .. وامسياتنا تشهد زيارات عائلية سعيدة للاصحاب والاهل .. وفى أمسيات الخميس نخرج للسهر فى إحدى دور السينما فى مدينتنا الجميلة الاسكندرية او للعشاء فى أحد المطاعم .. لم يكن ينقصنا شيء .. لا بل كان ينقصنا شيء هام لكننا لم نكن نحس به إلا فى نظرات بعض الأهل بين حين وأخر والا حين يشرد حبيبى بافكاره بعيدا عنى فأخشى ان يكون هذا الشيء الناقص هو ما يشغله . كان ينقصنا الانجاب .. وكنت المسئولة عن ذلك لكننا صدقنى كنا نحيا حياة سعيدة كاملة لا ينقصنا شيء ولم يكن هو يشير الى هذا الموضوع من قريب أو بعيد .. بل كان يبالغ فى تهيئة الجو السعيد حولى إذا استشعر أى تغير فىَّ خوفا من ان يكون هذا الموضوع هو شاغلى وفجأة وقع الزلزال وبلا مقدمات . كيف ؟ لا اعرف فبلا مقدمات استسلم فجأة لبكاء والدته وإلحاح والده وبدون أى تمهيد نفسى أو عاطفى وجدت نفسى مطلقة فقد صمم أهله على أن يطلقنى لكى يستطيع ان يتزوج ممن تنجب له اطفالا وكانت الصدمة شديدة على هدَّت كيانى وافقدتنى توازنى وثقتى

بالحياه وبنفسى ماذا جنيت حتى تنهدم حياتى من أساسها ؟ الأطفال ؟ ومتى رفضت ان يكون لى أطفال ؟ وأين هى الزوجة الطبيعية التى ترفض ان يكون لها اطفال لكنى لم أخلق عجزى بنفسى وإنما هى ارادة الله فماذا جنيت ؟ ألا يكفى عذاب حرمان المرأة من الطفل .. حتى نضيف اليه عذاب الطلاق وهدم حياتها ؟ .. لقد مضى الان عام على الطلاق ومازلت أبكى بحرقة كلما تذكرت ما آل اليه حالى فبعد البيت الخاص أصبحت أعيش الآن مع أمى المسنة وأختى التى على وشك التخرج ، وبعد الحياة الاجتماعية الحافلة والزيارات واستقبال الزائرين والخروج ، تمضى الايام لا يطرق علينا الباب طارق .. اننى موظفة كبيرة باحدى شركات القطاع العام بالاسكندرية .. وقد تلفت حولى فوجدت نفسى فى الثامنة والثلاثين من عمرى .. مطلقة بلا أمل .. وبلا ذنب ففكرت فى ان اكتب اليك عسى ان تدلنى على طفل يتيم ليس له اهل لاقوم بتربيته وأتخذه لى ابنا يكون لى فيه بعض العزاء عن غدر الايام وقلة الوفاء ولكى يصبح لحياتى معنى وهدف أعيش من اجله فهل تساعدنى فى ذلك ؟ .

● ● ●

* * واقول لهذه السيدة .. نعم أستطيع ان اساعدك وان اكتب بعنوانك ورغبتك الى بعض معاهد الايتام بالاسكندرية لتتصل بك وترتب معك هذا الامر ، وهو تفكير انسانى عظيم .. لكن هل هذا هو الحل السليم لمشكلتك ؟ تستطيعين ان تتبنى طفلا وان تفرغى فيه عاطفة الامومة لكنه سيبقى هناك دائما شيء ناقص سيكدر حياتك .. فلماذا لا تطوين صفحة الماضى وتبدئين حياة جديدة مع زوج ملائم لا يرغب فى الانجاب كمطلق له اولاد او ارمل له اولاد ؟ لقد كانت لك حياة سعيدة لكنه كان يؤرقها دائما هذا الشيء الناقص .. وهو الذى هدم حياتك مع زوجك . فلا تصدق يا سيدتى ان رجلا يحب زوجته ويجد لديها كل سعادته يمكن ان يستجيب لالحاح اب

او ام فى طلاقها ؟ ان الرجل اذا لم تتوافر لديه بواعث الطلاق من داخله هو لا من خارجه فانه لا يقدم على هذه الخطوة ابدا إرضاء لاحد . لقد كان الشيء الناقص يؤرقه هو نفسه قبل والديه لكنه كان يجد تعويضا كافيا لديك عنه الى ان اشتدت وطأته عليه .. فضعف واستجاب لما كان يلح عليه من داخله .

ولا أُريد أن أظلمه .. فأنا لا أعرف كل حيثيات قراره .. ونحن نتعامل مع المشاكل من جانب واحد .. ولا نسمع عادة صوت الطرف الاخر .. لكننى فقط اقول لزوجك السابق انك لو كنت سعيدا فعلا مع زوجتك السابقة ثم طلقتها لا لشيء فقط سوى هذا السبب وحده .. فانت يا صديقى لم تعرف الحياة جيدا .. ولم تعرف ان السعادة الكاملة من كل الوجوه لم تخلق بعد على ظهر الأرض .. ولم تعرف ان السعادة نسبية وان الدنيا تعطى اشياء وتأخذ اشياء اخرى .. وان الدنيا هى غالبا كالسيمفونية الناقصة .. لا تكتمل ابدا فاذا كان ما اعطته لنا كافيا فمن البلاهة ان نعذب انفسنا بالتطلع الى ما حرمتنا منه .. خاصة واننا لا نعرف تماما هل سنجد سعادتنا فيما نطمح اليه ام لا .. وهل لو فقدنا ما بأيدينا جريا وراء ما نحلم به .. هل نخسر ام نكسب ؟ فاذا كنت قد طلقت زوجتك لهذا السبب وحده فقد ظلمتها وظلمت نفسك لأنك فيما أتصور لن تجد لدى غيرها كل هذا العطاء .. ولانك لا تعرف ماذا تخبئه لك الايام والليالى .. والليالى كما يقولون حبالى يلدن كل عجيب ! لقد سبقك امبراطور عظيم الشأن هو شاه ايران السابق الى هذه المغامرة فطلَّق فى الخمسينات زوجته الثانية الامبراطورة ثريا على حبه الشديد لها ورغم جمالها الباهر .. طلقها وهو يبكى « مضطرا » كما يقول معظم من يقدمون على هذا التصرف ولنفس هذا الدافع ! لأنه حريص على ان ينجب وليًا للعهد يرث العرش ويحفظه فى أسرته ، فتم له ما اراد فعلا وأنجبت له زوجته الجديدة اكثر من وريث للعرش . لكن العرش نفسه

قد إندثر تحت حمم براكين الثورة الايرانية ، وضاع العرش ولم تعد هناك حاجة لمن يجلسون عليه ! اننا ننسى كثيرا أنه لو علمتم الغيب لإخترتم الواقع .. وننسى فى أحيان كثيرة ان علينا ان نسلم بما اختاره لنا الله فى اشياء كثيرة .. فيجرًنا هذا النسيان الى اخطاء عديدة تتعس حياتنا من حيث نريد ان نجنبها التعاسة . وقد نسى زوجك كل ذلك فكانت هذه المحنة .

أسرة من الحى الشرقى

« أنا طالب بالسنة الثالثة باحدى كليات جامعة عين شمس ومتفوق فى دارستى والحمد لله ، أسرتى مكونة من ام طيبة مكافحة .. وشقيقتين طالبتين إحداهما معى فى نفس الكلية والاخرى بالمدرسة الثانوية وهما والحمد لله فتاتان على خلق ويجمعنا جميعا الحب والتعاطف والترابط - حيث أننا نواجه الحياة وحدنا بعد رحيل أبى رحمه الله منذ حوالى ١٠ سنوات ونعيش بمعاشه المحدود حياة متقشفة لكنها مستورة والحمد لله . وقد كافحت أمى معنا كفاحا مجيدا لكى نواصل تعليمنا مستعينة بالصبر وبالحيلة لتدبير حياتنا وتلبية مطالبنا فى حدود معاشنا . وهى صورة تراها فى كثير من البيوت التى تفعل الأعاجيب لكى تستمر فى حياتها البسيطة بغير ان تفقد نفسها وإحترامها . ولا يضايقنى ذلك فحياتنا لا تخلو من متعة بسيطة نستمتع بها بين حين وآخر ، كجلسة عائلية دافئة فى أمسيات الشتاء نضحك فيها على ما نراه فى يومنا من صور تثير الضحك أو « كأكلة » بلدية هنيّة تجيد أمى كسيدات الأحياء الشعبية صُنعها فى حين ، او كأكلة من طعام السوق اللذيذ الذى يجيد جيراننا فى الحى الشعبى صُنَعه وعرضه للبيع تسبقه روائحه الطيبة .. الخ .. وهى كلها متع بسيطة لكنها تُرضِى أمثالنا من البسطاء .. وأهم منها بلا جدال أننا جميعا بصحة طيبة .. وأنه لا مكان للكراهية بيننا .. لذلك فأنى أكاد أعتبر أسرتنا أسرة سعيدة والحمد لله .. « لولا » .. ولقد قرأت فى ردك على رسالة الزوجة الحائرة بسبب زوجها .. انه ليست هناك حياة خالية من « لولا » الشهيرة هذه .. فقررت أن اكتب لك عن « لولا » الخاصة بنا التى تفسد علينا سعادتنا ونتعذب بها العذاب الأليم كل يوم . فنحن يا سيدى نعيش حياة مريرة لسبب عجيب لا يخطر على بال أحد هو أن والدى رحمِه الله

منذ ٢٠ سنة لم تستطع إمكانياته المادية أن توفر لنا مسكنا إلا فى هذا الحى الشهير من أحياء القاهرة الذى إرتبط اسمه لسوء حظنا بتجارة المخدرات فى مصر .. طعبا عرفت اسمه ؟ إن كل ذنبنا لدى الآخرين أننا نقيم فى هذا الحى الذى يتصور الناس أنه لا يقيم به إلا تجار المخدرات والموزعون والمدمنون .. إلخ ، علما بأن هذا الحى كغيره من الأحياء يقيم به موظفون مكافحون وتجار عاديون وعمال لا يربطهم بتجارة المخدرات صلة ، لكن قدرهم انهم يعيشون فى هذا الحى ولا يجدون بالطبع بديلا للسكن فيه مع أزمة المساكن الحالية . إنك قد تتصور أن هذه مشكلة تافهة لكنها ليست كذلك أبداً ، فالناس خارج الحى إذا اختلطنا بهم وعرفوا أننا من سكان هذا الحى تغيَّرت على الفور نظرتهم لنا وتهربوا منا ولم يقبلوا على صداقتنا رغم أننا فقراء شرفاء مثلهم والله العظيم ، وإذا تحدثوا معنا لا حديث عندهم لنا إلا عن المخدرات وأسعارها وأصنافها وهم يسألوننا عن الأسعار والأصناف .. وأسماء التجار الكبار كأننا من صبيانهم ، رغم أننى لا أعرف شيئا عن المخدرات ولم أذقها فى حياتى ولا أدخن السجائر ولم أذقها أيضا ، فاذا تغيَّبت عن الكلية لمدة يومين لأى سبب وكأى طالب آخر يقابلنى زملائى بالتساؤلات الجارحة .. خير .. كان فيه كبسة عندكم والا ايه ؟ .. والا كنت بتوزع البضاعة ؟ ! فأصمت صمت العاجز عن الرد وفى قلبى ألم لا يحس به احد .. وآخر يقول لى فى الكلية « يا عم انت بتكسب كثير من التوزيع .. إيه اللى عاجبك فى التعليم ؟ » .. فأحس بغصَّة فى حلقى .. وأعجز عن الرد .. وليتنى أستطيع إذن لقلت له : أية مخدرات إن أمى ترتق لى الجورب حتى يكاد يذوب بين يديها وشقيقَتَىْ تتبادلان لِبْس « الجيب » الواحدة والبلوزة الواحدة ، حتى تبلَيَا تماما ، ولولا بطاقة الكساء الشعبى لمشينا شبه عرايا إلى كليتنا ومدرستنا .. فأية مخدرات يا صديقى .. وأى عذاب تعرضوننى له بغير أن تشعروا .. حسبى الله ونعم الوكيل .. لقد كافحت أمنا كفاح الأبُطال لكى

لا نسقط فى هاوية العمل فى « الكار » التى سقط فيها أقراننا منذ البداية تحت ضغط الفقر وضغط الحاجة وضغط نظرة المجتمع لنا .. فبعض أقرانى فى المدرسة الاعدادية حسموا المسألة منذ سنوات طويلة وقالوا لأنفسهم اذا كان الناس جميعا يعاملوننا كصبية لتجار المخدرات ونحن نقاسى من الفقر .. ولا فائدة من إقناع أحد ببراءتنا ، فلماذا نتحمل الفقر إذن ؟ .

وهكذا انجرفوا إلى الجريمة .. وتوقفوا عن التعليم وعملوا بتوزيع المخدرات وعرفوا النقود الكثيرة ولِبْس الملابس الغالية ولِبْس الخواتم الذهبية التى تلمع فى أيديهم تحت ضوء الشمس .. وإكتسبوا سحنا غريبة وهيئة معلمين صغار .. أما نحن فقد أحاطتنا أمى بذراعيها لكى لا نسقط فى هذا المستنقع .. وتحملنا الحرمان سنوات طويلة وما زلنا وكنا أحيانا نمضى الأمسيات بلا مليم فى جيوبنا وعشاؤنا من الخبز والفول ، ورفاق المدرسة القدامى يتصدرون « القعدة » فى الشارع تحت بيتنا بالضبط « يأمرون » بشراء الكباب ويُدَخنون المخدرات ويشربون الخمور وينفق الواحد منهم على عشائه فى الليلة الواحدة ما يزيد عن قيمة معاشنا طوال شهر .

ولست نادما أبدا على فقرنا وحرماننا .. بل لقد زدت إكبارا لأمى حين كبرت وأدركت حجم حبها لنا وحرصها علينا بإبعادنا عن هذا الطريق وكيف أنها قد فعلت ذلك مضحية بصحتها .. وكيف حَرَمت نفسها فلم تَهِن ولم تضعف رغم المغريات .. ومثلها فى حيِّنا كثيرات ومثلنا كثيرون صدقنى بل نحن الأغلبية الصامته الفقيرة فى هذا الحى لكن الناس لا يتصورون ذلك ولا سامح الله منتجى الأفلام الذين صوروا للناس كل سكان الحى من تجار المخدرات وموزعيها ومدمنيها .. وليسامح الله الناس الذين لا يصدقون إلا هذه الصورة الزائفة . فيكون ذلك على حساب كرامتنا وحقِّنا المشروع فى الحياة ، فهل تتصور أن شقيقتى الطالبة بالجامعة مثلا تقدم لها عريسان عن طريق بعض أقاربنا الواحد بعد الآخر .. أُعجب كل منهما بشكلها

وأخلاقها .. ثم ما أن علم أننا من سكان الحى اللعين حتى خرج ولم يعد مرة أخرى . فماذا نفعل فى هذه المصيبة وليس لدينا ما يكفى لدفع خلو حجرة واحدة بعيدا عن هذا الحى .

إننى لا أكتب لك رسالتى هذه لكى يتبرع لنا أحد من ذوى القلوب الرحيمة بحجرة أو شقة صغيرة ، لكنى أكتب لك لكى أطالبك بأن يتبنى الأهرام موضوع بناء مساكن شعبية لسكان هذا الحى اللعين وهو مشروع قديم من أيام الرئيس الراحل عبد الناصر ، وقد أثير مرة أخرى منذ شهور ثم نام من جديد فهذا الحى اللعين لا فائدة من أية حملات توجه إليه مهما كانت جدّيتها فالمخدرات فيه أكثر من الخبز البلدى ! وسيظل الأمر كذلك مهما صنعوا ومهما شنوا عليه من الحملات ، ولا مفر من هدم هذا الحى وإسكان سكانه فى مساكن شعبية بعيدة عنه ، فيتحقق بذلك هدفان القضاء على تجارته المحرمه من ناحية .. وانقاذ غالبية سكانه من البسطاء أمثالنا من هذه الوصمه التى تطاردهم فى كل مكان من ناحية اخرى ونحن راضون يا سيدى بحجرة واحدة فى المساكن الشعبية فى أى مكان .. فالناس خارج هذا الحى يرفضون صداقتنا كفقراء شرفاء والى أن يتحقق هذا الحلم أريد منك أن تقول للناس إن سكان هذا الحى ليسوا جميعا من تجار المخدرات وان فيه موظفين كبارا وصغارا ومحامين ومحاسبين ومهنيين وطلبة جامعات مثقفين وأسر مصرية شريفة ومكافحه فلا تحكموا عليهم بسمعة حيِّهم اللعين - واشكرك مقدما وإلى اللقاء » .

● ● ●

* * ولكاتب هذه الرسالة اقول : أنت على حق يا صديقى فى كل ما قلت وأؤيدك فيم تطالب به وأضم صوتى إلى صوتك ، ولا أعتقد انى فى حاجة لأن أقول للآخرين إنه ليس صحيحا ان كل سكان هذا الحى من أهل العالم السفلى الذى يشتغل بتجارة المخدرات .. فرسالتك أبلغ منى فى التعبير

عن هذه الحقيقة الصادقة . وهى شيء طبيعى لأنه ليس من المنطقى أن يكون هناك حى كل سكانه من غير الشرفاء . أو أن يكون هناك حى كل سكانه من الشرفاء . فالشرف لا يرتبط بالتقسيم الجغرافى لخريطة المدينة لكن بعض « عمالقة » الفن الهابط لا يعرفون هذه الحقيقة أو لا تسمح لهم مداركهم بإدراكها .. فكانت هذه الصورة الظالمة التى قدموها للجميع عن حيكم ورَّسخوها فى الأذهان حتى تحولت إلى فكرة ثابتة لدى البعض وهذا خطأ حقير وجريمة بشعة فى حق أمثالكم من البسطاء الشرفاء .

ولا شك أن من يَنْفرون من صداقتكم ومن فرَّوا من شقيقتك رغم اعجابهم بها هم من أسرى هذه الفكرة الخاطئة ، وكلهم مخطئون وأنتم ضحايا لهذا الإعتقاد الشائن ، ولو إمتلأت نفسك بالمرارة لما لُمْتَك على ذلك ، فمن المؤلم حقا أن يحكم الناس عليك هذا الحكم الجائر .. وأنت من تعانى الحرمان وشظف العيش نأيا بنفسك عن هذا الطريق ، ومن اقسى ما يتعرض له الانسان من ظلم أن يحاسبه الناس عمَّا لم تجن يداه وعما لم تكن له فيه حيلة ، كإقامتك فى هذا الحى اللعين ولا أدرى لماذا يتعثر مشروع هدمه ونقل سكانه إلى حى آخر كما حدث مع حيِّين أخرين فى القاهرة كانت تطاردهما نفس اللعنة ، إننى لا أريد أن أطيل حديثى معك لأن رسالتك ابلغ من أى تعليق لكنى رغم ذلك لا أستطيع ان أقاوم رغبتى فى ابداء اعجابى بك وبأسرتك المكافحة التى تصنع كل يوم معجزة بمجرد إستمرارها فى الحياة وسط هذه العواصف والأنواء .. إنها صورة الأغلبية الصامتة فى بلادنا التى تكافح كل يوم كفاح الأبطال وتنفَر نفورا طبيعيا من الحرام وتخشاه .. وما اكثر المعجزات التى تشهدها الحياة كل يوم بعد إنقضاء عصر المعجزات بزمن طويل . لكن هذا حديث آخر . فتقبل اعجابى بك وبأسرتك وتقبل عظيم احترامى لهذه البطلة المجهولة التى قادت سفينتكم وسط الجنادل والصخور على حساب حرمانكم ومعاناتها لكى تحميكم من السقوط فى الهاوية ولكى

تصل بكم إلى بر الأمان إنها أمٌ مثالية كغيرها من الأمهات الصابرات فى بلادنا .. وأمثالها لا تعرف الجوائز طريقها اليهن .. فكونوا أنتم يا صديقى .. أنت وشقيقتيك جائزتها الكبرى بتفوقكم فى دراساتكم واستمراركم على هذا الطريق القويم وفقكم الله وأعانكم على نظرة المجتمع الظالمة لأمثالكم من الشرفاء .

.. بلا عاطفة

« سيدى العزيز .. ارجو ان تقرأ هذه الرسالة الى النهاية بغير ان يصيبك الملل .. فهى رسالتى الاولى اليك لكنها فيما يبدو لن تكون الاخيرة كما انها سوف تعطيك صورة « صادقة » عما وصلت اليه « حالة الناس » من التنافس والبعد عن روح التآخى ، والحقد اللا أخلاق .. وهى المعانى التى تلح على محاربتها كل اسبوع وكأنك يا صديقى تنفخ فى قربة مقطوعة . اننى اكتب اليك هذه الرسالة إستكمالا لقصة صاحبة العمارة التى نشرتها الاسبوع الماضى .. فانا يا سيدى فرد من أسرة مكونة من عشرة افراد نصفهم بنون والنصف الاخر بنات ، وكلنا والحمد لله اشقاء اى أبناء أب واحد وأم واحدة .. وكلنا جامعيون .. وكل إخوتى وأخواتى يشغلون مراكز مرموقة ، كما اننا ايضا والحمد لله اغنياء جدا من الناحية المادية ، وعن نفسى فأنا خريج حديث منذ ٥ سنوات وأعمل منذ عامين فى شركة قطاع عام مرموقة اتقاضى فيها مرتبا يصل مع الحوافز الى ٢٢٠ جنيها شهريا ، ولى دخل ثابت يصل الى حوالى ١٥٠ جنيها . وكلنا – أقصد انا واخوتى واخواتى – يكره بعضنا بعضا جدا ولا يتمنى أحد منا للآخر خيرا أبدا . وكلنا أيضا « نفرح » فى مصائب بعضنا ! . وكلنا بلا استثناء نكيد وندبر المكائد لبعضنا البعض ، وبعض هذه المكائد يصل الى أقصى ما يمكن أن يتصوره إنسان ! كل ذلك بالرغم من أننا نتميز جميعا بالوسامة والجمال وبراءة المظهر وحلاوة اللسان ! .

ولا اطيل عليك فى هذا الكلام .. فنحن نملك عن والدنا رحمه الله عمارة كبيرة لا يزيد إيجار اغلى شقة فيها عن ٦ جنيهات اما ارخص شقة فيها فايجارها ثلاثة جنيهات ونحن – اخوتى وانا – بالطبع « لا نطيق احدا من سكان

عمارتنا الكرام . ولا نحمل أى رغبة فى الخير لاحسن واحد فيهم ، وقد تسألنى لماذا ؟ أو هل أساء اليكم أحد منهم فاقول لك اننا نكرههم هكذا بلا سبب والله العظيم .. سوى اننا لا نحب احدا فى الدنيا فكيف نحب اناسا يعيشون فى سعة من العيش والسكن ولا نفكر فى الانتقام منهم ؟ ! وسأطلعك على ما عقدنا العزم عليه بل وشرعنا فعلا فى تنفيذه . ففى هذه العمارة القديمة شقة أعيش بها مع أمى الحاجة وهى سيدة شديدة الاحترام ومتمسكة بأهداب الدين والاخلاق - وسبحان الله اننا جميعا نشأنا على نقيضها وقد فكرنا فى حل رائع لمشكلة هذه العمارة القديمة التى نتقاضى منها بضعة جنيهات .. ويتلخص هذا الحل فى أننا بدأنا فى نقل الاشياء المهمة من الشقة بالإضافة الى المستندات وكل ماله قيمة ، الى عمارتنا الأخرى التى ليس بها سكان ، وستسمعون قريبا - إن شاء الله - عن حادث من أكثر الحوادث بشاعة وفظاعة . كيف ؟ سأحكى لك كل شىء .. فى شقتنا بالعمارة القديمة ثلاث انابيب بوتاجاز ، بالاضافة الى مجموعة من المواد شديدة الانفجار والاشتعال التى أحضرتها خصيصا لذلك من معمل الشركة التى أعمل بها ، وفى يوم قريب إن شاء الله ! سنخرج من هذه الشقة .. ثم سيدوى انفجار شديد لن يبقى بعده من عمارتنا سوى الانقاض . وبعد أن تنتهى « الهوجة » التى ستحدث عقب الانفجار من إنتقال كبار المسئولين بمديرية الامن والمحافظة الى موقع الحادث ومن نشر بالصحف واذاعة فى التليفزيون .. ومن س و ج ومحاضر طويلة تكتب بالقلم الجاف .. وبعد أن تقوم المحافظة مشكورة بأخلاء الضحايا .. ونقل سعداء الحظ منهم إلى مساكن الايواء .. ستخمد الهيصة وتختفى تماما من سطور الصحف .. ثم نتسلم ارض العمارة لنبيعها .. او لنبنى فوقها عمارة جديدة نبيع شققها بالشىء الفلانى .. لكن ذلك ليس هدفنا وحده .. فأهم منه فى رأيى اننا سوف نستريح من هذه الوجوه الكريهة .. وجوه سكان عمارتنا .. الكلاب . وصدقنى أننا لا نكره سكان

عمارتنا فقط وإنما نكره سكان أى عمارة فهم جميعا كلاب ! وهم جميعا « يتمسكنون حتى يتمكنوا » وكراهيتنا للسكان جميعا هى الشيء الوحيد الذى يتفق عليه اخوتى جميعا وانا اولهم بالطبع ! .

إننى اكتب اليك هذه القصة .. ومهما صنعت فلن تستطيع أن تمنع شيئا أو توقف شيئا .. بل لن تستطيع فيما أعتقد ان تأخذ علينا شيئا لسبب صريح هو اننى واخوتى من جميع التخصصات وستساعدنا خبراتنا المختلفة فى إحكام التدبير والتخلص من نتائجه .. كما أننا جميعا بلا عاطفة .. وستأسف كثيرا حين اقول لك أن سعادتنا هى فى الإنتقام من أية مجموعة مترابطة سعيدة او اى عائلة متماسكة .. أرايت اى نوع من السعادة .. هى سعادتنا ؟ ! .

اننى ارجوك ألا تحزن لما تقرأه الآن فنحن مختلفو الطباع .. وقد اردت فقط كواحد من قرائك أن « اشير » عليك برأينا فى مشكلة صاحبة العمارة الجاهلة التى نشرت قصتها فى الاسبوع الماضى .. فهى فعلا جاهلة أساءت الى نفسها بما كتبته عن نفسها وعن مشاعرها وكان الأولى بها أن تستشير من يعرف كيف يتصرف فى مثل هذه الحالات .. ان هذا هو رأيى فى المشكلة ومن حقنا عليك نشره بدون اختصارات وانت دائما تحترم آراء قرائك ونحن منهم ..

●●●

هذه هى الرسالة الخطيرة التى تلقيتها ضمن رسائل عديدة تعلق على قصة « صاحبة العمارة » . وهى رسالة مفزعة بكل معنى الكلمة سواء اكان ما تشير اليه من « تدبير إجرامى » جادا وحقيقيا ، أم مجرد تعبير عن رغبات مكبوته .وموقف طبقى حقير من البشر .

فإذا كانت الاولى فهى جريمة اتفاق جنائى على جريمة بشعة لا أجد وصفا لائقا بها .

وإذا كانت الثانية فهى تعبير « جنائى » اكثر خطورة عن حالة رهيبة من التفسخ والعدوانية والانحطاط .. لا أجد ايضا وصفا لائقا بها .

وفى كلتا الحالتين فهى جريمة سواء اكانت جريمة تدبير أم جريمة « تفكير » ولعل جريمة التفكير أخطر لان التدبير يمكن ان يفسد .. ويمكن ان يتراجع عنه أصحابه خوفا من العواقب .. اما جريمة التفكير وجريمة الانحراف الفكرى فمن الذى يستطيع أن يرد اصحابه عنه ؟ .. ومن الذى يستطيع ان يقوّم ما اعوج من نفسيات ومشاعر هؤلاء وأمثالهم تجاه البشر ؟ .

اننى قد لا اصدق هذه المؤامرة التى يتحدث عنها كاتب الرسالة لكننى أصدق بالضرورة بعض ما كتبه عن نفسه وعن أشقائه الذين يكره بعضهم بعضا ويفرحون فى مصائب بعضهم البعض . وأرى ان مثل هذه « الشخصية المريضة » ان كانت الصورة صادقة – لا يمكن أن تفرز سوى هذا التفكير الاجرامى وسوى هذا الشعور « بالإستعلاء » الحقير على البشر لمجرد أنهم « سكان » علما بان ٩٩٪ من سكان الأرض بالضرورة سكان ! ولعل والدك رحمه الله الذى ترك لكم هذه العمارة لكى تشعروا بالإستعلاء على سكانها كان بالضرورة « ساكنا » فى مكان ما قبل ان يشترى هذه العمارة ! .

• إن من غير المجدى بالطبع أن اناقش صاحب مثل هذه العقلية .. ولا ان افكر فى ان اطالبه بان يصحح نظرته للحياة وللبشر أو حتى لإخوته الذين قد يكون مغاليا فى تصويرهم جميعا على هذا النمط العجيب من « الخراب النفسى » ولا اريد ان استطرد طويلا فى الرد على كاتب هذه الرسالة .. لكنى أحس بعد ان قرأت رسالته .. اننى مدين بالاعتذار للسيدة الارملة كاتبة رسالة الاسبوع الماضى .. والتى قسوت عليها كثيرا لأنها عبرت عما فى صدرها من مشاعر مكبوته تجاه سكان بيتها . فهى فى النهاية ارملة ووحيدة وتتحمل مسئولية ٦ ابناء وتعانى من صعوبات الحياة .. وربما فاض بها الكيل

نعبرت عما جاش فى صدرها ببعض العبارات الطائشة التى قد لا تعنيها حقيقة .

أما أنت يا أيها المهندس الأعزب الشاب .. الغنى جدا كما تقول .. ويا من تتقاضى من شركة قطاع عام مصرية ٢٢٠ جنيها كل شهر وانت خريج حديث تعمل منذ عامين فقط ولك دخل ثابت اخر ١٥٠ جنيها وتعيش فى شقة واسعة مع الحاجة والدتك المتمسكة بأهداب الدين والاخلاق ..

أنت .. يا كل ذلك .. ماذا اقول لك ؟ لقد خشيت غير مشكور على من الملل وأنا أقرأ رسالتك لكنك لم تخش أن تنفجر شراييني مما أقرأه ولم ترع الله ولم تخشه فى تفكيرك الاجرامى هذا .. فأى حياة هذه يا الهى ؟ .. ليرحمنا الله جميعا .. او لتنزل علينا صواعقه لتسوى الارض بمن عليها اذا كنا حقا قد تدهورنا الى هذا الحضيض ! .

نداء العقل

اعتدت أن أقرأ فى مقدمة رسائل بعض قراء البريد عبارات تقليدية تؤكد لى فى البداية اننى رغم ماقرأت من مشاكل سوف اقرأ فى السطور التالية مشكلة لم تعرض لى من قبل ولم تخطر لى على بال .

ولانى فقدت منذ زمن طويل ومن كثرة مالمست من هموم البشر قدرتى على « التعجب » او « الاستغراب » لاى شىء فانى اتجاوز هذه العبارة عادة متوقعا ان تكشف الرسالة فى النهاية عن مشكلة كمشاكل البشر الذين تتشابه همومهم فى أغلب الأحيان .. لكن هذه الرسالة « فاجأتنى » بالفعل باننى مازلت قادرا على التعجب !

تقول كلمات الرسالة بعد حذف « العبارة التقليدية » :

« انى يا سيدى أنظر حولى فأرى الناس يشكون من مشاكل عديدة لكن ليس من بينها مشكلة كالمشكلة التى أعيشها الآن .. اننى ياسيدى موظفة جامعية فى الأربعين من عمرى .. زوجة وام .. زوجى يشغل منصبا علميا كبيرا ولى ابنتان فى بداية سن الشباب تدرسان فى احدى الكليات وصورة أسرتى من الخارج تقدم للناس صورة لامعة فأنا موظفة محترمة أتقاضى حوالى ٢٥٠ جنيها كل شهر وزوجى فى منصب مرموق ودخله يصل الى ٤٥٠ جنيها وإبنتاى طالبتان متفوقتان فى دراستهما وعلى خلق طيب وزوجى والحمد لله زوج مثالى وانسان ممتاز بكل معنى الكلمة هادىء الخلق لايثور ولايغضب .. ولاينطق بكلمة جارحة لأحد وهو أيضا محبوب من كل زملائه ومعارفه لولا .. وآه من لولا هذه « لولا حبه العجيب لشراء الكتب ! ستقول لى انها مشكلة صغيرة فأقول لك ليس من يسمع كمن يرى فتفضل بزيارتى لتعرف انها ليست مشكلة صغيرة وانما هى مشكلة تهدد حياتى الزوجية وحياة ابنتىَّ ومستقبلهما بالخطر .

فزوجى ياسيدى مصاب والأمر لله « بداء » شراء الكتب والاحتفاظ بها الكتب التى يحتاج اليها والتى لايحتاج اليها .. والكتب التى سيقرؤها والكتب التى لن يفض غلافها .. وهو يشترى الكتب بلا تمييز ويرصها على الارض فى كل شبر من الشقة ولو زرتنى لما استطعت أن أجد مكانا استقبلك فيه فالكتب بربطاتها تغطى جميع جدران الشقة من الصالون الى الصالة الى غرفة الطعام الى غرفة نوم الاولاد الى غرفة نومى الى المطبخ الى جزء من الحمام .. صفوف صفوف بإرتفاع قامة الرجل ، وهى صف اول وصف ثان وصف ثالث كأنها جدران سميكة أمام جدران الشقة وقد إمتلأت شقتى التى أعيش فيها خلال السنوات الاخيرة بعد أن امتلأت بها غرفة الغسيل على سطح العمارة التى نقيم بها . فبدأ يخزن الكتب فى شقتى وبدأ عذابى معها . لقد إستعنت بصديقة تعمل مهندسة معمارية طلبت منها زيارتى ورؤية هذه الكتب لأنى قد بدأت اخشى على الشقة من الإنهيار من ثقل ماتحمله فجاءت الصديقة ورُوّعت بما رأته ثم أخرجت ورقة وقلما وآلة حاسبة وراحت تجرى حساباتها وتقديراتها ومحاولاتها لاحصاء عدد الكتب .. ثم قالت لى انها تقدر وزن هذه الكتب بحوالى ٢٥ طنا .. وأن هذا الثقل يمكن بالفعل ان يهدد سلامة الشقة على المدى الطويل بالخطر فلما اصطحبتها الى الشقة المغلقة لتراها لم تستطع ان تجد لنفسها ممرا بين صفوف الكتب المتراكمة فصرخت مندهشة ثم خرجت .

لقد كنت فى بداية حياتى الزوجية أضيق قليلا بهذه الكتب لكنى كنت فى النهاية أعتبرها مشكلة جانبية يمكن إحتمالها خاصة وزوجى فيما عدا ذلك زوج مثالى لكن الأمر اختلف الآن فلقد كان زوجى عندما تزوجنا فى بداية حياته ويتقاضى ثلاثين جنيها وكنت اتقاضى عشرين جنيها كان ينفق من دخلنا المشترك حوالى ١٠ أو ١٥ جنيها على شراء الكتب فلا اهتم بذلك كثيرا ثم واصل دراسته وحصل على أعلى الدرجات العلمية وشغل منصبا هاما وزاد

دخله فزاد انفاقه على شراء الكتب حتى أصبح ينفق حوالى مائة جنيه كل شهر على شرائها ولم اتوقف عند ذلك كثيرا رغم بعض المضايقات التقليدية كأن أطلب منه شراء شيء لى فيخرج ليشتريه ثم يعود بعد ساعات بغيره وانما « برصة كتب » وقد نفذت نقوده فأثور وأغضب ثم أنسى بعد حين أو كأن أضيق بالكتب التى بدأت تتكاثر فى شقتى حتى ضيقت على حرية الحركة . وأعاقت ابنتى عن اللعب ، لكن الامر تطور تطورا خطيرا خلال الاعوام الثلاثة الاخيرة فقد زاد انفاقه على الكتب حتى اصبح يبتلع تقريبا كل مايتبقى من دخله بعد دفع الايجار .. ! « لماذا » ؟ لااعرف ! ان بعض الكتب التى اشتراها لم « تفك » عنها أربطة الدوبار التى ربطها بها البائع منذ عشر سنوات حتى الآن .. ومع ذلك فهو يشترى المزيد والمزيد .. وبعض الكتب التى يشتريها لايصدق احد انه ممكن شراؤها فهو يشترى الكتب التى تدرس فى كلية الطب وهو ليس طبيبا ولاطالب طب . ويشترى و« يرص» فى البيت حتى فتحت عينى ذات يوم فوجدت نفسى أعيش فى نصف مساحة الشقة التى تزوجت فيها أما النصف الاخر فقد إحتلته الكتب القديمة والجديدة . ووجدت نفسى اخجل من مظهره الرث لاننالم نجدد فيه قطعة أثاث واحدة خلال عشرين سنة .. ولانه لامكان للضيوف حتى فى الصالون وتفاقم الامر بعد ان كبرت البنتان وبدأت مطالبهما تزيد وبدأت تطلعاتهما تكبر ايضا بدأت البنتان تتساءلان .. لماذا يأمى لانعيش حياة لائقة بمركز أبى وبمركزك .. وبدخل اسرتنا ؟ فلا أجد جوابا شافيا . او تتساءلان لماذا يا أمى يبدو أبى « مبهدلا » دائما لايغير البدلة التى يرتديها لعدة سنوات ولماذا لانجد ملابس لائقة بنا .. وغيرنا بدخل أقل من دخلنا يحيا حياة أفضل من حياتنا .. ويرتدون ملابس أفضل من ملابسنا .. ولديهم سيارة وليس لنا سيارة .. ولهم حياة اجتماعية ونحن لانستطيع أن نخرج فى « فسحة » مرة كل شهر لقلة النقود .

وأفقت على الواقع الأليم الذى أعيشه اكتشفت اننى انفق مرتبى كله على الاسرة .. اما زوجى فيدفع بعض الضروريات ثم يضيع مرتبه كله على هذه « الرصات » من الكتب . اكتشفت أننا نعمل منذ عشرين سنة ودخلنا كبير ولم ندخر مليما واحدا للبنتين إستعدادا للمستقبل . أو لزواجهما واكتشفت منذ سنوات اننى لم أخرج معه فى مشوار أو فسحة كأى زوجين منذ سنوات لسبب غريب هو اننى بصراحة اصبحت إخجل من ملابسه الرثة ومظهره الذى لايليق به ولابى . اما هو فلا يهمه شىء .. وليس لديه رد على انتقادات الاقارب والاصدقاء لمسلكه ومظهره سوى انه « جهل » منهم ! وتكهربت حياتنا .. مع مطالب البنات واستمرار زوجى فى اسلوب حياته حتى عجزت عن التصرف . هل تعرف من هو أعدى اعدائى الان ؟ انه سور الازبكية الذى تباع عليه الكتب القديمة . هل تعرف ماهى أتعس ايامى كل سنة ؟ انها هذه الايام « المباركة » التى يقام فيها معرض الكتاب الدولى فى القاهرة والذى تفرحون به و« تهللون » له كل سنة !

ان أيام هذا المعرض هى أيام الخراب بالنسبة لى .. فهو يشترى منه بكل مافى يده من نقود ولو كان له رصيد فى البنك لسحبه كله خلال انعقاد معرض الكتاب لعنة الله عليه ! ستقول لى طبعا ان الثقافة شىء مهم .. وهواية شراء الكتب افضل من اشياء اخرى ، فاقول لك انها ليست ثقافة .. صدقنى فزوجى بعد كل هذا العذاب أشرف على الخمسين ولم يكتب مؤلفا واحدا ومازال شارعا فى تأليف أول كتاب له منذ سنوات ، وانه لايقرأ هذه الكتب بل بعضها .. او القليل منها .. وان هوايته ليست قراءة الكتب وانما ترتيبها ورصها وهو يمضى ٤ أو ٥ ساعات فى ذلك كل يوم ولايمنع ذلك من ان يقرأ بغير انتظام كل حين ثم انه يشترى من الكتاب الواحد احيانا ٤ نسخ او ٥ نسخ .

إننى اكتب لاقول لك ان سفينة حياتى تتعثر الآن بسبب هذه المشكلة

وأنني لأول مرة فى حياتى قد بدأت أرفض هذه الحياة وأطالبه بأن يرعى مستقبل إبنتيه وان يوفر لنا حياة لائقة خاصة وقد تجمع لديه مايزيد على ٣٠ الف كتاب سَيفْنَى العمر قبل أن يُفنيها .. وعلاقتنا الآن متوترة لهذا السبب ومطالب ابنتي تؤرقنى .. ومستقبلهما يؤرقنى .. وتساؤلاتهما تعذبنى ، وقد طالبته بأن يوجه دخله لاسرته ولرفع مستواها وبالكف عن شراء الكتب بلا ضرورة فيعدنى ثم يخلف وعده .. ثم يقول لى انه « عاجز » عن التوقف عن الشراء فهل انا على حق فى موقفى ؟ وبماذا تنصحنى ان افعل ؟

● ● ●

ولكاتبة هذه الرسالة اقول ان مشكلتك ياسيدتى ليست بالفعل مشكلة صغيرة وانما هى مشكلة خطيرة تعانى منها أسر عديدة .. لكنها تعبر عنها بصورة فريدة بالفعل . فمشكلتك هى احدى صور مشكلة سوء توزيع دخل الاسرة على متطلباتها .. وهى لاتختلف كثيرا عن مشكلة أسرة نجار المسلح مثلا الذى يكسب ٦٠٠ جنيه كل شهر فينفق منها على طعامه هو وحده وشرابه ومكيفاته ونزواته ٥٥٠ جنيها وينفق الخمسين الباقية على أسرة من ٥ افراد تعيش فى أدنى مستوى اجتماعى ممكن . انها نفس المشكلة مع فارق المستوى العلمى والثقافى للأسرتين .. ومع الفارق فى وجوه الانفاق .. وهى مشكلة ضعف إحساس رب الاسرة بالمسئولية عن أسرته او بمعنى أصح عن « رعيته » لأن رب كل اسرة هو راع ومسئولٌ عن رعيته ، وأولى مسئولياته أن يقيم العدل فى مملكته الصغيرة هذه ، والعدل يتطلب أن يوزع دخله على أسرته توزيعا عادلا يلبى الاحتياجات ويحقق مطالبها الضرورية ويوفر لها الحياة اللائقة . والاعتدال فى كل شىء هو قمة الحكمة .. ولو أتيح لى أن ألتقى بزوجك لما نصحته بألا يشترى الكتب ، لان الكتب لمن يعمل فى مجاله هى من الضروريات وليست ترفا ، وانما لنصحته بألا يشترى منها الا ما يحتاج

اليه فعلا ومايتناسب مع امكانياته بعد توفير الحياة اللائقة لاسرته ، ولنصحته ايضا بأن يكون عادلا مع أسرته حتى فى المساحة التى يخصصها لكتبه فى مسكنه فمن حقه ان تكون له مكتبة فى إحدى غرف الشقة لكنه ليس من حقه بالتأكيد ان يخزن ٢٥ طنا من الكتب فى شقة سكنية ضيقة لايقرؤها ولا يفك اربطتها . ولنصحته أيضا بأن يتخلص مما لا يحتاج إليه من هذه الاطنان ولو أراد ان يؤدى خدمة ثقافية جليلة للاجيال الصاعدة لنصحته بالتبرع بهذه الكتب الزائدة لمن لايستطيعون شراءها من الشباب فيساهم فى تثقيفهم وفى تحقيق الاستفادة من هذه الكتب العاطلة .. وفى ذاكرتى تجربة مماثلة مع أديب مثقف ضاق مسكنه بكتبه فكتب الى عن استعداده لإهدائها لمن يرغب فى القراءة والاطلاع من الشباب فحققت رغبته فلم تمض ايام حتى كانت طوابير الشباب تقف امام باب شقته فوزع كتبه عليهم جميعا ووزع خلال ايام آلافا من الكتب فأفاد الكثيرين وافاد الثقافة بتصرفه النبيل .

اما أنت ياسيدتى فانى أنصحك بان تكونى رفيقة به رغم كل شيء وبألا تفرطى فيه وبأن تواصلى « الكفاح » معه للحفاظ على الاسرة بمزيد من التفاهم والتضحيات المشتركة من الجانبين فمشكلتك رغم غرابتها ليست نادرة الحدوث وهى مشكلة زوجات كثير من المشتغلين بالعلم والادب والثقافة .. « والبيوت أسرار » كما يقولون ! فقط عليك ان تضاعفى من جهدك لاقناعه بضرورة ان يوجه معظم دخله للإرتفاع بمستوى اسرته وتأمين مستقبلها .. وبضرورة الاينسى نصيبه من الدنيا فالمظهر اللائق هو أيضا من الضروريات له ولكل افراد اسرته والجمال قيمة ينبغى الحرص عليها كقيم الثقافة والعلم والمعرفة ، وحبذا لو إستطعت اقناعه برفق وهو العالم المثقف بأن مايعانى منه ليس « حالة ثقافية » بالمعنى المعروف .. وانما هى « حالة مَرَضية » لاشك فيها هيِ حمى الشراء التى يعرف المتخصصون عنها الكثير

ولعلهم يحللونها لنا تحليلا علميا مفيدا . لذلك فمن المفيد ان يقتنع بضرورة استشارة الطبيب النفسى وانا واثق انه سوف يستجيب لنداء العقل ونداء العدل لأنه كما تقولين انت زوج مثالى وانسان ممتاز من كل الوجوه لولا ! وليست هناك حياة خالية من « لولا » هذه ياسيدتى لكن صورها وخطورتها تختلف من حياة الى اخرى .. ثم اليس طلب العلاج واقناعه به اجدى من ان تعلنى « الحداد » عند افتتاح معرض الكتاب الدولى كل سنة » ؟

أشياء لا تباع

تذكرت كلمة الملياردير الامريكى الشهير بول جيتى وانا اقرأ هذه الرسالة « إن المال لا يستطيع شراء الصحة ولا السعادة ولا الحنان ولا سهولة الهضم ! .

وبالرغم من أن من يحاضروننا عادةً فى عدم جدوى المال هم دائما من أصحاب المليارات الذين أفنوا العمر فى جمعه فإن الكلمة صادقة ولاذعة ، ولو آمن بها الكثيرون ومنهم قائلوها لحُلَّت مشاكل عديدة من مشاكل البشر .

أمَّا الرسالة فتقول كلماتها :

إسمح لى بأن أبدأ قصتى بدون مقدمات . وبصراحة فأنا لا اكتبها لك لأنى أريد منك حلالها ولكنِّى أكتبها لكى تقرأها قارئاتك من صاحبات المشكلات فربما هوَّنت عليهن مشكلتى مشاكلهن ! فأنا يا سيدى فتاة عمرى ٣٥ سنة من أسرة غنية ميسورة الحال عندى كل ما اريد .. وكل ما تشتهيه النفس – وأستطيع ان اشترى كل ما أرغب فيه الا شيئا واحدا .. هو السعادة ! .

فأنا رغم بلوغى سن الخامسة والثلاثين مازلت آنسة والسبب فى ذلك هو أن الرجال يتجاهلون تماما أن الفتاه البدينة لها أيضا قلب وروح وإحساس وإنَّها أُنثى كأى فتاة رشيقة ! والمشكلة اننى بدينة جدا ، وليس ذلك بيدى لكنها إرادة الله وقد لجأت الى أشهر اطباء علاج السمنة وأنفقت الكثير على العلاج فكان وزنى ينخفض بسرعة غريبة حتى أصبح كغصن البان ، لكنه لا يلبث ان يعود مرة أخرى وبسرعة مذهلة حجمى السابق بل ولأكثر منه أيضا . وأحمد الله أنى لم أُصَب حتى الان بمرض من أمراض السمنة ، لكنى

منذ عامين ظهر فى ساقى اليمنى ورم كَبِر حتى أصبح فى حجم البطيخة وثبت أنه ورم حميد والحمد لله فإستأصلته واصبح فى امكانى بعد الجراحة إتباع رجيم خاص للتخسيس ... لكن بلا فائدة لماذا ؟ لأن رأى الاطباء ان الريجيم وحده لا يفيد ، وانه عقب الزواج سوف تتغير هورمونات جسمي وينخفض وزنى ، أما قبل الزواج فلا فائدة من الرجيم ، لكن أين هو الرجل الذى يصدِّق ذلك ؟ وأين هو الرجل الذى يقبل الزواج من فتاة شديدة البدانة على أمل ان ينخفض وزنها بعد الزواج .

انك لن تصدق انه اذا اخطأ شخص وتقدم لخطبتى فإن اهلى هم الذين يضعون العراقيل امامه بدعوى بأن من يطلب الزواج من فتاة بدينة مثلى لابد أن يكون طامعا فى مالى ، وتنتهى القصة بالرفض ، مع انى والله بشهادة الجميع أحمل وجها جميلا وروحا طيبة مرحة ولم أحمل طوال حياتى لأحد سوى الحب ولا أكره احدا حتى الذين يهينونى بقصد او بغير قصد فانى لا اكرههم .. وأتلمس لهم الاعذار وأقصى ما استطيع ان أقوله فى مثل هذه الحالة : الله يسامحهم .

اننى أرى حبى فى عيون الناس الذين من حولى والذين أتعامل معهم ، لكننى رغم ذلك ينقضى شىء هام واشعر بالحزن على نفسى والبنات الصغيرات قدْ تزوجن وأنجبن وأنا مازلت كما أنا تصد عنِّى سمنتى راغبى الزواج ، إننى والله أحب هؤلاء الفتيات اللاتى تزوجن قبلى وأحمل الهدايا إليهن فى الزفاف وعند الإنجاب وأحمل اطفالهن فوق صدرى لكن والدى لا يرحمنى فهو يعتبر عدم زواجى مأساة .. وهو يطلق على اسماء الحيوانات السمينة .. وأتقبل الموضوع بروح عالية واضحك امامه لكنى ما ان اختلى بنفسى حتى ابكى ، اننى اعيش آلامى ولا احد بجوارى سو ى زوجة ابى الحنون التى اجد فى حنانها وحبها ما يعوضنى عن كثير من آلامى فهى انسانة عطوفة كريمة تضمنى الى صدرها فاشعر انها امى الحقيقية ، لقد اكملت

دراستى الثانوية ولم ادخل الجامعة لكى لا اتعرض لسخرية الزميلات والزملاء وقد كتبت اليك هذه الرسالة لكى تقرأها كل فتاة فتشكر الله سبحانه وتعالى على ما انعم عليها به من رشاقة وجمال وزواج او خطوبة وليقرأها كل شاب ليعرف ان السعادة ليست فقط مع الفتاه الرفيعه وانها قد تكون ايضا مع فتاة سمينة . غفر الله لكل رجل يبتعد عن فتاه لا لشىء الا لسمنتها .. وغفر الله لمن لا يتصورون ان للفتاة البدنية قلبا ومشاعر وعاطفة ! .

● ● ●

* * هذه هى الرسالة التى تلقيتها والتى انشرها تلبية لرغبة كاتبتها لكى تقرأها - كما تقول هى - كل فتاة فتجد فيها ما قد يخفف عنها آلامها وما قد يدفعها لأن ترضى عن حياتها وعن نفسها .. وليقرأها ايضا كل رجل ليعرف ان السعادة لم تكن فى مقاسات حجم الزوجة ، وإنما فى صفاء الروح وطيبة القلب وفى الإخلاص والعطاء المتبادل . لقد احببت كاتبة هذه الرسالة كثيرا دون ان أراها لصدقها وتلقائيتها وسماحة اخلاقها .. واحببتها اكثر لطيبة قلبها التى تدفعها لحب الآخرين حتى الذين اساءوا اليها وآلموها بالسخرية ، وأحببت كثيرا كلماتها الصادقة الطيبة عن زوجة ابيها وأعترف بانى لم اقرأ لها مثيلا من قبل فيما يصلنى من رسائل .

إن كل هذه اللمحات تؤكد يا صديقتى أنك فتاة محبوبة من الجميع ، إذ يستحيل أن تحملى كل هذا الحب للآخرين بغير أن يبادلوك حبًّا بحب .. ولا يمكن أن تكون لك هذه النفس الشفافة الصافية بغير أن تجذب القلوبَ إليك ، لذلك فأنا مندهش من أنك لم تلتقِ حتى الآن بمن يستحقك ، ولا أصدق ان البدانة وحدها يمكن أن تقف فى وجه سعادتك مع جمالك وثرائك وخفة روحك وطيبة قلبك . فاذا صح ظنى فلابد أن هناك اسبابا اخرى قد يكون من أهمِّها شكوك أبيك فيمن يتقدم إليك وإحساسه بأن كل راغب

فيك .. هو راغب فى مالك .. وهو رغم سلامة دوافعه فى ذلك مخطىء الى حد كبير ، إذ انه بذلك يحكم هو نفسه عليك بأنك لا تستحقين أن يتقدم إليك خاطب الا اذا كان راغباً فى مالك وهو إحساس ظالم لو تسلط على أب لما زوَّج ابنته أبداً ، لذلك فإنه مطالب بالتخلى قليلا عن شكوكه .. ومطالب أيضا بقدر أكبر من الواقعية لكى تمضى السفينه الى الامام .. واكاد اقول انه مطالب بشىء من التضحية وبشىء من الحكمه التى تُغلِّب سعادة ابنته على أية اعتبارات أخرى ..

إذ ماذا يساوى المال بلا سعادة ولا هناء ولا حياة طبيعية ؟ ان الحياة رحله واحدة لا تتكرر ومن السفاهة أن نبددها فى معاناة لا مبرر لها إذا كنا قادرين على تجنبها . إننى لو التقيت بأبيك لقلت له على الفور وسيفهم إشارتى يا رجل إختر لابنتك زوجا لائقا قبل أن ينتهى العمر فى المعاناة .. وما أكثر من يتمنون هذه الفرصة وما أكثر الزيجات التى أنبتَت الحب من خلال العشرة ولقلت له أيضا .. انس ثروتك قليلا فهى لا تساوى شيئا مقابل سعادة إبنتك كما أنك لن تصطحب هذه الثروة معك الى العالم الاخر ، فدع ابنتك تتمتع بما أعطاك الله فى حياتك وكُن راعيها وحاميها وهاديها الى الاختيار .



رسالة من حجرة الصالون

قد يرى البعض فى هذه الرسالة « حالة خاصة » لا تستحق الاهتمام لكنى على العكس من ذلك أرى فيها « نموذجا » للخطأ الصغير الذى يمكن أن يهدم صرحا كبيرا فى بعض الاحيان .

كما أرى فيها صورة لما يحدث أحيانا فى كثير من « البيوت » مع اختلاف بعض التفاصيل فى هذا الزمن العجيب . تقول كلمات الرسالة :

« أكتب لك هذه الرسالة من حجرة الصالون فى شقتى حيث أعيش وابيت منذ فترة غير قصيرة مع طفلى الوحيد بعد أن هجرت زوجى وتركت له غرفة النوم وأصبحنا منفصلين تحت سقف واحد. أكتب إليك لأستشيرك فيما جرى لعلك تساعدنى على سلوك الطريق الصحيح .

والحكاية ياسيدى اننى زوجة وام لطفل .. وزوجى شاب مقبول جمعتنى به المشاعر الطبيعية بين زوجين . ولااعتراض لى عليه فى شىء سوى انه حاد المزاج جدا وعصبى جدا ومتحمس جدا فى كل شىء .. ومن سوء حظى انه من عشاق كرة القدم ومن المشجعين المتعصبين لناد قاهرى كبير ، وهو يحرص على مشاهدة كل مباريات الكرة فى التليفزيون بالبيت وخاصة مباريات فريقه . وهنا تبدأ متاعبى .. فهو عند مشاهدة المباراة يفقد السيطرة على نفسه وتخرج منه ألفاظ بشعة تخدش الحياء والفاظ سوقية رهيبة لايتصور احد أنها صادرة عنه وهو الشاب المثقف المتعلم فاذا هزم ناديه أسرعت بغلق النوافذ وإحكام الأبواب لكى لايسمع الجيران هذه الالفاظ النابية .. ويسوء حكمهم على اخلاقياتنا ومستوانا الاجتماعى .

وبعد المباراة يبدو منهكا كأنه كان يلعب المباراة بقدمه فيتصبب العرق منه وتتلاحق انفاسه ! والكارثة الكبرى تقع حين يهزم ناديه .. ومن سوء

حظى وحظ طفلى الوحيد ان ناديه قد هزم هذا الموسم ٣ مرات فتخيلوا حالى وماعانيته فى كل مرة ، من تشنجات عصبية وشتائم وسخائم تصم الآذان أثناء المباراة .. ثم « نكد » وجو صامت حزين بعد المباراة كأننا فى مأتم ! قد تقول إنها مشكلة ثانوية لاتستحق كل هذا الاهتمام لكنى اقول لك ان هذه المشكلة التافهة هى التى غيرت مجرى حياتى الآن منذ اكثر من شهر . فقد حاولت كثيرا اصلاحه وتهذيبه ومنعه من التلفظ بهذه الالفاظ السخيفة لكى لايعتاد طفلنا الصغير سماعها .. ولكى لاتتسرب الى الجيران خاصة وهو الشاب المثقف المهذب . فلم تجد محاولاتى صدى . فاصبحت عندما تذاع مباراة أجلس بعيدة عنه مع طفلى خوفا منه ومن هياجه وحتى نتجنب ثورته وحزنه وغمه ونكده الذى يستمر بعد المباراة الى ان وقعت الواقعة التى لم تكن فى حسبانى ابدا .

ففى احدى المباريات كنت لسوء بختى قد قررت ان الفت نظره الى مايفعله فقال لى « مالكيش دعوة » ويشاء القدر ان يحرز الفريق المنافس هدفا فى فريقه فانقلب كالثور الهائج لاتهدأ له حركة يفرك يديه بعنف ويشد شعره فانسحبت من لسانى وقلت له : مش معقول كده . ده مش تشجيع ده . فاذا به يستدير نحوى فى انفعال شديد ومتشنجا ثم .. ثم .. ثم .. ثم يبصق على وجهى ! هل تتخيل ذلك ياسيدى .. يبصق على وجهى أنا زوجته وام طفله .. وشريكة عمره ، لأننى فقط لفت نظره الى مايفعل . اعرف انه فعل فى لحظة انفعال .. لكنى لااستطيع ان اغفر له جرحه لكرامتى على هذا الشكل المهين ولهذا السبب التافه .. اننى جريحة الكرامة ياسيدى أعانى من آلام مبرحة فى قلبى ومشاعرى ولااستطيع تصور فكرة العيش معه مرة اخرى رغم محاولاته العودة الى .. فهل انا على حق ياسيدى .. هل انا على حق . »

● ● ●

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

* نعم ياسيدتى انت على حق فى غضبك لكرامتك وفى رفضك لهذا الاسلوب المجنون فى « الاستمتاع » بمشاهدة مباراة كرة . وانت على حق ايضا فى استنكارك لهذه الالفاظ النابية .. ولهذه العصبية .. والتشنجات خلال مشاهدة مباراة كرة كأن ما يجرى فيها يتوقف عليه مصير العالم .

انت على حق فى كل ذلك وزوجك مخطىء فى مزاجه العصبى الحاد وقد أجرم فى حقك حين بصق فى وجهك من اجل ملاحظة عابرة خلال مباراة كرة .. لكنى ألفت نظرك الى ان مايعانى منه زوجك هو وباء منتشر فى معظم انحاء العالم وليس مقصورا على بيتك فقط . وكثيرا مايتسبب فى كوارث كبرى عامة وعائلية على السواء خاصة فى الملاعب العامة حيث تتجمع اعداد غفيرة من البشر الهائجين المتحمسين .. فتحكمهم نفسية « الحشد » وهى نفسية سريعة الإلتهاب سهلة الاستثارة يمكن خضوعها لمؤثرات خارجية كما يمكن ان تنجرف الى العنف بسهولة ، وفى هذا الحشد يمكن أن يخرج الأفراد عن أطوارهم بسهولة وتصدر عنهم غالبا تصرفات لاتتسق مع نمط سلوكهم العام فى الحياة ولامع انماط شخصياتهم الطبيعية . ومشكلة زوجك هى أنه يتفرج على مباريات الكرة فى شقته وحيدا بنفسية هذا الحشد الهائج السريع الالتهاب فتندفع القذائف من فمه .. ويمكن أن يصدر عنه رد فعل عنيف لأى تصرف او ملاحظة كما حدث معك للأسف وترتب عليه تعكر صفو حياتكما .. واعتكافك فى الصالون . وأنا بهذا الكلام لا ادافع عن تصرفه وإنما افسره فقط .. بل اننى فى الحق لاأحترم من يخرج عن طوره لمثل هذا السبب غير الجاد واعجب ممن ينفعلون او يحزنون او يثورون لمباراة كرة أو ماأشبه من الاسباب وأقول لنفسى دائما لو خلت الدنيا من كل الهموم والمشاكل والآلام لحق ان نحزن او نتجادل ونتخاصم لمثل هذه الاسباب غير الجدية . ومع ذلك فلقد عكر خطأ صغير هو الانفعال خلال المشاهدة صفو

حياة اسرة صغيرة .. وكاد يعرضها للخطر .. وهذا هو درس التجربة الذى ينبغى ان يتعلمه زوجك وان يستوعبه .. فمعظم النار من مستصغر الشرر كما يقولون .. وانا معك فيما فعلت حتى الآن لكنى اسألك وماذا بعد ؟ .. إن هناك مبدأ قانونيا معروفا هو تناسب العقوبة مع الجريمة فلايجوز ان يعاقب مخالف لإشارة المرور مثلا بقطع أذنه .. ولا ان يعاقب قاتل بدفع الغرامة . وأنت قد عاقبته بما فيه الكفاية حتى الآن وهو بالضرورة نادم الآن لما بدر منه وراغب فى اصلاح الامر بينك وبينه .. فإقبلى إعتذاره هذه المرة على أن تكون المرة الأولى والأخيرة .. وتجنبى بقدر الامكان مجادلته أو الاقتراب منه خلال لحظاته المتفجرة .. وانصحك بأن تقدمى اليه قبل كل مباراة قرصا مهدئا .. وكوبا من عصير الليمون وبمجرد أن يطلق الحكم صفارة البداية .. تسرعين « بالفرار » بعيدا عنه الى ما بعد انتهاء المباراة ! . وعجبى لما اقرأ وأسمع فى بعض الأحيان ! .. وبالمناسبة .. ماهى حكاية رسائل الزوجات « من غرفة الصالون » التى أتلقى منها الكثير جدا هذه الايام ؟!

أهل القمة

« أنا إحدى قارئات بريدك الاسبوعى منذ زمن طويل .. واغبطك على ما تناله من أجر من الله بسبب هذه المشاكل التى تعرضها .. شأنك فى ذلك شأن القاضى الذى تطرح عليه مشاكل الناس فيصدر حكمه فيها ، فإن أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد لمحاولته الوصول الى الحقيقة .

والواقع اننى اقرأ المشاكل التى تعرض فى هذا الباب باهتمام شديد وأقارن بينها وبين مشكلتى التى أعيشها حاليا فأجدها جميعا تتضاءل امام مشكلتى .. وهى مشكلة كثيرين غيرى فى هذا العصر الذى انقلبت فيه كثير من الموازين ، فلقد تزوجت زوجى منذ خمسة وعشرين عاما وعشت معه طوال هذه السنين على الحلو والمر معا واخلص كل منا للآخر الى اقصى حدود الإخلاص .. وحرمنا نفسينا من كل مباهج الحياة من أجل ان نعيش حياة شريفة أمينة فى حدود مرتب زوجى الذى يتقاضاه من وظيفته وليس لنا مورد رزق أخر غيره ، إذ أننى بمجرد زواجى رأى زوجى ان اتفرغ لبيتى ولتربية الابناء ، ومضت سنوات العمر واجتزنا بسفينة الحياة الزوجية خضم الحياة ، وكان مرتب زوجى يكفينا وكنا راضين بحياتنا وليست لنا اية تطلعات ، فالحياة محتملة . ونقص بعض الموارد يعوضه ما نحن به من احترام الآخرين والجيران لزوجى سواء فى العمارة او النادى او عند البقال .. فزوجى يا سيدى يعمل مستشارا بالمحاكم ومعروف بحسن السمعة والأمانة . ومضت سفينتنا هادئة نخطط لكل شيء فى حياتنا .. ونتمكن كل سنة بالادخار والتدبير من أن نقضى شهرا بالاسكندرية ليستريح زوجى من عناء العمل المرهق طوال العام ، واحيانا كنا نمضى شهرى يوليو واغسطس وهما شهرا

الاجازة القضائية بالكامل فى أحد المصايف ونعود مع بداية الخريف متجددين مقبلين على الحياة والعمل .

كان هذا هو حالنا حتى دخل الأبناء الجامعة وتغيرت الدنيا من حولنا وحدث زلزال الإنفتاح الاستهلاكى فى المجتمع فسقط أناس من قمة المجتمع وصعد اناس آخرون .. وتغيرت قيم عديدة ومفاهيم لدى الناس والمجتمع . ورغم خطورة هذا الزلزال إلا أنه كان من الممكن احتماله بشىء من التدبير وبإجراء بعض التباديل والتوافيق واستبدال أطعمة بأطعمة الخ لكن الأخطر هو ما حدث بعد ذلك . فلقد اصبح أولادى وبناتى .. « اولاد المستشار » الذين كانوا يمضون فى الطريق محوطين بالاحترام والتقدير تقديرا لوالدهم الأمين الشريف العادل .. أصبح هؤلاء الابناء هم سبب تعاستنا الآن ، فقد تلفتوا حولهم فى الجامعة وفى الحى الذى يقيمون فيه وفى النادى .. فاكتشفوا انهم محرومون من كل مباهج الحياة ، وأن أصدقاءهم من أبناء الجيران الذين لم يكونوا شيئا مذكورا قد أصبحوا فجأة وبلا تدرج من الأثرياء .. والمال يجرى فى أيديهم جريان الماء فى الغدير وأصبح ابناء الجيران فجأة ينفقون المال بل يبعثرونه فى الهواء باليمين وبالشمال بلا حساب .. فى ملابس مستوردة غالية الثمن البدلة منها بمرتب زوجى فى شهرين ينكب خلالها على المكتب كل ليلة حتى الفجر ينهك ذهنه وعقله وعينيه وجسمه فى قراءة مئات الملفات وآلاف الصفحات ، او يبعثرون نقودهم فى سهرات وحفلات لا سبب لها سوى الرغبة فى حرق الفلوس .

وأكثر من ذلك إن آباءهم جميعا إشتروا لهم سيارات فارهة .. ثمن السيارة منها يعجز عقلى عن عدّه إذا وضع امامى ، وليتهم فعلوا ذلك واكتفوا لكن هؤلاء الأبناء يباهون أبنائى بماهُم فيه من ثراء وسعة ويتعجبون من حالهم ! وفجأة إنقلبت سعادتنا إلى تعاسة .. فقد بدأ ابنائى يطالبون أباهم بأن يكونوا مثل اصدقائهم .. فاذا حدَّثهم عن الرضا والمركز الاجتماعى والشرف

والاحترام ، قالوا له ان كل ذلك لا يصمد لشراء فستان لائق باحدى بناتى لتذهب به الى الجامعة ! وان آباء بعض زملائهم من غير تجار الانفتاح يعملون اعمالا اضافية بعد الظهر ويكسبون المال لكى يوفروا لابنائهم الحياة الكريمة ، فيسألهم زوجى : وماذا يمكن ان يعمل قاض من اعمال اضافية وذلك مخالف للقانون ولا يرضاه ضميره ، فيرد ابنائى : يستطيع ان يعمل « سرا » وخذ بالك من كلمة سرا هذه - فى مكتب احد كبار المحامين بعد الظهر فيحرر له المذكرات القانونية ويتقاضى الأجور العالية . فيتعجب زوجى من تفكير الأبناء ويعتذر لهم بان هذا التصرف ممنوع قانونا واخلاقيا ، وانه اذا كان يطبق القانون على من يخالفونه فأولى به الا يخالفه ، فلا يقنعهم ذلك منه .

وباختصار يا سيدى فان سعادتنا التى بنيناها فى ٢٥ سنة من الكفاح تتهدم الآن على رؤوسنا من المناقشات اليومية فى هذا الموضوع الذى سئمناه والذى يؤلمنى ويؤلم زوجى غاية الألم ، وقد وصل الامر الى تمرد الابناء على أبيهم .. الذى أصبح يعانى من الآم نفسية رهيبة ، فأواسيه وأخفف عنه بان ذلك هو حال الشباب فى كل زمان .. وأنهم متعجلون لتحقيق كل شيء فيهز رأسه موافقا ، لكنى أسمعه بعد ذلك يبكى فى صلاته ويتهدج صوته وهو يدعو لابنائه بالهداية .. وأحيانا اسمعه وهو يدعو على نفسه وأبنائه ويتمنى لو لم يكن له أبناء ، وأنا مشفقة على زوجى من أن يهتز إيمانه أو يفقد وقارَه وهدوءه اللذين يتميز بهما ، واخشى ان يؤدى تطلع ابنائى الى رفاقهم من ابناء الطبقة الجديدة الى أن يقعوا فى الهاوية أو يتجهوا الى طريق الخطأ الذى كافحت مع زوجى لإبعادهم عنه بالتربية السليمة والإرشاد والتقويم .

ولا تعتقد يا سيدى اننى كنت سلبية فى هذه المعركة التى تهدد اسرتى وسعادتى ..

.. فقد وقفت الى جانب زوجى فى موقفه .. وساندته وكثيرا ما نصحت أبنائى فى غيابه بأن يقدروا كفاحه وتعبه وشقاءه وان يقدروا له امانته وشرفه .. فكان كلامى لا يعجبهم .. وأحيانا وصلت حدة المناقشات معهم الى الرد على بحدة وفظاظة .. واخفيت كل ذلك عن زوجى لكيلا تزداد تعاسته ولقد ترددت ان اكتب اليك عن هذه المشكلة لحساسيتها الشديدة بالنسبة لزوجى ووضعه ومركزه .. لكنى استخرت الله وقررت ان اكتب لك عنها لانها ليست مشكلة زوجى وحده وانما مشكلة كل الشرفاء من العاملين فى هذا المجتمع الذى هبت عليه عواصف الانفتاح فاقتلعت الكثير والكثير من القيم وزلزلت كثيرا من الاوضاع .. اننى اكتب اليك لاسألك ماذا أفعل .. ماذا يفعل زوجى فى وجه هذه العاصفة ؟ .

● ● ●

ولكاتبة هذه الرسالة اقول سأقول لك يا سيدتى .. أو « يا سيدى » بمعنى أصح لأنى أحس من أسلوب هذه الرسالة « القضائى » ومن خطها « الرجالى » .. انك رب هذه الاسرة ولست « ربتها على الأغلب » فلتكن من تكون .. لكنك بلا شك « تثير قضية هامة وحساسة أصبحت من أبرز مشكلات مجتمعنا هذا العصر . وهى مشكلة التناقض الازلى بين « جريان المال كما يجرى الماء فى الغدير » فى أيدى البعض ممن قد لا يكونون من أصحاب العقول والمراكز الاجتماعية والمراكز العلمية ، وبين « شحها كقطرات الماء فى الأدوار العليا » بين أيدى آخرين وقد يكونون من « أهل القمة » بمقاييس المجتمع السليمة فى المستوى العلمى والاجتماعى والثقافى وهى قضية قديمة جدا شغلت أصحاب العقول منذ قديم الزمان .. لكنها اتخذت فى مجتمعنا وخلال السنوات الطويلة شكلا فجّاً واستفزازيا بسبب الممارسات الخاطئة لبعض أو لمعظم أبناء الطبقة الجديدة فى بلادنا . ففى العصر العباسى قال المتنبى عن نفس هذه القضية :

لو كانت الأُرزاق تجرى على الحجا

هلكن إذن من جهلن البهائم

أى لو كانت الحظوظ والأرزاق تقسم بين الناس حسب نصيب كل فرد من « الحجا » أى العقل والعلم والثقافة والمكانة المرموقة أو خطورة المناصب واسهامها فى خدمة الآخرين ، لو كانت الأُرزاق تجرى على هذه « الاسباب » لما وجدت « البهائم » بالفعل قوت يومها ! فلا غرابة فى ذلك لأن الطريقين لا يلتقيان فى الحياة غالبا .. لكن الخطير والغريب فعلا هو ما شهده مجتمعنا خلال السنوات الأخيرة من تغيرات اساسية فى مفاهيمه هى التى جرَّت علينا كل هذه الكوارث فحتى سنوات قليلة كان المجتمع يعرف ويقدر للآخرين شرف العمل وشرف المكانة والشخصية والخلق القويم ، فهب عليه اعصار مدمر لا يعترف لاحد بشىء الا « بشرف » المال وحده مع تحفظى على عبارة « شرف المال » هذه ! فلا شرف فى رأيى لمن لا يملك من كل المقومات الخلقية والدينية والعلمية والاجتماعية .. سوى المال . فأى شرف « لزكيبة » منتفخة بالمال ؟ اليست فى النهاية زكيبة مصنوعة من الخيش ؟ .

ووسط هذا الاعصار المدمر تحطم المثل الأعلى لدى قطاعات عريضة من الشباب وهم يرون أن كل المقومات الأخرى لا تقدم لأصحابها سوى قطرات شحيحة لا تكفى لصنع الحياة الكريمة فضلا عن التمتع « بمباهجها » وهم ايضا يرون هذا السباق الرهيب لجمع المال « ورشه » فى الهواء كما ترش معطرات الجو فى الغرف المغلقة .. لكن ذلك أبدا لا يبرر أن يقسو الابناء على الآباء وان يحملوهم مسئولية حرمانهم مما فى أيدى اللاهين العابثين . وابناؤك يا سيدى قساة غلاظ القلوب .. فما أقسى ان يُشعِر الابناء آباءهم بعجزهم وفشلهم فى الحياة لأنهم غير قادرين على تحقيق بعض مطالب الحياة الصعبة . وويل للأباء من هذا الاحساس المؤلم حين يجيئهم من جانب من أفنوا العمر فى رعايتهم وتنشئتهم وأمضوا الليل ساهرين ليوفروا لهم الرزق

الحلال قدر الجهد وقدر الاستطاعة فان قصرت ايديهم عما لا طاقة لهم به .. فلا جرم عليهم وما هم بملومين . ومن واجب أعزَّائنا أن يخففوا عنا لا ان يضاعفوا من الآمنا ، ومن واجب احبائنا أن يشدُّوا من أزرنا لكى نبقى صامدين فى وجه الاغراءات ونداءات الانحراف والشر لا ان يضعفوا من مقاومتنا لكى نحيد عن الطريق وننجرف الى ما انجرف اليه البعض فنصبح على ما فعلنا نادمين بعد ان نفقد احترامنا لانفسنا قبل ان نفقد احترام الاخرين لنا . وانى اعجب لأبنائك الذين يحضّونك على مخالفة القانون لكى يجدوا بعض ما يريدون من أسباب الحياة هل تختلف « وسوساتهم » هذه عن وساوس الشيطان حين يزين للانسان الخطيئة .. أليست مقولة « ان الجميع يفعلون هكذا » هى حديث النفس الأمارة بالسوء حين تضعف امام الخطأ والانحراف ؟ ثم أين هم هؤلاء الجميع ؟ هل نحن حقا أُمة من اللصوص المنحرفين والمرتشين والمختلسين والخطاة ؟ اذا كنا كذلك جدلا – وهذا ما لم يكن ولن يكون الى أبد الابدين ، فلم تعانى هذه الأكثرية الصامتة التى تكسب رزقها بشق الانفس وتنفر نفورا طبيعيا وغريزيا من الحرام وتخشاه ؟ .

إنهم يطالبونك بمخالفة القانون وبالعمل سرا فيما يتعارض مع شرف وظيفتك وتقاليدها .. فلم لا تطالبهم أنت بالعمل الى جانب الدراسة ليوفروا لانفسهم ما يحتاجونه من كماليات ، كما يفعل ملايين الشباب فى كل المجتمعات ؟ ولماذا يكتفون هم بالشكوى والانين .. وإشعارك بالعجز لقصر يديك عن تلبية بعض مطالبهم ؟ .

أليست هذه كارثة أخلاقية جديدة مُنينا بها الى جانب كارثة انقلاب الهرم الإجتماعى بعد ظهور الطبقة الجديدة التى افسدت الحياة وافسدت القيم فى مجتمعنا ، لقد اصبحت إحدى مآسينا الآن ان « أهل القمة » فى مجتمعنا قد أصبحوا يشعرون بالاحباط والقزمية واللاجدوى أمام « اهل التخمة » ..

وامام اسلوب حياتهم المدمر الذى يهز قيم الشباب .. ويطلق براكين السخط فيهم .. ومجتمعنا بالتأكيد فى حاجة الى نظرة شاملة تعالج هذا الخلل الخطير ، وتداوى أسبابه ، وتعيد للقيم والفضائل مكانتها على رأس السلم الاجتماعى كما كانت حتى وقت قريب .. والأسباب معروفة .. والوسائل أيضا معروفة فلا جديد إذن فى هذا الحديث ولا طائل تحته ! .

العقاب

« أكتب إليك هذه الرسالة وأنا فى قمة اليأس والكُره الشديد لنفسى .. فأنا يا سيدى أمثّل حالة من الحالات العجيبة التى تستقبلها فى بريدك .. وأرجو أن يتسع لى صدرك كما يتسع لأصحاب هذه الحالات .. وبداية اقول إننى أكتب إليك لا لأشكو ظلما وقع علىّ من أحد ولا لأشكو إليك غدر أحد بى .. وإنما أكتب اليك لأشكو إليك نفسى التى تُسبّب لى الشقاء والمعاناة وتكاد تحطمنى ! فأنا يا سيدى ممن يقول عنهم الناس أن كلامهم مثل « الدبش » يتساقط على الآخرين فيصيبهم ويجرحهم ويُسيل دماءهم كما تفعل الحجارة إذا سقطت فوق رأس انسان من عل ، فأنا أعامل النَاس بسوء وجفاء .. وبسبب هذه المعاملة وقلّة ذوق معهم إبتعد عنّى الناس وأصبحت وحيدا شريدا يتجنبنى الاصدقاء والاهل ! .

وأنا سريع الغضب أغضب لأتفه الاشياء فأثور ثورة عارمة وأنهال على الضحايا بالألفاظ الفظيعة ، ثم بعد أن أهدأ أحاول أن اجد سببا مُقنِعا لما حدث .. فلا أجد ! .

فمثلا خلال العام الدراسى إختلفت مع زميلة لى فى الرأى ، فانفجرت فيها فجأة وَسَبَبْتُها وأهنْتُها واتهمتها بأسوا الإتهامات ففوجئت المسكينة بما حدث وإنهارت وبكت بينما أنا مستمر فى هجومى العنترى عليها بلا أى مراعاة لبكائها ولا لصيحات الإحتجاج من زملائى ، وبالطبع فلقد تجنبنى الجميع بعد ذلك وأصبحت أدخل الى المحاضرة وحيداً ذليلاً واضعاً وجهى فى الأرض واخرج منها على نفس الحال .

وحدث بعد أن تجنبنى الزملاء والاصدقاء أن كنت جالسا وحيدا فى الحديقة المقابلة للجامعة فطلب منى الجناينى بأدب أن أبتعد قليلا لكى يروى

الزرع فى نفس المكان . فاذا بى أنفجر فيه بالسباب واللعنات شوطا طويلاً قبل ان أهدأ بعدها وأنصرف متضايقا .

ثم جاءت بعد ذلك الإجازة الدراسية فى الصيف فتعذبت فيها عذابا فظيعا لأن علاقتى مقطوعة مع أهلى وأصدقائى بسبب طول لسانى هذا . وطوال أيام الاجازة كنت أستيقظ فى الظهر وأخرج من البيت دون أن يهتم بى أحد أو يسألنى أين أنت ذاهب أو هل تريد شيئا ، فأتجه الى الحديقة العامة القريبة من سكنى وأظل جالساً وحيداً فيها أحاول ان اعرف لماذا أنا « أبيح » هكذا بلا جدوى ! وأقرر أن أغيّر من نفسى .. وأتمسك بذلك لمدة أيام ثم ارجع ثانية لان الطبع غلاب ! .

إننى أمرُّ بحالة شديدة من اليأس والإكتئاب والضيق والحزن الشديد ا ستطيع أن أصفها لك .. وأطلب منك حل مشكلتى لكى ينصلح حالى .. ، شكرا جزيلا ! .

● ● ●

ولكاتب هذه الرسالة اقول :

يا سيدى إن أباطرة وملوك وحكماء الشرق والغرب جميعا لا يستطيعون حل مشكلتك لسبب بسيط هو أن حلَّها معلق بطرف لسانك .. ولا يستطيع أحد مهما فعل ان ينطق نيابة عنك بما يجمع بينك وبين الناس .. بدلا من أن يفرق بينك وبينهم كما تفعل الآن .. ثم لأنك تعانى من داء عضال هو الحماقة . وقديما قالوا :

لكل داء دواء يُسْتَطَبُ به

إلا الحماقة أعيت من يداويها !

وقبل أن أستطرد فى إبداء رأيى أرجو الا تصعد النار الى رأسك على الفور قبل أن تكمل قراءة هذا الكلام فتتحفنى على البعد بباقة مختارة من

قذائفك التى تطلقها فتتناثر فى الجو كالقنابل العنقودية مفرِّقةً الناس من حولك ..

فمن عادة الحمقى ان يسبق غَضَبُهم حِلْمَهم .. وأن تسبق إنفعالاتُهم تفكيرَهم لذلك أدعوك الى الهدوء لتسمع منى ما اقول « وانت وتربيتك بعد ذلك » ! إننى أقول لك يا سيدى أن خير الخلق أجمعين وهو من أدَّبه ربُّه فأحسن تأديبه قد قال له الحق سبحانه : « ولو كنت فظا غليظ القلب لإنفضوا من حولك » فكيف تنتظر من الناس ألا ينفضوا من حولك أنت وأنت معهم على هذه الحال التى تصفها بنفسك ؟ .

إن انصراف الناس عنك هو العقاب الطبيعى لك من جانبهم ، فليس كل الناس على إستعداد لأن ينازلوك فى ميدانك ، وعقاب سليط اللسان .. غليظ الطبعِ والقلب هو إعتزاله والابتعاد عنه ، لذلك فانت وحيد لا يَهُم أمُرك أحداً حتى أهلكِ ومن كانوا اصدقاءك وسوف تبقى كذلك الى إن تغير ما بنفسك ، والى أن تتعلم كيف تكظم غيظَك وكيف تَكُف أذاك عن الآخرين .. بل وكيف تعطيهم من طرف اللِسان حلاوةً تجمع قلوبَهم حولك بدلاً من أن تفرقها .

فامُلك غضبك يا صديقى .. تَمْلُك نفسك .. ومن مَلَك نفسَه فقد ملَكَ الآخرين بدماثته ورقِّة طباعه ولين عريكته . وإعلم ان الكلمة الطيبة صدقة وأنها تأسر القلوب وتَدفع الاذى وتَسُدُّ أبواب الشر وتفتح أحيانا ابواب النعيم . واذا صدق ظنى فإن اندفاعاتك وطلقاتك هذه قد يكون لها بعض الاسباب البيولوجية التى يفلح العلاج الطبِّى بالمهدئات والعقاقير فى التخفيف منها ، فاعرض نفسك على طبيب للأمراض العصبية يعاونك فى تجنب مثل هذه الانفجارات الضارة ..

أما دماثة الطبع ورقة الحديث مع الآخرين وتعلُّم مراعاة شعورهم وإحترامهم فلن يفيدك فيها طبيب ولا مُعَلِّم لأنك أنت طبيب نفسك ولا طبيب لك سواك ! .

هذا هو رأيي .. أرجو الا يغضبك .. وعموما ومن باب الاحتياط أقول لك : الله يسامحك ! .



بنت الباشا

أنا تلميذة بالصف الأول الثانوى كان جدى لأمي باشا .. أى باشا سابق ثم تغيرت الدنيا وضاعت الارض وضاع العز منذ سنوات طويلة ولم أر منه شيئا لكنى سمعت عنه من أمي التى شهدت طفولتها بقاياه ، وقد ضاع المال ونزلت أمي إلى ميدان الحياة وعملت موظفة كتابية فى إحدى المصالح الحكومية وتزوجت من أبى وأنجبتنا ونشأنا بين أحضان أبوين صالحين يعملان كل جهدهما لتربيتنا وتعليمنا واسعادنا وحياتنا تمضى عادية .. نعانى من متاعب الحياة كغيرنا لكن يظلل حياتنا دائما الحب والتعاطف الأسرى ونحيا تحت رعاية أبى الرجل الفاضل وأمي السيدة المؤمنة التى ربتنا تربية بنت باشا سابق لأبنائها والحمد لله على كل حال ، تسألنى طبعا ماذا أريد .. ولماذا أكتب لك ؟ إنى أكتب لك لانى أريدك أن توجه رسالة فى بريد الجمعة إلى إمى لأنها تقرأه كل اسبوع ، والحكاية اننى كنت نائمة ليلة عيد الفطر المبارك فصحوت من نومى قرب الفجر على صوت بكاء .. ونشيج فنهضت مفزوعة ثم تسللت من غرفة النوم على أطراف أصابعى لأعرف إيه الحكاية .. فرأيت أمي وراء الباب جالسة على الأرض فى الصالة على سجادة الصلاة رافعة وجهها ويديها إلى أعلى تكلم الله سبحانه وتعالى وتقول له : يارب .. يامن لاتُظلم عنده الخلائق .. لقد كَرَّمتنى بنجاح أولادى فهل ترضى بألا يفرحوا فى العيد إنهم فى حاجة لملابس جديدة .. لكن العين بصيرة واليد قصيرة وانت اعلم بحالنا « يارب »

سمعت كلماتها إلى الله وانسابت دموعى وخشيت أن ترانى فتخجل منى ويزداد همها ، فعدت إلى فراشى وقلبى حزين وبقيت فى الفراش بلا نوم حتى الصباح ، وفى الصباح نهضنا من فراشنا وتبادلنا التهنئة بالعيد .. وأنا

ألمح فى عينيها نظرة منكسرة .. لذلك فانى أريد منك أن تكتب إليها رسالة تقول لها فيها إننا لم نطلب منها ملابس جديدة فى العيد .. ولم نطلب منها حتى العيدية وإننا نعرف حالنا كويس وإن دخلنا يدوب يكفينا لآخر الشهر .. وقل لها كتر خيرها هى وبابا انهم بيعلمونا وبيصرفوا علينا وبيحبونا وبيتعبوا كثير علشان يسعدونا » .. وارجوك تقول لها كمان ان احنا راضيين بحياتنا والحمد لله .. وان مهما حصل فهى فى نظرنا بنت الباشا .. وحتفضل كدة على طول .. وشكرا لك » .

● ● ●

* * وأتوقف طويلا أمام هذه الرسالة .. أتأمل فى خيالى صورة الأم الجالسة على سجادة الصلاة تبكى وتناجى ربها فى ليلة العيد وإبنتها ترقبها خفية .. ثم استبعد كلمات الابنه المعبرة ببساطة وصدق عن حبها لهذه الام الطيبة .. وأشعر أنى عاجز عن توجيه الرسالة التى تطلبها منى الابنه الى الأم فأنى مهما استجمعت الكلمات لن أستطيع ان انسج كلمة ارق ولااصدق مما كتبت هى عنها واليها .. لكنى فقط أقول للأم : أن من نشَّأت أبناءها وسط متاعب الحياة وظروفها الخاصة على هذا الخلق الرضىّ الطيب القانع .. هى أم عظيمة بلا جدال .. فهنيئا لك ياسيدتى حب واحترام أبنائك لك وليتوِّج الله كفاحك مع زوجك بنجاح الأبناء دائما واستكمال تربيتهم وتعليمهم .. فلا شك انك سوف تقدمين للمجتمع عناصر فاضلة تضيف إلى الحياة ولاتخصم منها وإذا كنت قد فقدت العز القديم .. فلقد عوضك الله عنه خيرا بأبناء صالحين محبين عطوفين .. وهو فضل لو تعلمون عظيم !

وربح منها ربحا فاحشا ، فاشترى متجرا صغيرا تاجر فيه فى كل الاصناف الشحيحة فى السوق كالسجائر والصابون ثم جاءت بعد ذلك أزمة صابون كانت هذه هى بداية ثروته . وخلال ١١ سنة فقط تحول موزع السجائر بالتريسكل الى مليونير وانقلبت حياته رأسا على عقب فأشترى منشأة كبرى وادارها بنجاح لا ينكر ثم اشترى غيرها وغيرها .. واعذرنى اذا اعتذرت عن تحديد نوع نشاطه لكى لا يعرف انه المقصود .

تسألنى اين المشكلة .. فأقول لك .. إن هذا الرجل مصاب بعقدة عجيبة ضد الناس وبالذات حملة الشهادات ويصب حقده عليهم دائما ، وبالرغم من أنى أحمل شهادة متوسطة فهو يعتبرها فيما يبدو شهادة وينالنى منه عذاب كثير فهو يتسقط الاخطاء ثم يطلق صوته الجهورى بأبشع كلمات السباب والتقريع .. وهو دائما يحاول أن يثبت انه الذى يقرأ ويكتب بصعوبة يفهم أكثر من اى متعلم وهذا كله محتمل لأنه يخصه وحده .. اما غير المحتمل فهو أنه يتعمد أن يهيننى أمام زوجتى فى العمل بلا أى ذنب وبلا مناسبة ليكسر نفسى أمامها ، ولا يفعل ذلك معى وحدى وانما مع الجميع لذلك يتركه موظفون كثيرون ولا يستقر معه أحد وبعضهم ردَّ له الصاع صاعين ، أما أنا وزوجتى وقد تركنا وظائفنا من أجله .. فاين نذهب ؟ والرجل حزمة متناقضات غريبة فهو متدين لكنه يسب ويلعن ويهين وقد يطردنا ايضا .. ثم بعد ساعات يرسل الينا من يستدعينا ! . وهو يعترف بانى مخلص ومجيد فى عملى لكنه لا يكف أذاه عنى .. وحياتى مع زوجتى أصبحت رهينة بمزاجه اذا شاء نغَّص علينا حياتنا .. واذا شاء مرَّ اليوم بسلام فنعود الى البيت سعداء .. وان كان يندر ذلك وهو يتلذذ بإهانتى أمام ضيوفه ولقد أهاننى اليوم إهانة بالغة حتى لقد بكت زوجتى واقسمت ان نترك العمل مع هذا الرجل ولو متنا من الجوع .. ونامت وهى باكية وظللت أنا ساهر أكتب إليك فما هو رأيك ؟ .

• • •

رسالة فى الفجر

أكتب اليك هذه الرسالة وقد اقترب الفجر وأنا ساهر قلق معذب لا أعرف كيف اتصرف ولا كيف أحتمل الحياة بعد الآن . فأنا شاب أحمل شهادة متوسطة ومتزوج من زوجة طيِّبة تحبنى وأحبها كانت موظفة باحدى الشركات بمرتب صغير وكنت وقتها موظفا فى شركة أخرى بمرتب مماثل ، وكنا نعيش فى سعادة رغم ضيق الحال لكن مشكلتنا الأساسية كانت إننا لا نملك شقة بل نسكن فى غرفة مفروشة أحيانا وفى شقة مفروشة صغيرة أحيانا أخرى لذلك يلتهم الإيجار دائما معظم ما نكسبه ، ورغم ذلك كنا سعداء نقتسم الرغيف ونشترى الأشياء الضرورية من الملابس الرخيصة والالتزامات معاً ومضت حياتنا سعيدة رغم كل شيء حتى جاء يوم التقيت فيه عن طريق أحد اصدقائى بشخص صاحب اعمال شكا له صديقى مما أعانيه انا وزوجتى من متاعب الحياة فبدا التأثر على وجهه وعرض على أن أعمل فى منشأة يملكها عملا إضافيا بعد الظهر فرحبت وشكرته كثيرا وبدأت العمل معه ، كان عملا حسابيا بسيطا اقبلت عليه بإخلاص فرضى عنى وعن جهدى ثم بعد فترة وبعد تزايد اعتماده على عرض على أن أستقبل من عملى بالقطاع العام وأن اعمل معه بمرتب ١٥٠ جنيها وأن تستقيل زوجتى وتعمل معى بـ ٦٠ جنيها ولم نتردد طويلا وإستقلنا بالفعل وعملنا معه وبدأ الجحيم الذى مازلت أعيش فيه حتى الان . فلقد رأيت من الرجل صورة أخرى لم تتح لى الظروف أن أراها من قبل . ودعنى أحدثك قليلا عن صاحب العمل .. لقد بدأ حياته موزعا للسجائر بالتريسكل ، يطوف بالشوارع ليبيع السجائر للأكشاك ثم جاءت ازمة سجائر « البلمونت » فى الستينات ، وكانت السيجارة الأولى فى مصر فتاجر فيها فى السوق السوداء

* * واقول لكاتب هذه الرسالة : رأيى ببساطة انك لست رجلا . ولو كنت كذلك لما قبلت هذه الإهانات اليومية من حيوان جاهل مريض النفس يعانى من مركب نقص تجاهك وتجاه كل من يحس بجهله أمامهم .. ففيم تفكر أيها الرجل ؟ إنك شاب وفى مقتبل العمر وفى أتم صحة لكنك تعانى كل يوم من الإهانات والتجريح بلا سبب ويحترق دمك كل يوم عشرات المرات تسألنى ماذا افعل ؟ كنت أظن انك لست فى حاجة الى مشورة أحد لتختار انقاذ ما بقى من كرامتك .. وما بقى من رجولتك أمام زوجتك وتنجو بنفسك وبها من هذا المستنقع ؟ .

بل ولماذا سمحت لهذا الوغد بان يتطاول عليك من البداية .. ولماذا لم ترد عليه الاهانة من أول يوم .. بل لماذا لم تصفعه حين أهانك اول مرة امام زوجتك إرضاء لعقده ونفسه المريضة ولو تحملت أية نتائج تترتب على ذلك ؟ . صدقنى إنك لو فعلت لما خسرت الكثير بل لكسبت احترام زوجتك التى أحس انها اكثر نخوة منك ، لقد فهمت من رسالتك ومما لم أنشره منها انك قد اكتسبت خبرة طيبة فى هذا المجال من العمل .. اذن فإنك تستطيع ان تجد عملا آخر فيه ولو بمرتب اقل .. ولو فى مدينة اخرى ، لكنك قبلت الهوان .. ومن يهن يسهل الهوان عليه ! . فانجُ بنفسك وابحث عن عمل آخر ، فأرض الله واسعة ولا تستجب لطلب هذا الحيوان لو أرسل اليك .. فهو إن فعل فسيفعل لكى يفرِّغ فيك وفى زوجتك كل عقده لأنه يعلم أنكما قد ارتبطتما به الى الابد بعد ترك الوظيفة ويشعر باحتياجكما اليه اكثر من غير كما لذلك فهو يختصكما بالقدر الأكبر من سفالته وسوقيته وسوء تربيته ، وهذه العوامل كلها تتفاعل داخله مع ثراء فاحش مفاجىء أطاح بعقله فأثمرت هذه الشخصية المريضة ، فلا تنتظر منه أن يتغير أو أن يصبح إنسانا مهذبا فى يوم من الأيام فالثراء وحده لا يصنع انسانا مهذبا

وانما تصنعه التربية السليمة والقيم الدينية والخلقية وصاحبك والحمد لله مجرد من كل ذلك ! .

ثم أين هو هذا التدين الذى تحكى عنه .. وأى تدين هذا الذى يسمح لصاحبه بإمتهان كرامة انسان وايذائه كل يوم والرسول عليه الصلاة والسلام قد استعاذ بالله من ثلاثة هى : ذل الحاجة وغَلَبة الدين وقهر الرجال ، والرجل يستغل فيك بوحشية ذلَّ الحاجة ويقهر فيك الرجل .. ويتلذذ بتعذيبك بسادّية مريضة واضحة ، انه قاتل يا صديقى وحسابه مع الله عسير عن جرائمه ولكن إلى أن يسوّى الله معه حسابه وهو لابد فاعل إن شاء الله انجُ بنفسك من هذا الجحيم وسوف يوفقك الله إلى رزق اخر غير مغموس فى الهوان كهذا الرزق الذى تُطعَمه الآن ! .

الفهرس

مطبعة نهضة مصر


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين